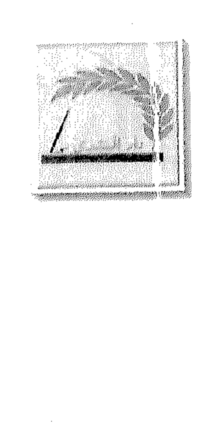


الملكة نازلي

غرام .. وانتقام

الحكومة الملكية المصرية
أوراق عملة رسمية

١٠ قروش

No. 000001

صدرت بمقتضى
القانون رقم ٦/د
سنة ١٩٤٠

رقم ٠٠٠٠١

ر... كامل

البريد المصري
30 MILLS
POSTES D'EGYPTE

الملكة نازلى
غرام وانتقام

رشاد كامل

الطبعة الأولى
أكتوبر ١٩٩٨

دار المنتدى
نشر وترجمة

◻ تصميم الغلاف والإخراج : «فوزى الهوارى»

◻ تجهيز الغلاف : «مودى جرافيك»

◻ تنفيذ الغلاف : «محسن رفعت»

◻ جمع وتنفيذ : «شوكت فتحى»

◻ الناشر : دار المنتدى

نشر وترجمة

فاكس: ٣٤٩١٣٢٧

نازلى: بداية.. ونهاية!

دخلت الملكة نازلى التاريخ ولن تخرج منه!

فى كل الحالات والأحوال كانت الملكة نازلى.. على موعد مع التاريخ!!

منذ ولدت «نازلى» عام ١٨٩٤ وحتى وفاتها عام ١٩٧٨ كانت سنوات عمرها بمثابة وقفات ومحطات توقف التاريخ أمامها بالرصد والتسجيل والتحليل والتأمل!

كانت «نازلى» فى رأى الأستاذ محمد حسنين هيكل «واحدة من أهم ثلاث نساء أدرن خيوط السياسة المصرية»، أو كما قال بالحرف الواحد فى كتابه «ملفات السويس»:

«الواقع أن مصر فى فترة الحرب (١٩٣٩ - ١٩٤٥) كانت واقعة تحت تأثير نفوذ ثلاث من السيدات، كل منهن لها شخصيتها القوية، ولها مكانتها ولها دورها، ولها مجال جذبها. كانت أولاهن السيدة ميلاف قرينة السير مايلز لامبسون - الليدى كيلرن فيما بعد - وكانت السفارة البريطانية مجالها وكان تأثيرها على زوجها الذى يكبرها بأكثر من ثلاثين سنة محسوساً ونافذاً.

نفس الشيء بالنسبة للملكة «نازلى» والدة الملك فاروق والتى تزوجت بعقد عرفى من رئيس ديوانه أحمد محمد حسنين باشا وقد تمكن حسنين من إقناع الملك بهذا الزواج لأن الملكة فى حاجة إلى رجل يشكمها، ومع ذلك فلم يكن هناك فى القصر من هو قادر على شكم ملكة مصر الأم! وأخيراً فقد كانت السيدة زينب الوكيل قرينة «النحاس» باشا ذات شخصية طاغية فى الوفد، خصوصاً بعد أن تخلص «النحاس» باشا من سكرتير عام الوفد القوى مكرم عبيد باشا وقد كان هو منافسها العتيد فى التأثير على زعيم الوفد الصلب والعنيد. ولم يكن هناك - بين الرجال الذين يقودون الآن على الساحة من يستطيع أن يؤدى الدور الذى كان يؤديه هذا الثلاثى النسائى الخطير من وراء الستار فى حكم مصر».

وقبل ذلك التاريخ أيضاً كانت «نازلى» محط أنظار الجميع ومثار اهتمامهم وربما دهشتهم وحيرتهم أيضاً!

فى كل الحالات كانت نازلى حاضرة بشكل لفت الانتباه بشدة!
إن نازلى - التى أصبحت سلطانة - لم تكن طفلة عادية!
نازلى - التى أصبحت ملكة - لم تكن ملكة عادية!
نازلى - التى أصبحت زوجة - لم تكن زوجة عادية !
نازلى - التى أصبحت أرملة - لم تكن أرملة عادية!
نازلى - التى أصبحت عاشقة - لم تكن عاشقة عادية!
فى كل الحالات والأحوال، كانت نازلى، طفلة وشابة وسلطانة وملكة وزوجة مثار اهتمام الجميع!
لم تكن «الملكة نازلى» مجرد امرأة مشهورة فى تاريخ مصر الحديث!! جاءت فجأة، ورحلت فجأة !!
ولم تكن الملكة نازلى مجرد ملكة ما أتاحت لها الظروف أو الصدفة أن تتزوج من السلطان أحمد فؤاد، وبعد زواجها تصبح مصر «مملكة»!
ولم تكن نازلى مجرد «زوجة» عادية أنجبت لزوجها الملك فؤاد الطفل «فاروق» الذى طالما حلم به فى صحوه وفى منامه! لكى يحكم مصر من بعده!

✪✪✪

فى ظروف سياسية معقدة، وعاطفية محيرة تزوجت «نازلى» من السلطان أحمد فؤاد!
كان زواج «فؤاد» من نازلى قراراً سياسياً قبل أن يكون قراراً عاطفياً!
كان السلطان فؤاد بهذا الزواج يريد أن يمحو الصورة السيئة التى يعرفها عنه كل الناس كزوج شرس ومقامر لا يتورع عن ضرب وإهانة زوجته الأولى الأميرة شويكار التى تزوجها عام ١٨٩٥م، وتم طلاقهما بفضيحة عام ١٨٩٨.
وظل الأمير «أحمد فؤاد» بعدها يعيش حياة لاهية منفلتة بعيدة عن أى ضوابط!!
كانت حياة «الملكة نازلى» بكل المعايير - الإنسانية والسياسية والتاريخية - دراما عنيفة، اختلط فيها كل شئ بكل شئ، وذابت الحدود والفواصل بين الإنسانى والسياسى، بين العاطفى وغير العاطفى.
كانت حياة نازلى ثرية وغنية بالسعادة والألم، المتعة والعذاب، الصدق والكذب، الأبيض والأسود، السياسية والحب، الشارع والقصر، إلخ.
حياة طويلة حافلة ممتدة، وطفولة سعيدة، ومراهقة رومانسية، وقصة حب مع ابن شقيقة «سعد زغلول» بالتبنى، ثم زواجها من ألد أعداء زعيم الأمة سعد زغلول.. زواجها من الأمير أحمد فؤاد.

كانت حياتها فى ظل وجود الملك أحمد فؤاد سلسلة لا تنتهى من الألم والدموع والإحباطات، لكنها شاهدت عن قرب كل ما كان يجرى فى الكواليس والدهاليز من ألاعيب السياسة ومناوراتها وفن الدسائس وتصفية الخصوم السياسيين.

عاشت نازلى «سنوات طفولتها فى بيت الزعيم» سعد زغلول، الذى كان يعتبر والدها «عبد الرحيم صبرى باشا» بمثابة الأخ والصديق له، وكانت صفية زغلول تعتبر أم نازلى واحدة من شقيقاتها! كان سعد يعامل نازلى كابنته وكذلك صفية زغلول، وعندما اقترب الموت من والدة نازلى قالت لصفية زغلول بكل الوضوح: اعتبرى نازلى ابنتك يا صفية!

عاشت نازلى فى بيت سعد زغلول طفلة وشابة وهى تسمع بدهشة بالغة حكايات سعد باشا عن «الأمير أحمد فؤاد» ومغامراته وفضائحه النسائية والاجتماعية مما دعاها أن تقول ببراءة لصفية زغلول ذات يوم: يا ويل من ستصبح زوجة لأحمد فؤاد!!

والمؤكد أنها لم يخطر ببالها لحظة واحدة انها ستكون هذه الزوجة البائسة الشقية!

تعلمت نازلى من سعد زغلول أن الرجل المتحضر هو الذى يعامل المرأة عامة وزوجته خاصة كقصيدة شعر، وأن الرجولة أن تضع المرأة فى عينيك، وفوجئت بأن زوجها يعتبر المرأة فردة حذاء «يلبسها حين يشاء ويخلعها حين ينام»!!

عاشت نازلى تحلم بفارس يخطفها فوق حصان أبيض، لكنها فوجئت بالأسير يسرقها ويغتصب براءتها ويحبسها بعيداً عن ضوء الشمس وعيون الناس.. كل الناس!

كانت نازلى تحلم بزوج يحبه كل الناس، فتزوجت من رجل كرهته كل مصر. أطفالها ونساؤها ورجالها!

كانت نازلى وردة جميلة، وكان «فؤاد» غابة من الشوك.

عاشت «نازلى» سجينة فى قصر السلطان والملك «فؤاد» طوال ١٧ سنة، لا ترى إلا النساء، ولا تخاطب إلا النساء!

كان الملك فؤاد - ابن الخديو إسماعيل - الذى تلقى تعليمه فى أكبر جامعات أوروبا غليظاً وخشناً وفظاً، لم يحدث أن همس فى أذنيها بكلمة حب أو جملة إعجاب حتى لا ينقص من رجولته!! وعندما أنجبت ابنها «فاروق» لم يسمح لها بتربيته أو احتضانه. بل أوكل ذلك الدور كاملاً إلى المربيات!

كان الطفل «فاروق» يخشى مربيته ولا يخشى أمه، وكان يسمع كلام المربية ولا يسمع كلام أمه، هكذا كانت حياة نازلى الزوجة والأم والملكة طوال سنوات زواجها من الملك فؤاد.

ثم مات أحمد فؤاد عام ١٩٣٦، وطوال عشر سنوات - وحتى عام ١٩٤٦ - كانت نازلى من خلف الستار تمسك بالكثير من خيوط دفة سفينة الحكم..

وبموت الملك فؤاد انطلقت نازلى تماما، فى طريق طويل ومثير من المغامرات العاطفية لتعوض حرمان وكبت ١٧ سنة سجن!

وأحبت «نازلى» ذلك الرجل الغامض «أحمد حسنين» ثم إزاء إلحاحها وإصرارها تزوجا بعقد عرفى، وكان «أحمد حسنين» هو النقيض لفؤاد: سلوكاً ومشاعر، وقد وصفته نازلى، بعد سنوات طويلة، قائلة: إنه «الرجل الذى كان يحكم مصر وليس ابنها الملك فاروق»!

وفى عز سعادة «نازلى» وهنائها مات «أحمد حسنين» فى حادث غامض عام ١٩٤٦، وبموته ماتتْ فى قلبها أشياء وأشياء، وسافرت مع بناتها خارج مصر وإلى الأبد!

وفى الغربة توالت الكوارث والفضائح التى دفعت ثمنها غالياً، طاردتها الشائعات والأقاويل والحكايات.. وقررت تزويج ابنتها الأميرة فتحية من الشاب المسيحى رياض غالى!

وقامت القيامة فى مصر، ولم تتراجع «نازلى»!

وقامت الثورة فى مصر وغادر «فاروق» مصر فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢، وحتى وفاته عام ١٩٦٥، لم يكن قد رأى أمه مرة واحدة، ولم تكن «نازلى» قد سامحته على مواقفه منها وهجومه عليها طوال سنوات!!

.. وفى الغربة ماتت «نازلى»!! وكانت بداية النهاية!!

✪✪✪

وهكذا شخصية «نازلى» الشابة والملكة والأرملة والعاشقة تحرضنى على الاقتراب منها بالكتابة الهادئة بعيداً عن الحسابات وتصفية الحسابات مع عصر بأكمله!

وهكذا قررت خوض مغامرة الكتابة!!

كانت الكتابة عن الملكة «نازلى» مغامرة محفوفة بالمخاطر!

كانت المخاطر أكبر وأكثر مما قدرت فى بداية المغامرة، من الحب إلى السياسة، ومن التحرر إلى التزمت، ومن الغرام إلى الانتقام، ومن البداية الرومانسية إلى النهاية الدرامية!!

كانت الكتابة عن «نازلى» تعنى التعرض لأحداث وشخصيات، تعددت وتنوعت وتناقضت وتصادمت عبر السنوات التى كانت فيها «نازلى» ملء السمع والبصر!!

.. لا كتابة عن «نازلى» بغير الكتابة عن زوجها الملك أحمد فؤاد.

ولا كتابة عن «نازلى» بغير الكتابة عن ابنها الملك «فاروق» وزوجتيه الملكة فريدة و«الملكة ناريمان»!

ولا كتابة عن «نازلى» بغير الكتابة عن أحمد حسنين مربى ورائد ابنها. ثم حبيبها وزوجها بعد ذلك!

ولا كتابة عن «نازلى» بغير الكتابة عن الأميرة شويكار الزوجة الأولى لأحمد فؤاد أو ابنتها الأميرة «لطفية» الزوجة الأولى لأحمد حسنين!!

ولا كتابة عن «نازلى» بغير الكتابة عن المطربة «أسمهان» التى أحبها أحمد حسنين وطاردتها «نازلى» فى كل مكان داخل وخارج مصر!

ولا كتابة عن «نازلى» بغير الكتابة عن عن شخصيات سياسية أخرى مهمة ولامعة تركت بصمتها - سلباً أو إيجاباً - على تاريخ مصر الحديث.. من سعد زغلول وأم المصريين إلى مصطفى النحاس وزينب هانم الوكيل!

ومن على ماهر باشا ومحمود فهمى النقراشى باشا إلى السفير الإنجليزى كيلرن وزوجته!!

كانت هذه هى الخطوط الأساسية، ومنها وعبرها تتفرع وتتشعب عشرات الحكايات والقصص المليئة بالدهشة والدموع والحيرة والألم والتعاسة!

وهكذا جاء هذا التحقيق الصحفى الطويل الذى أرهقنى وعذبنى فى جمع مصادره ووقائعه عبر عشرات الكتب وصفحات الجرائد والمجلات.

وعلى صفحات مجلة «سيداتى سادتى» نشرت الحلقات على مدى ١٨ أسبوعاً متواصلا.. ولا أنكر حماس وحفاوة «د. هالة سرحان» رئيس تحرير المجلة لهذه الحلقات. ولا أنكر مدى حفاوة القراءة والقارئات بالحلقات. سواء عند نشرها أو بعد نشرها أيضاً.

✪✪✪

وانتهى النشر وركنت الحلقات المنشورة فى أدراج مكتبى وانشغلت بقراءاتى واهتماماتى حتى جاءت الصدفة الجميلة التى هى أجمل من ألف ميعاد.

ساقت الصدفة الجميلة الصديقة «سلوى لطفى» العاشقة للقراءة قبل الكتابة وأبلغتنى بأجرأ قرار تتخذه بأنها أسست «دار المنتدى.. نشر وترجمة»، وتريد أن تبدأ خطتها للنشر بكتاب «نازلى غرام وانتقام». ليس لأنها قصة عاطفية ملتهبة، لكنها فى المقام الأول صفحة سياسية غامضة ومهمة فى تاريخ مصر الحديث قبل قيام ثورة ١٩٥٢.

كانت معرفتى بالصديقة «سلوى لطفى» تعود إلى سنوات مضت حين جاءت إلى مجلة «صباح الخير» تقدم لها دراسة اكاديمية بديعة عن المرأة فى مسرح «توفيق الحكيم»، تحمس لها الكاتب الكبير «لويس جريس» ونشرها على صفحات المجلة، ومن يومها نَمَت وولدت صداقة لم تنقطع حتى الآن.

وبعيداً عن التفاصيل تبقى كلمة تقدير لابد منها لهذه السيدة الفاضلة التى تخوض تجربة النشر لأول مرة بشجاعة واقتدار رافعة شعاراً نبيلاً هو «دار حرة للأفكار الحرة» وأشهد لها بصدق الشعار.

وهو ما أثق كل الثقة أنه سيتكرر مع مؤلفات وكتب الآخرين.

أما صديقى الجميل الفنان «فوزى الهوارى» صاحب الرؤية الفنية المبدعة لإخراج وتصميم هذا الكتاب فهو أكبر من كل كلمات التحية والعرفان..

والآن أفسح صفحات الكتاب بحكاياته ووقائعه بين يدى قارئ كريم أعطانى الكثير جداً من محبته وتقديره واحترامه وحفاوته... ويا عزيزى القارئ.. شكراً.

رشاد كامل
«أكتوبر ١٩٩٨»

سنة أولى نازلي !

دخلت «نازلى» التاريخ ولم تخرج منه ! !

دخلت «نازلى» تاريخ مصر : شابة، وامرأة، وملكة، وعاشقة وسياسية، وهاربة، ومعذبة، وغارقة حتى أذنيها فى بحر السياسة والحب !

نازلى : زوجة الملك فؤاد، وأم الملك فاروق، وزوجة لرئيس ديوان ابنها . .

ونازلى باختصار : قصة غرام وانتقام . . !

فى كل الحالات كانت «نازلى» طفلة صغيرة لا تدرى شيئاً عما تتناقله مصر من فضائح الأمير «أحمد فؤاد» ! !

يوم ولدت «نازلى» فى ٢٦ يونيو سنة ١٨٩٤ كان الأمير «أحمد فؤاد» غارقاً حتى أذنيه فى مشاكل وخلافات وسخافات لا تنتهى مع زوجته «شويكار» التى كان قد تزوجها عام ١٨٩٣ .

كان والد «نازلى» عبد الرحيم صبرى ووالدتها السيدة توفيقة يحتفلان بعيد ميلاد نازلى الرابع فى مدينة الاسكندرية حيث كانت تعيش الأسرة، عندما ملأت سماء الاسكندرية حكاية طلاق أحمد فؤاد من شويكار عام ١٨٩٨ . وكان عمر «أحمد فؤاد» وقتها ثلاثين سنة ! !

وسرعان ما أتت تفاصيل فضيحة طلاق «أحمد فؤاد» و«شويكار» إلى والد ووالدة «نازلى»، وكانت الدهشة والذهول هما أبسط ما تسلل إليهما فى ذلك الوقت ! !

لم تكن سمعة الأمير «أحمد فؤاد» فوق مستوى الشبهات أبداً فى يوم من الأيام، كان سادس أبناء الخديو اسماعيل الذى حكم مصر من عام ١٨٦٣ إلى عام ١٨٧٩ .

كان لإسماعيل ثمانية من الأبناء الذكور، ومثلهم من البنات ! !

وبعد عزل الخديو إسماعيل، سافر إلى منفاه فى نابولى بإيطاليا وبصحبته زوجاته (الأربع) وأنجاله وحاشيته حتى توفى عام ١٨٩٥ .

ومن المصادفات النادرة أن رئيس الوزراء شريف باشا (جد نازلى) هو الذى قام بتسليم الخديو إسماعيل قرار خلعه من منصبه !

تسلم شريف باشا رئيس الوزراء رسالة الصدر الأعظم يوم الخميس ٢٦ يونيو ١٨٧٩، وبعد أن قرأها وأدرك ما تحتويه، رأى من واجبه أن يحملها بنفسه إلى الخديو، فصعد إلى الطابق الثانى، وقابل «إسماعيل» وسلمه الرسالة، ففضها وتلاها وعلم فحواها، فقابلها بالصمت والجلد، وطلب إلى شريف باشا أن يدعو إليه الأمير «توفيق» باشا (ابنه) فوراً.

فخرج شريف من حضرة الخديو السابق (الأب) ليقابل الخديو الجديد (الابن)، وعندما وصل توفيق بصحبة «شريف» تلقاه أبوه مخاطباً إياه: «أفندينا..» وسلمه سلطة الحكم!!

كان «توفيق» هو أول أبناء الخديو إسماعيل (من مواليد ١٨٥٢) يليه الأمير «حسين كامل» (١٨٥٣) ثم الأمير «حسن» (١٩٥٤) ثم الأمير «إبراهيم حلمى» (١٨٦٠) ثم الأمير «محمود حمدى» (١٨٦٣) ثم الأمير أحمد فؤاد (١٨٦٨) ثم الأمير «رشيد» (١٨٦٩) وأخيراً الأمير «على جمال» (١٨٧٥).

كان عمر «الأمير أحمد فؤاد» يوم رحل مع والده إلى المنفى فى إيطاليا أحد عشر عاماً. وهكذا تلقى أغلب تعليمه خارج مصر!

فى إيطاليا التحق «فؤاد» بالمدرسة الإعدادية بتورينو ثم التحق عام ١٨٨٥ بالكلية الحربية حيث درس علوم المدفعية والهندسة العسكرية، وبعد تخرجه انتظم فى سلك الجيش الإيطالى ضابطاً بالفيلق الثالث عشر من مدفعية الميدان بروما وقضى به ثلاث سنوات.

فى سنة ١٨٩٠ ذهب الى الآستانة لزيارة والده «الخديو السابق» حيث كان قد استقر بها قبل عامين، وهناك أتيح له أن يتعرف على السلطان «عبد الحميد» ورجال الآستانة وقررت الحكومة التركية تعيينه فى نفس السنة ملحقاً حربياً بسفارتها فى فيينا (بالنمسا) لمدة عامين.

وفى عام ١٨٩٢ يتوفى شقيقه الخديو توفيق، ويتولى الحكم ابنه الشاب الخديو «عباس حلمى الثانى» ويستدعيه ليعينه كبيراً لياورانه برتبة لواء فى الجيش المصرى.

✪✪✪

وبتعيين «الخديو الجديد» عباس حلمى الثانى عرش مصر، تبدد إلى الأبد حلم الأمير أحمد فؤاد فى أن يجلس على عرش مصر!!

كان كل ما ورثه «أحمد فؤاد» عن أبيه هو ثمانمائة فدان لا أكثر ولا أقل، وكان هذا «الإرث» بالمقارنة مع ما يملكه أبناء عمومته بكل المقاييس - وقتها - شيئاً تافهاً وضئيلاً! كما كان يمتلك قصرين متواضعين هما قصر البستان، وقصر الزعفران (!!)

وفى عام ١٨٩٣ قرر أحمد فؤاد الزواج وكان قد أصبح فى الخامسة والعشرين من عمره!!

وصف المؤرخ الموضوعى «عبد الرحمن الرافعى» أحمد فؤاد فقال عنه: «كان وسيماً جميل الوجه، مهيب الطلعة، قوى البنية، بدين الجسم، معنياً بصحته، محافظاً على نظام صحى دقيق فى معيشته ومأكله ومشربه، حريصاً فى اتباع ما ينصحه به الأطباء من تعليمات، ولو كان فى ذلك جهد له، وكانت قوة إرادته تساعده على هذا النظام..

وكان قوى الشخصية، موفور النشاط، دؤوباً على العمل، لا يكل منه ولا يمل، ذكى الفؤاد يشع الذكاء من عينيه، واعى الذاكرة..».. إلخ.. إلخ.

أضف الى ذلك أيضاً أنه كان «مقامراً، يطارد النساء بلا حياء، يتشاجر مع طوب الأرض، يستدين ولا يسدد ما يستدينه» ! !

كان الأمير «أحمد فؤاد» مدمناً للعب القمار ! ! مثل مشاهير رجال ذلك الوقت ولكن ! !

ولم يكن يجد حرجاً - وهو الأمير - أن يستدين أو حتى يسرق ليزاول هوايته وإدمانه فى لعب القمار ! !

وفى مذكراته يقول «سعد زغلول» :

ذهبت أمس إلى نادى «محمد على» ووجدت نفسى متشوقاً الى لعب الورق، فلعبت مع البرنس فؤاد وقطاوى وليفى (والاثنان من كبار رجال الرأسمالية اليهودية) ومحمود صديق وخسرت ٣٧٥ جنيهاً وندمت على ما فعلت وعزمت على أن لا أعود أبداً».

هكذا كانت سمعة الأمير «أحمد فؤاد» عندما قرر الزواج وتوديع حياة العزوبية والصرمحة ! !

وهكذا تزوج أحمد فؤاد من الأميرة «شويكار إبراهيم» كريمة الأمير إبراهيم باشا أحمد ابن الأمير أحمد رفعت باشا ابن ابراهيم باشا الكبير.

وفى نفس الوقت كانت «شويكار» تمت إليه بصلة ما، فقد كانت حفيدة عمه «أحمد رفعت».

كان جمال «شويكار» الحقيقى الذى رآه أحمد فؤاد هو ثرواتها الخرافية، غطت ثروة شويكار تماماً على أنوثتها وجمالها ومفاتنها ! !

لم يكن زواج «حب» بل كان زواجة «مصلحة» ! !

فى عالم السياسة المصالح تتصالح وأيضاً فى دنيا الزواج ! !

كانت «شويكار» هى الحل الأمثل والمناسب لرجل بكل صفات «أحمد فؤاد» السابقة !

وحسب ما يقوله الكاتب الأمريكى «وليام ستاديم» عن فؤاد قوله :

«إن أهم ما ينشله من هذه الأزمة زواج مدروس ذو حيثية، كان يهدف إلى الزواج من السيدة «سوارس» وهى غنية ولها مكانتها، ولكنه لم يستطع تحقيق ذلك، أولاً لأنها كانت متزوجة ولن توافق على الطلاق، وثانياً لأنها كانت يهودية، وكان الحل الأمثل الثانى بالنسبة لفؤاد أن يركز هدفه على ابنة عمه الوارثة «شويكار» التى تبلغ من العمر تسعة عشر عاماً وكانت من أغنى أميرات مصر وقتها.

وكان لشويكار شقيقان، محمد إبراهيم وأحمد سيف الدين.

«وحسب نفس المصدر السابق أيضاً فقد كانت حبيبة الملك فؤاد السيدة سوارس أبرز سيدات المجتمع اليهودى فى مصر، كانت لها اليد العليا فى ترتيب زواج فؤاد إلى شويكار وكان ذلك ضرورياً له حيث كان مفلساً من لعب القمار ! !

وطوال عشرين عاماً ظلت مدام سوارس هى الحب الحقيقى والوحيد «لأحمد فؤاد» واحتلت هذه المكانة فى وجود الزوجة الأولى «شويكار» وحتى الزوجة الثانية فيما بعد «نازلى»!!

وفى إحدى الحفلات كانت السيدة سوارس مع «فؤاد» حين فاجأتها سكتة قلبية، فارقت الحياة بعدها!

✪✪✪

وهكذا تزوج «فؤاد» و«شويكار» عام ١٨٩٣.

لم يكن قد مضى عام واحد فقط على زواجهما إلا وبدأت المشاكل تنفجر!!

عانت «شويكار» الأمرين من سلاطة وبذاءة لسان والدة الأمير «أحمد فؤاد»، أما ما عانته من زوجها الأمير والذى يكبرها بحوالى ستة أعوام فقد فاق الوصف وحد الاحتمال!

لم يكد يمر عام واحد على زواج «أحمد فؤاد» من «شويكار» حتى أنجبت له ابناً أطلق عليه اسم «اسماعيل» - على اسم والده الخديو اسماعيل - لكنه توفى بعد فترة قصيرة.

واستحالت الحياة الزوجية تماماً بين «البرنس أحمد فؤاد» و«شويكار» زوجته وهى ابنة الحسب والنسب والأصول، فقد كان زوجها يشتمها ويضربها بالكرباج ويصفعها على وجهها.

كان الزوج البرنس «أحمد فؤاد» يعود إلى «شويكار» عند مطلع الفجر كل يوم وهو يترنح وينهال عليها بعلقة ساخنة من الإهانة والشتائم ثم يختتمها بضربها!!

وذات يوم هربت «شويكار» وذهبت إلى قصر أبيها حيث يعيش شقيقها - الأمير سيف الدين (وكان يصغرها بعامين) وشكت له كل ما تعانيه!

بعد ٤٨ ساعة كاملة اكتشف البرنس «أحمد فؤاد» غياب زوجته وعدم وجودها بالمنزل، وغادر الاسكندرية ووصل الى القاهرة، وفى الحال ذهب إلى قصر «سيف الدين»!!

وهناك تقابل مع شويكار.. وبدأ الحوار: عتاباً ثم شجاراً ثم شتائم وقالت له:

«أنا مش جاريتك».!!

وعلت الشتائم التى تتناول الآباء والأمهات.. إلخ بين الزوج والزوجة، وأخيراً قالت شويكار إنها لن تعيش معه حتى لا تتحمل سخافته ورذالة أمه..!

وفوجئت «شويكار» بأحمد فؤاد - زوجها - يجذبها بالقوة من يدها، وصرخت، وهنا دخل شقيقها «سيف الدين» وتشاجر أحمد فؤاد مع «سيف الدين»، وقام أحمد فؤاد بضربه ضرباً مبرحاً، فما كان من «سيف الدين» إلا أن هرب وجرى ناحية السلم ونادى على أحد الخدم الذين كانوا قد توافدوا ليروا هذه الوصلة المثيرة من الضرب والشتائم وقال «أحمد فؤاد» للخادم وهو يشير ناحية «سيف الدين»:

- إمسك الكلب ده وسلمه للبوليس يحبسه!!

وأمسك «فؤاد» بزوجته «شويكار» من شعرها وسحبها على سلم القصر وهى تصرخ . . وتصيح وتنوح وعاد بها إلى قصره (سراى الزعفران) .

وعاشت «شويكار» سجينة ، لا ترى أحداً ولا يراها أحد ، بل إن زوجها «البرنس» أرغمها على كتابة إقرار بأن يكون هو وكيلاً عنها فى التصرف على كل أموالها ، بعد أن كانت شويكار قد نجحت فى إلغاء ذلك التوكيل من قبل ! !

ظلت «شويكار» معذبة ، مهانة مع «أحمد فؤاد» ونجحت فى تهريب عشرات الرسائل إلى عمتها «عين الحياة» تروى لها ما تقاسيه ، وفى إحدى هذه الرسائل أرسلت ببلاغ إلى حكمدار القاهرة «هارفى باشا» ، وقالت فى هذا البلاغ :

«أنا سجينة فى قصر الزعفران ، وزوجي يعاملنى بقسوة ويهددنى مما يجعلنى غير آمنة على حياتي وأرجو التدخل لإنقاذى» .

وتعددت بلاغات «شويكار» إلى حكمدار القاهرة ، الذى قرر إحالة الأمر كله إلى النائب العام ، وتم استدعاء «أحمد فؤاد» للتحقيق وأخذ أقواله ، ولكنه نفى تماماً كل ما قالته زوجته سواء ما يتعلق بسجنها أو ضربها أو سرقة ونهب أموالها . . ! !

وذهب «النائب العام» للاستماع إلى «شويكار» وأدركت أن بلاغاتها إلى النائب العام قد حققت هدفها وهو ردع زوجها ، وأعلنت للنائب العام أن الخلاف مع زوجها . . أحمد فؤاد قد زال ، وأنها اتفقت معه على أن تبقى بالقاهرة .

وذات يوم أفضت «شويكار» لشقيقها بسر كانت تكتمه عنه منذ فترة ، وقالت له : «إن زوجها أحمد فؤاد فاتحها فى أمر دس السم له حتى يرثا ثروته وممتلكاته الشاسعة» !

وأصاب الفزع والرعب «سيف الدين» وقرر أن يقتل «أحمد فؤاد» زوج شقيقته ! !

وعلم «سيف الدين» أن البرنس أحمد فؤاد يقضى سهرته فى نادى الكلوب الخديوى وذهب إلى هناك ، وحسب ما رواه «مصطفى أمين» فقد رأى الأمير «سيف الدين» زوج شقيقته الأمير «فؤاد» يلعب البلياردو فاتجه إليه وقال له :

« كيف تشتم أمي وأبى وأختى يا كلب ؟» !

ثم أخرج الأمير «سيف الدين» مسدسه وأطلقه على الأمير فؤاد ، وسقط فؤاد على الأرض واصابت إحدى الرصاصات رقبة الأمير واستقرت فيها ، وعجز الأطباء عن إخراجها وبقيت فى رقبة فؤاد حتى آخر أيامه ، وقد كانت سر صوت النباح الذى يخرج من فمه إذا توترت أعصابه . وقبضت الشرطة على الأمير «سيف الدين» وأودعته فى زنزانة فى سجن مصر ، وتقرر تقديمه إلى محكمة الجنايات واحتج الأمراء من أفراد أسرة «محمد على» على وضع أمير فى السجن وعلى أن تعرض القضية أمام محكمة الجنايات ويسمع الشعب تبادل الفضائح والاتهامات على لسان الأميرة شويكار والأميرين أحمد فؤاد وسيف الدين ! !

وتقرر الاكتفاء بالحجر على الأمير ووضعه فى مستشفى للأمراض العقلية فى إنجلترا بحجة أنه معتوه ! !

وعندما سمعت الأميرة شويكار بما جرى لزوجها البرنس أحمد فؤاد قالت :

– فى ستين داهية . . راجل بلطجى . .

وقال ولى العهد السلطان «حسين كامل» (شقيق فؤاد) :

– عرفنا فى أسرتنا المقامر والسكير والنصاب ، ولم يكن ينقصنا إلا القتلة ! !

وبعد تماثل أحمد فؤاد للشفاء التقى مع شقيقه ولى العهد واتفق معه على طلاق شويكار ، وعندما قام «فؤاد» بطلاق شويكار كانت حاملاً فى الشهر الثانى.

جاء الطلاق فى عام ١٨٩٨ أى بعد خمس سنوات من الزواج، وكانت «نازلى» فى ذلك الوقت طفلة تخطو نحو عامها الرابع ! ! وكان عمر البرنس فؤاد (ثلاثين سنة) ! !

كانت «نازلى» ومعها كل الحق تفخر بتاريخ أسرتها الممتد الى سنوات طويلة خلت . كانت «نازلى» فخورة بغير حدود بأهم وأبرز أجدادها على الإطلاق وهو «محمد شريف باشا» والذى اعتبره المؤرخون من أبرز الشخصيات فى تاريخ مصر المعاصر ! ! وحسب شهادة المؤرخ عبد الرحمن الرافعى فقد كان شريف باشا فى عصره رجل الدولة الوحيد الذى ارتضى معاصروه رئاسته ! !

لقد تولى جد نازلى رئاسة الوزارة أربع مرات ، كانت الأولى عام ١٨٦٩ (وعمره وقتها ٤٣ سنة) والرابعة عام ١٨٨١ . التحق بالمدرسة الحربية التى كان قد أنشأها «محمد على» باشا ثم سافر إلى فرنسا حيث التحق بمدرسة سان سير ليدرس العلوم الحربية ، وحصل على أعلى الشهادات ثم التحق بالجيش الفرنسى ليؤدى فترة تدريب !

عاد شريف إلى مصر بعد أن تولى حكمها «عباس الأول» وفى ذلك الوقت كان قائد عام الجيش المصرى هو الكولونيل «سيف» الذى كان يعرفه العامة باسم «سليمان باشا الفرنساوى» واختاره ضمن ياورانه ! !

فى عام ١٨٥٦ (وهو فى سن الثلاثين) تزوج من ابنة سليمان باشا الفرنساوى وهكذا أصبح معروفاً باسم «شريف باسا الفرنساوى» ! أما الابنة فكان اسمها بالصدفة «نازلى» ! ! !

أنجب شريف باشا ولداً واحداً وابنتين . . كان اسم الولد «محمد شريف باشا» على اسم والده ، أما البنت الأولى فكان اسمها «كلسون» وتزوجت من محرم شاهين باشا ، والثانية اسمها «توفيقة» وتزوجت من «عبد الرحيم صبرى باشا» .

ولم يخطر فى بال الأب «عبد الرحيم صبرى باشا» وزوجته «توفيقة هانم» عندما أنجبا فى ٢٥ يونيو ١٨٩٤ ابنتهما الجميلة «نازلى» أى مستقبل ينتظرها ؟ !

ولم يخطر ببال أحدهما أى دور سياسى وعاطفى ينتظر «نازلى» طوال السنوات التى بدأت مع مطلع القرن العشرين ! !

لم تكن «نازلى» هى الابنة الوحيدة فى أسرتها ، بل كان لها شقيقان هما «شريف» و«حسين» !

فى عام ١٩١٣ أصبح عبد الرحيم صبرى مديراً (محافظاً) للمنوفية حتى عام ١٩١٧، وفى تلك الفترة توطدت العلاقة بينه وبين الأمير «أحمد فؤاد»!!

وبمجرد أن تولى «الأمير فؤاد» منصب السلطان (١٩١٧) حتى اصدر قراراً بتولى «عبد الرحيم صبرى» (والد نازلى) منصب محافظ القاهرة!!

وفى نفس الوقت الذى كان فيه عبد الرحيم باشا صبرى على صلة وطيدة بالأمير أحمد فؤاد، حتى قبل أن يتولى السلطنة عام ١٩١٧، كان على صلة وطيدة أيضاً بسعد زغلول، كما كانت زوجته «توفيقة» تعتبر «صفية» زوجة سعد زغلول بمثابة أخت لها وأكثر من صديقة!!

وعندما توفيت والدة «نازلى» السيدة توفيقة، كان حزن سعد زغلول وزوجته صادقاً وكتب «سعد زغلول» فى مذكراته يقول:

«نعت أخبار الاسكندرية وفاة المرحوة السيدة «توفيقة» حرم «عبد الرحيم باشا صبرى» بعد داء أعيى الأطباء. وقد شق نعيها خصوصاً على حرمى، فإنها كانت لها صديقة صادقة، وهى تبكى الآن وتذرف الدمع مدرارا، على ما بها من ضعف فى الصحة والعيون».

كان ذلك بتاريخ ٢٣ أكتوبر سنة ١٩١٥، فى اليوم التالى (٢٤ / ١٠) واليوم الذى يليه كتب سعد زغلول يقول:

«فى الساعة ٣ تسير جنازة حرم عبد الرحيم صبرى من محطة مصر، وأنا ذاهب إليها الآن، حضرت الجنازة، وقد رأيت فيها خلقاً كثيراً من المنوفية».

وعلى فراش الموت كانت وصية والدة نازلى للسيدة صفية زغلول هى:

– أوصيك بنازلى.. اعتبريها ابنتك!!

وكانت «صفية زغلول» تضع الطفلة «نازلى» فى حدقات عيونها، حيث تمضى أغلب أوقاتها فى بيت الأمة تلهو وتمرح مع بنات شقيقة صفية زغلول!!

وكان «سعد زغلول» يعامل «نازلى» كواحدة من أفراد الأسرة!!

وكانت «نازلى» فى صباها فتاة رومانسية، قوية الإرادة. وكانت أيضاً رسامة جيدة برعت فى رسم لوحات جميلة من الزهور. وصفها مصطفى أمين بكلمات بالغة الدلالة فقال:

«كانت نازلى طويلة القامة، رشيقة القد، بشرتها بيضاء كاللبن، وشعرها الأسود الطويل ينسدل إلى ما تحت ظهرها، عيناها سوداوان واسعتان ضاحكتان، وكان وجهها مشرباً باحمرار فى لون ورد الربيع».

كان عمر «نازلى» يوم ماتت أمها فى سن التاسعة عشرة تقريباً، وكانت أغلب البنات فى هذه السن – فى تلك الأيام – قد تزوجن وأنجبن وأصبحن مشغولات ومهمومات بأمور الأطفال!!

لكن «نازلى» حتى ذلك الوقت لم تكن قد تزوجت بعد!!

وعندما كانت تشارك أسرة سعد زغلول طعام الغداء فى بعض الأحيان، كان تشمئز كلما سمعت من رب الأسرة سعد زغلول وهو يحكى لصفية عن الفضائح التى لا تنتهى للبرنس «الفلتان» أحمد فؤاد ! ! وذات مرة تجرأت وقالت بصوت خفيض أمام الجميع :

– مسكينة تلك الفتاة التى سيوقعها حظها العاثر لتصبح زوجة لهذا الصايع (! ! !) .

✪✪✪

مع الأيام الأولى من شهر أكتوبر سنة ١٩١٧ كانت صحة السلطان «حسين كامل» تسير من سيئ إلى أسوأ ! !

كانت إنجلترا قد عينت «حسين كامل» سلطاناً على مصر يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ أى فى اليوم التالى مباشرة لإعلان الحماية على مصر، وعزل الخديو «عباس حلمى الثانى». كان «حسين كامل» هو الابن الثانى للخديو إسماعيل الذى كان له دستة كاملة من الابناء وكان «أحمد فؤاد» أصغر هولاء الابناء وترتيبه الثانى عشر ! !

وقبل ٢٤ ساعة من وفاة السلطان «حسين كامل» لم يكن حديث الناس فى مصر كلها – حسب شهادة سعد زغلول – إلا «مرض السلطان حسين وتعيين خلفه» ! !

كان الأطباء قد فقدوا الأمل تماماً فى شفاء السلطان، وفى يوم ٨ أكتوبر جاء المندوب السامى البريطانى «السير رجنلد ونجت» يسأل السلطان سؤالاً محدداً :

من ترشحه ليخلفك ؟ !

قال : ابنى الوحيد الأمير كمال الدين حسين ! !

ولم يكن ذلك الإجراء يثير دهشة أحد، فالمندوب السامى هو الذى سبق أن عزل الخديو وعين «حسين كامل» وها هو الآن يسأل السلطان عمن يخلفه ! !

ما لم يكن معروفاً فى ذلك الوقت أن الأمير «كمال الدين حسين» نجل السلطان لم يحلم بهذا المنصب، وكان لقب السلطان مما لا يشغله من بعيد أو قريب ! !

وفوجئ السلطان والمندوب السامى برفض الأمير الشاب للمنصب ! !

قال الأمير «كمال الدين حسين» لمن حوله وقتها :

«إننى متزوج من أحسن زوجة فى الدنيا، وعندى أحسن حصان فى العالم، فماذا أريد من الدنيا أكثر من ذلك ؟». كانت زوجته هى الأميرة «نعمت مختار» شقيقة الخديو المخلوع «عباس حلمى الثانى»، وارسل «كمال الدين حسين» إلى والده السلطان بخطاب يعتذر فيه عن عدم قبول وراثة العرش. وقال فى خطابه :

«ذكرتمونى عظمتكم بما اتفقتم عليه مع الحكومة البريطانية الحامية وقت ارتقاء عظمتكم عرش السلطنة المصرية من تأجيل وضع نظام وراثة العرش السلطانى إلى ما بعد بحثه، وقد تفضلتم عظمتكم فأعربتم عن رغبتكم فى أن تكون وراثة عرش السلطنة المصرية منحصرة فى الأكبر من الأبناء ثم بعده لأكبر أبنائه، وهكذا على هذا الترتيب. وإنى لأذكر لعظمتكم

هذه المنة الكبرى لما فى هذه الرغبة من التشريف لى، على أنى مع إخلاصى التام لشخصكم الكريم وحكمكم الجليل، مقتنع كل الاقتناع بأن بقائى على حالتى الآن يمكننى من خدمة بلادى بأكثر مما يمكن أن أخدمها به فى حالة أخرى، لذلك أرجو من حسن تعاطفكم أن تأذنوا لى أن أتنازل عن كل حق أو صفة أو دعوى كان من الممكن لى أن أتمسك به فى إرث عرش السلطنة المصرية بصفتى ابنكم الوحيد، وإنى بهذه الصفة أقر الآن بتنازلى عن جميع ذلك، وإننى لا أزال لعظمتكم السلطانية النجل المخلص والعبد الكثير الاحترام».

القاهرة فى ٨ أكتوبر سنة ١٩١٧. «كمال الدين حسين»

وكان رفض «كمال الدين حسين» مفاجأة لم يحسب أحد حسابها، لا السلطان المريض ولا المندوب السامى نفسه!!

وهكذا ذهب السكرتير الشرفى بدار المندوب السامى «برونالد ستورز» إلى السلطان الذى كان فى صراع مع الموت ليسأله عن البديل، فقال السلطان:

«أرشح أخى الأصغر الأمير «أحمد فؤاد»!!

وفى اليوم التالى - التاسع من أكتوبر - مات السلطان «حسين كامل»!

وعندما نشرت الصحف خطاب الأمير «كمال الدين حسين»، كان وقع هذا الخطاب - كما يقول سعد زغلول - أجمل وقع عند الناس، أكبروا شأنه وقالوا: «لو لم يترك السلطان حسين أثراً فى البلاد سوى هذا الولد الصالح لكفاه فخراً ومجداً».

وكتب «مصطفى أمين» يقول بعد ذلك:

«وذهب سعد زغلول لزيارة الأمير ليسأله عن سر رفضه قبول العرض، فلم يفهم شيئاً من الأمير الشاب (!!!) ولم يشعر بأنه أمام بطل وطنى كما صورته الإشاعات. ولم يعرف سعد يومها أن الأمير رفض العرش لأنه كان يحب فتاة فرنسية نقيم فى باريس وكان يخشى لو تولى العرش، أن يحرم من التردد على باريس والإقامة بين ذراعيها، وكتب لها الأمير يقول: «إن قبلة من شفتيها أهم من عرش مصر كله».

ولكن!!

كان لوزارة الخارجية البريطانية رأى مختلف تماماً، حيث كانت واثقة أن «كمال الدين» لا يميل إلى إنجلترا، وأبدت رغبتها فى تفضيل الأمير فؤاد عليه، «إذ رأت أنه سيكون أسهل منه وأسلس قيادة من أى مرشح آخر».

وهكذا أصبح «أحمد فؤاد» ابتداء من ٩ أكتوبر ١٩١٧ سلطاناً على مصر، وأرسل إليه السير «رجنلد ونجت» المندوب السامى البريطانى تبليغاً من الحكومة البريطانية: «إننى أتشرف بإبلاغ عظمتكم السلطانية انعطاف حكومة جلالة الملك لما أصاب شخصكم الكريم من دواعى الحداد، هذا وإننى مكلف فى الوقت نفسه بأن أحيط علم عظمتكم بذلك».

✪✪✪

لم تكن قد مضت ساعات على تولى «أحمد فؤاد» عرش مصر، إلا كان الشعب المصرى على اختلاف مستوياته وطبقاته يعقد مقارنات بين السلطان الجديد «فؤاد»، والسلطان السابق «حسين كامل»!

كان كلاهما ابنا للخديو «اسماعيل»!

وكلاهما كان تعيينه بقرار من الإنجليز!

لكن المقارنة بين «فؤاد» و«حسين» كانت مثيرة، ومدهشة، ومحزنة أيضاً.

كتب الاستاذ الكبير مصطفى أمين يقول:

«الإنجليز عينوا السلطان «حسين» سلطاناً على مصر ولكنه كان طوال الوقت يشعر بالخجل والعار لأن الإنجليز هم الذين عينوه، أما الأمير «فؤاد» فهو يشعر بالشرف والفخار لأن تعيينه جاء عن طريقهم، وكان سيشعر بالخجل لو أن المصريين هم الذين انتخبوه...

إن السلطان حسين والسلطان فؤاد أخوان من أب واحد، ولكنهما مختلفان. السلطان «حسين» طيب ومجنون، والسلطان «فؤاد» عاقل وشرير.. «حسين» كان يبيع أملاكه ليشترى رضاء المصريين، و«فؤاد» سيبيع المصريين أنفسهم ليشترى رضاء الإنجليز.. «حسين» ضرب أحد الوزراء المصريين بالشلوت لأنه ارتكب جريمة مع ابنة أحد زملائه الوزراء، و«فؤاد» سيدوس بقدميه على شعب مصر كله لكى يحقق مآربه الشخصية. «حسين» يحب المصريين ويخاف منهم، و«فؤاد» يكره المصريين ويحتقرهم. حسين أحمق، وفؤاد غادر. حسين ينفجر فى خصومه غضباً، وفؤاد يعانق أعداءه ويغمرهم بالقبلات وهو يغمد الخنجر فى ظهورهم. حسين يشعر بأن أسرة «محمد على» ضيفة على مصر، ويحاول أن يستميل أصحاب البيت حتى لا يطردوه من البيت، وفؤاد يعتقد أن مصر ضيعة لأسرة محمد على. هم السادة والشعب هو العبيد». لكن الأخطر من تلك المقارنات هى تلك الصورة التى ترسخت فى عقل وقلب الشعب عن «أحمد فؤاد» عبر ممارسات وتصرفات طويلة باتت معروفة لدى الكافة!!

بعد سنوات طويلة كتب «بيرم التونسى» يقول: «تساءل الناس عن الأمير فؤاد لأن رجال ذلك البيت وأميراته لم يكونوا يومئذ موضوعاً تخوض فيه الصحف إلا بقدر معلوم»!!

فقال القائلون يومها:

- آه.. «أحمد فؤاد» المقامر الذى لا ترحب به أندية القمار لأنه مفلس ولا يسدد ديون القمار!!

- «أحمد فؤاد» الذى يركب الحنطور ولا يدفع للحوذى أجرته!!

- «أحمد فؤاد» الذى يفتح منازل اصدقائه ليلاً ويطلب الطعام!!

ويضيف مصطفى أمين لكل ما سبق قوله: وكان أول قرار أصدره (السلطان فؤاد) أن تتولى الدولة تسديد ديونه!!

وتولت الدولة تسديد ديون السلطان الجديد، وإذا بينها وديون متأخرة للبقال والجزار ولخدم الأمير (!) وديون مستحقة لخزانة «نادى محمد على»، وديون للترزى الإيطالى «ديليه» ثمن ملابس حصل عليه فؤاد ولم يدفع ثمنها. وبعض الديون لصاحبات بانسيونات كان يتردد عليهن الأمير !

وهكذا ظهر أن سلطان مصر كان يأكل «بالشكك» (!!) ويلبس «بالشكك» !! ويحب «بالشكك» !!

لكن الأغرب من كل ذلك هو ما كتبه سعد زغلول فى مذكراته عن شائعة مثيرة تتحدث بها النوادى وأسر الطبقة الراقية !!

كتب سعد زغلول بتاريخ ١٤ أكتوبر سنة ١٩١٧ يقول فى مذكراته :

«شاع فى الدوائر النسائية أن عظمته «أحمد فؤاد» سيتأهل بـ«نازلى» عبد الرحيم باشا صبرى مدير المنوفية، كما روتها الأميرة «عزيزة» عن صاحبة السمو السلطانة «فوقية» كريمة السلطان (ابنته من زوجته الأولى شويكار).

وذهبتُ (أى سعد زغلول) إلى النادى فى الساعة ٧ وجرى ذكر إشاعة زواج السلطان بكريمة عبد الرحيم أو فؤاد الأرناءوطى فكذب عدلى يكن ويحيى هذه الإشاعة. وقال عدلى لا ينبغى لجماعة اليهود أن يتلاعبوا بأسرار السلطان، لأنهم إذا كانوا أصدقاء له من غير تكليف، فارتقاؤه إلى عرش السلطنة يلزمهم بكثير من التحفظ فى شأنه. وقال لى - عدلى ضمن ما قال - إن زواج السلطان أمر حكومى، فلا ينبغى مباشرته من غير أن يكون للحكومة شأن فيه».

✪✪✪

لكن ما سمعه «سعد زغلول» لم يكن شائعة.. بل كان حقيقة بالفعل !!

ليلة القبض على نازلى

كانت «سيرة» السلطان أحمد فؤاد على كل لسان!!
كانت قد مضت ١٩ سنة بالضبط منذ أن طلق زوجته الأولى «شويكار» فى عام ١٨٩٨ ومنذ ذلك التاريخ لم تتوقف مغامراته ونزواته وفضائحه!!
وفى كل مرة كانت تراوده فكرة الزواج.. كانت «سيرته» هى العائق أمامه!!
لكن منذ أصبح «فؤاد» سلطاناً على مصر أصبح زواجه قراراً سياسياً وليس قراراً شخصياً، كان زواجه «ضرورة» سياسية وليس ضرورة عاطفية أو نفسية !!
لم يكن السلطان «فؤاد» راغباً فى الزواج، لكن وزير خارجية بريطانيا كان صاحب الفكرة وحسب قوله «فلم يكن مناسباً للسلطان أن يبقى بدون زوجة، والأسوأ أن يكون مطلقاً . والأهم من كل ذلك أنه لابد أن يكون للسلطان وريث يخلفه فى حكم مصر!!
وقبل أن يبحث «فؤاد» عن زوجة، قرر تعيين عدد من كبار سيدات مصر للعمل كوصيفات فى القصر الذى مازال بلا زوجة، ووقع اختياره على السيدة «صفية» زوجة «سعد زغلول» وأرسل «فؤاد» أحد أصدقاء سعد زغلول ليخبره بذلك القرار، وغضب «سعد زغلول» من صديق عمره «أمين يحيى باشا» وصرخ فيه:
- قل للسلطان.. إن سعد زغلول ينصحك أن تتزوج فوراً!!
ومن بين كل بنات الأسر الراقية فى مصر لم يقع اختيار السلطان فؤاد إلا على الشابة الجميلة الحسناء «نازلى عبد الرحيم صبرى» التى كان «سعد زغلول» يستعد للاحتفال بزواجها على ابن شقيقته «سعيد زغلول»!!
بسبب «نازلى» جرى أول صدام مباشر وحاد بين «السلطان فؤاد» و«سعد زغلول»! كانت «نازلى» على وشك الزواج من ابن شقيقة «سعد زغلول»، وفجأة يظهر «أحمد فؤاد» ليخطبها ويتزوجها!!
كان «سعد زغلول» نفسه، وزوجته «صفية» و«رتيبة» أبنة «صفية» بالتبنى يباركون مشروع الزواج الذى على وشك أن يتم بين «سعيد زغلول» والآنسة «نازلى عبد الرحيم صبرى»!! وكما خطف «فؤاد» «نازلى» من خطيبها «سعيد» عام ١٩١٩، فعل فاروق نفس الشىء بعد حوالى ٣٢ عاماً، عندما خطف «ناريمان» من خطيبها «زكى هاشم»!!
لم يكن سعد زغلول «يتصور أن يكون «سلطان مصر» بمثل هذه الدرجة من الوضاعة والحقارة واللاخلاق أيضاً!!
لكن هذا ماحدث بالفعل!!
وللحكاية تفاصيل وبداية ونهاية أيضاً!

كان «سعيد زغلول» ابن شقيقة «سعد زغلول» وابنه بالتبنى يشغل منصب تشريفاتى فى القصر السلطانى أيام حكم الأمير «حسين كامل»، وبعد أن تولى «فؤاد» منصبه ـ بأمر الإنجليز ـ قال سعيد لخاله سعد زغلول: سأذهب الآن وأقدم استقالتى من منصبى، فلا يمكن أن أواصل العمل فى خدمة هذا الأفاق النصاب !!

ومضى الشاب الغاضب «سعيد زغلول» يروى لخاله مبررات تقديم استقالته قائلاً له:

ـ إننى قبلت هذه الوظيفة بناء على أمرك بعد إلحاح السلطان حسين الذى كان يعاملنى كابنه ولهذا تحملت ولكنى لا أقبل أن أعمل خادماً لسلطان أكرهه وأحتقره !!

وقال سعد زغلول: أنت على حق! إننى لو كنت مكانك لاستقلت أيضاً، إن «فؤاد» سوف يتصور أننى أنا الذى طلبت إليك أن تستقيل وترفض العمل فى خدمته، وسوف يعتبر هذا التصرف إعلاناً من أسرة زغلول بالحرب عليه وهذا أمر لايخيفنى !

وسكت سعد زغلول للحظات ثم قال بعدها وهو يتنهد:

ـ «إنه يعرف أننى أكرهه.. وأنا أعرف أنه يمقتنى !!»

وحدث ذات مرة أن ذهب الأمير أحمد فؤاد غاضباً يشكو وزير المعارف «سعد زغلول» إلى الخديو عباس حلمى الثانى بحجة أنه أهانه ورفض أن يصافحه !

وسأل الخديو سعد زغلول لماذا رفض مصافحة الأمير أحمد فؤاد؟!

وقال سعد زغلول للخديو: إن الأمير فؤاد رفض أن يعترف بوجودى كوزير مصرى، ومن حقى أن أرفض الاعتراف بوجوده على قيد الحياة!!

وكان سعد زغلول يعتقد أن «فؤاد» لايحس بأنه مصرى ولايحترم المصريين، وأن من حق المصريين أن يحتقروه إلى أن يتعلم الأدب والأخلاق!!

وكانت صفية زوجة سعد زغلول تشاطره نفس الرأى وتقول دائماً عن «فؤاد» إنه آخر أمير فى الأسرة يصلح سلطاناً!!

ولهذه الأسباب وغيرها أيضاً قال سعد زغلول لابن شقيقته: لو كنت مكانك لاستقلت!

ووقف الشاب «سعيد» وتقدم إلى خاله «سعد زغلول» وانحنى يقبل يديه بكل احترام وقال له: أشكرك ياخالى.. إن موافقتك على استقالتى من القصر هى أشبه بقرار إطلاق سراحى من السجن الذى عشت فيه!!». وبعد أيام قليلة تولى السلطان «أحمد فؤاد عرش مصر، وكان أول ما فوجىء به هو خطاب استقالة «سعيد زغلول» واعتبر طلبه وقاحة وقلة أدب يقف وراءها «سعد زغلول»! وأعجب سعد زغلول بموقف ابن شقيقته وقال له:

إننى سعيد لأن ابنى صفع السلطان على وجهه!!

وعندما سمع «سعيد» هذه الكلمات من خاله «سعد زغلول» تمنى لو أن الفتاة التى يحبها كانت واقفة معه وهى تستمع لكلمات سعد زغلول!!

كان «سعيد» مزهواً بنفسه، وتمنى لو أن هذه الفتاة سمعت بأذنيها جملة سعد زغلول: أنا سعيد لأن ابنى صفع السلطان على وجهه!!

كانت هذه الفتاة التى يحبها سعيد اسمها «نازلى» ! ! نعم اسمها «نازلى عبد الرحيم صبرى» ! ! وهى نفسها الفتاة التى تزوجها السلطان فؤاد بعد أيام قليلة ! !

إن أغرب ما فى قصة حب «سعيد» و«نازلى» ليس فقط نهايتها لكن البداية كانت تحفل بكل ألوان الدهشة والإثارة ! !

لقد بدأت قصة الحب منذ سنوات الطفولة، وكان كلاهما طفلا صغيراً، ونما الحب وولد ونضج على نار هادئة تماماً ! !

تفاصيل القصة من الألف إلى الياء عرفها الكاتب الكبير مصطفى أمين»، وكان مصدره الأول فى المعرفة هو والدته «فوقية» شقيقة صفية زوجة سعد زغلول ! !

كتب «مصطفى أمين» يقول :

كان «سعيد» الصغير قد أحب الفتاة الصغيرة «نازلى» وملأت قلبه وفكره وحواسه وأحلامه ! كانت طويلة القامة، رشيقة القد، بشرتها بيضاء كاللبن، وشعرها الأسود الطويل ينسدل إلى ماتحت ظهرها، عيناها سوداوان واسعتان ضاحكتان، كأنهما آنيتان مليئتان برحيق الأزهار. وكان وجهها مشرباً باحمرار فى لون ورد الربيع.

ولقد كان سعيد يشعر بأن شيئاً مجهولاً يجمعهما. إنها كانت يتيمة مثله، ماتت أمها كما ماتت أمه، وقالت أمها وهى على فراش الموت لصفية زغلول :

ـ أوصيك بنازلى .. اعتبريها ابنتك ! !

وعاملتها صفية كأنها ابنتها، كما عاملت سعيد كأنه ابنها، وكانت صفية ترسل باستمرار العربة الحنطور إلى بيت نازلى فى الجيزة، فتحضرها وتمضى اليوم كله مع رتيبة وسعيد ووهيبة ابنة شقيقة صفية، وكانوا يمضون يومهم فى «لعبة الشايب».

وكان «سعيد» دائماً يكسب اللعبة ويصدر أحكامه على اللاعب الخاسر وكانت ورقة «الشايب» تقع غالباً فى يد «نازلى» فيصدر «سعيد» حكمه على المتهمة «نازلى»، وكانت أحكامه على «نازلى» دائماً أحكاماً خفيفة سهلة ليست بقسوة أحكامه إذا ماوقع «الشايب» فى يد شقيقته رتيبة أو صديقتها وهيبة.

وهكذا بدأ بين الولد الصغير والبنت الصغيرة تفاهم وصداقة تطورت مع الأيام إلى حب، وكان الحب فى تلك الأيام جريمة لاتغتفر، ولكن كانت علاقة العاشقين الصغيرين هى نظرات يتبادلانها فى الخفاء، وبسمات يسرقانها من خلف ظهر شقيقته الكبرى رتيبة وصديقتها وهيبة، وقد كانتا متمسكتين تمسكاً شديداً بالأصول والتقاليد. وهكذا عاش العاشقان سنوات، وأحاديث الهوى بينهما هى أنفاس وزفرات وتنهدات لاتصل إلى آذان الرقباء.

وذات يوم قطع سعيد وردة من حديقة بيت سعد زغلول وأهداها لنازلى، فأسرعت وأخفتها فى صدرها، وأحس سعيد بسعادة لاحد لها .

✪✪✪

وحسب رواية مصطفى أمين أيضاً لم يكن هواهما البرىء سهلاً، فقد كان الاثنان يرتجفان من «صفية زغلول» فإذا جاءت وجلست معهما تشاركهما فى ألعابهما تعمد سعيد أن يتجه

بعينيه إلى الأرض حتى لاتلتقى عيناه بعينى «نازلى» !! وتعمدت «نازلى» ألا توجه إليه أى حديث. وكان «سعيد» يحدث نازلى عن كراهيته للعمل فى القصر (!!) وضيقه بالحياة فى داخل بدلة التشريفة (!!) وعن رغبته فى أن يترك عمله فى السراى ليتحرر من قيودها، فكانت «نازلى» تشجعه على أن يخطو هذه الخطوة، وتشاركه فى إيمانها بالحرية وتتعجله فى أن يترك حياة العبيد داخل القصور !!

وانتهز «سعيد» فرصة غفلة من شقيقته وزوجة خاله فعرض على نازلى الزواج فرحبت بالفكرة وشجعته على أن يتقدم لخطبتها !

وكان سعيد - والشهادة لمصطفى أمين - شاباً طويل القامة، عريض المنكبين. جميل الصورة، له عينان جميلتان، وكل الذين يعرفون سعد زغلول فى شبابه يقولون إن «سعيداً» كان فى تلك السنوات صورة طبق الأصل من خاله الذى كان فى تلك الأيام يفتن قلوب النساء !

ولهذا لم يكن غريباً أن تقع نازلى فى هواه، فهو الشاب الوحيد الذى تراه فى محيطها، ومن غير أقربائها الشبان، وقد ساعد على نمو الحب أنه كان يعيش دائماً فى خطر.. إنه يحاول أن يخدع عيون الأذكياء، فقد كانت «صفية زغلول» لماحة، قادرة على أن تقرأ ماتخفيه العيون، وكانت شقيقته «رتيبة» مشهورة باليقظة حتى أن أسرتها كان تطلق عليها اسم «شارلوك هولمز» !!

وفاتح «سعيد» شقيقته برغبته فى الزواج من «نازلى»، وطلب إليها أن تتولى إبلاغ «صفية زغلول» هذه الرغبة لتستأذن «سعد زغلول» فقد كان «سعيد» لايجرؤ على أن يتقدم بهذا الطلب مباشرة إلى «خاله» !!

ورحبت «رتيبة» بأن يتزوج شقيقها من صديقتها «نازلى»، ولكنها قالت إنها تفضل أن تسأل صديقتها رأيها !!

وألح «سعيد» على شقيقته فى ألا تسأل «نازلى». ولكن شقيقته أصرت على أن تسأل «نازلى» أولاً. وسألتها، فقال لها «نازلى» وهى تضحك : دعينى أفكر دقيقة !

وأمسكت «نازلى» ساعتها وراحت تراقب عقارب الثوانى، إلى أن قطع مسافة الدقيقة ثم قالت وهى تعانق «رتيبة» : موافقة جداً !!

وذهبت «رتيبة» إلى «صفية زغلول» وأبلغتها برغبة «سعيد» فى أن يتزوج «نازلى» فقالت صفية : إن سعيد ابنى ونازلى ابنتى، وأنا أرحب بهذا الزواج ولكن يجب أن أسأل «نازلى» رأيها قبل أن أعرض الأمر على سعد !!

واستدعت صفية زغلول «نازلى» إلى غرفة زينتها وأغلقت الباب عليهما وألقت محاضرة على أن كل فتاة يجب أن تتزوج، ولكن المهم أن يكون الزوج متعلماً ومستقيماً، وأن «سعيد» يريد أن يتزوجك، وإننى أعتبر نفسى أمك، ومع أنه يسعدنى أن تتزوجى من «سعيد» الذى أعتبره ابنى، إلا أننى لا أريد أن أؤثر عليك، فأنا أؤمن بأن الفتاة من حقها أن

ترفض أو تقبل من يتقدم لخطبتها، صحيح أن التقاليد ترى أن هذا ليس من شأن الفتاة، ولكنى أحب أن أسألك أنت رأيك أولاً!!

قالت نازلى: إننى لو تزوجته سوف أكون أسعد فتاة فى العالم. وضمتها «صفية» إلى صدرها وقبلتها وهى تقول: «وأنا أرحب بأن تقيما بعد زواجكما معى فى هذا البيت».

✪✪✪

وذهبت «صفية» إلى زوجها «سعد زغلول» وأخبرته برغبة «سعيد» فى أن يتزوج من «نازلى» ولم تخبره بأن «سعيد» اتفق مع «نازلى» على الزواج، فلو حدث أن عرف سعد زغلول بأن ابن شقيقته اتفق مع «نازلى» على الزواج بغير علمه لثار وأثار الدنيا عليهما فقد كان الفلاح فيه يعتبر أنه ليس من حق أحد من أفراد الأسرة الشبان أن يفكر فى الزواج بغير استئذانه.. هكذا كانت عادات وتقاليد تلك الأيام، ولهذا حرصت «صفية» على أن تتقدم إلى «سعد» بالفكرة على أنها اقتراح من عندها هى، ووافق «سعد زغلول» لأن والد نازلى - عبد الرحيم باشا صبرى - صديقه، كما أن «أم نازلى» كانت صديقة حميمة لزوجته.. ورغم ذلك كله طلب «سعد زغلول» من زوجته «صفية» أن تذهب وتسأل الفتاة «نازلى» أولاً قبل أن يتقدم إلى أبيها ويطلب يدها لسعيد.

وتظاهرت «صفية» بأنها سوف تفعل مايقوله زوجها سعد زغلول، ثم عادت إليه وأبلغته أن «نازلى» رحبت بالزواج من «سعيد»!!

وعندئذ ذهب «سعد زغلول» وقابل والد الفتاة وطلب يدها لسعيد ابن شقيقته، ورحب الأب «عبد الرحيم باشا صبرى» وقال لسعد: إنه سيسأل ابنته «نازلى» ويبلغه بالرد!!

وتأكد «سعد زغلول» من أن المسألة انتهت، فقد كان يعرف من زوجته أن نازلى قد سبق أن وافقت على الزواج!!» ..و..و..

وذات مساء دعا «سعد زغلول» صديقه «عبد الرحيم صبرى باشا» مدير المنوفية لمشاهدة إحدى الروايات فى الأوبرا، وفى أثناء الاستراحة سأله سعد زغلول:

- إنك لم تبلغنى بعد موافقتك على زواج «نازلى» من «سعيد» !!

وتلعثم «عبد الرحيم باشا» وأجاب إجابة مبهمة . ودهش «سعد زغلول» ودهش أكثر لأنه لاحظ تغييراً لم يفهمه فى تصرفات صديقه «عبد الرحيم صبرى باشا»، فلم يعد يطيق الدعابة كما كان يفعل من قبل، ولكنه اعتقد أن صديقه تأخر فى الرد عليه لأسباب طارئة، ولم يعلق ليلتها أهمية على إجابة صديقه المبهمة.

ولكن «سعد زغلول» فوجىء فى اليوم التالى بإعلان خطبة السلطان «فؤاد» للآنسة «نازلى» كريمة عبد الرحيم صبرى باشا»، نازلى التى خطبها لابن شقيقته «سعيد زغلول» والتى رحبت بهذا الزواج !!

وكان «سعد زغلول» واثقاً من أن «نازلى» سترفض هذا الزواج، كان يحبها، لقد حملها وهى طفلة تحبو، كان يعطف عليها ويعجب بأدبها وذكائها، وكان يرى خسارة كبرى فى أن

تتزوج نازلي من هذا الرجل، كان واثقاً من أن «نازلي» ستفضل أن تعيش في بيته زوجة لابن شقيقته «سعيد» على أن تعيش زوجة السلطان فؤاد «في قصر عابدين» ! !

وكانت زوجته صفية زغلول مؤمنة بأن نازلي لايمكن أن تخطو مثل هذه الخطوة قبل أن تستأذنها باعتبارها في مقام أمها. كانت مؤمنة بأن العلاقة التي بينهما أقوى من العلاقة التي بين نازلي وأبيها، فقد كانت «نازلي» تلجأ في كل أمر من أمورها إلى «صفية» فهل يصدق عقلها أن تقدم «نازلي» على هذه الخطوة بغير استشارتها واستئذانها، وهي التي سمعتها بأذنها تقول لها إنها لو تزوجت من سعيد زغلول فستكون أسعد امرأة في العالم؟ !

وكانت «رتيبة زغلول» تعتقد أن صديقتها سترحب بأن تكون سلطانة، فلم تكن حتى تلك الأيام تعرف بقوة العلاقة بين شقيقها الصغير وصديقتها الصغيرة.

✪✪✪

لقد تحول بيت الأمة إلى مأتم كبير بسبب «نازلي» ! !

أحس «سعد زغلول» أن كبرياءه . جرحت لأن السلطان خطف الفتاة التي اختارها زوجة لابنه بالتبني ! ! وأحست «صفية زغلول» بصدمة عنيفة، كأن السلطان اختطف ابنتها، الفتاة الصغيرة اليتيمة الجميلة التي طلبت أمها وهي على فراش الموت من «صفية» أن تأخذها وديعة عندها، وأن تكون أمها بدلاً منها. كانت صفية تعتقد أن السلطان فؤاد آخر من يصلح زوجاً لنازلي.

وكانت رتيبة تشعر بأن السلطان خطف منها صديقتها، وقد سرها في أول الأمر أن صديقتها الحميمة ستصبح سلطانة ولكنها عندما قرأت الدموع في عيني شقيقها المفجوع جزعت، ثم عندما عرفت من «سعيد» قصة الحب التي جمعته بنازلي في غفلة منها أحست بعظم الفجيعة ! ! إن صديقتها خانت شقيقها، باعته واشترت التاج، داست على قلبها لتصل إلى العرش. ومضت الأيام ونازلي لاتتصل ببيت «سعد زغلول» وكانت قبل ذلك تتصل بهذا البيت تليفونياً عدة مرات !

وتم عقد زواج السلطان فؤاد على الآنسة نازلي عبد الرحيم صبري !

وعاشت الأسرة في حزن كأنها فقدت إحدى بناتها .. كأن زفاف نازلي للسلطان هو جنازتها ! ! ولم يذهب أحد من الأسرة إلى بيت نازلي يهنئها بالخطبة، ولم يذهب أحد إلى القصر ليهنىء السلطان بزفافه.

وتأكد «سعد زغلول» أن شائعة زواج «فؤاد» من «نازلي» كانت حقيقة بالفعل ! !

✪✪✪

ولقصة زواج السلطان «أحمد فؤاد» من الآنسة «نازلي» جانب آخر مثير ولا يخلو من الطرافة. هذا الجانب بكل تفاصيله روته - بعد سنوات طويلة - الملكة نازلي للكاتب الصحفي الكبير مصطفى أمين «وقد رواه في كتابه المثير ليالي فاروق» الذي صدر عام ١٩٥٤ .

كتب «مصطفى أمين» يقول :

«ذات يوم كان السلطان فؤاد جالساً فى الأوبرا متنكراً فرأى فى «لوج» ثلاث فتيات مصريات، بالبرقع الأبيض الجميل الذى يخفى وجوههن! ورأى السلطان بين الثلاث فتاة طويلة واسترعت نظره عيناها الضاحكتان فسأل عن اسمها فلم يعرف أحد من رجال حاشيته من هى هذه الفتاة المجهولة! وبعد انتهاء الأوبرا راح السلطان يصف لمن حوله هذه الفتاة، وكان مهتماً بأن يجدها، وكان يريد أن يعرف هل هى متزوجة أم غير متزوجة؟! وهل هى مصرية أم غير مصرية؟! وذات يوم ذهب السلطان «فؤاد» إلى منزل «لادى جراهام» زوجة مستشار الداخلية الإنجليزى وقال لها:

لقد أصبحت سلطانا وأريد أن أتزوج؟! قالت له ليدى جراهام.

إنك لاتستطيع أن تخلص لامرأة واحدة، لقد مضى عليك عشرون عاماً وأنت أمير أعزب تنتقل من فتاة إلى أخرى ومن غرام إلى غرام، فهل من المعقول أن تتزوج الآن؟!

وقال السلطان فؤاد: إنه يعتقد أن واجبه الآن أن يتزوج وأن يسدل ستاراً على ماضى العزوبية!!

وسرعان ما قال السلطان لليدى جراهام: إنه رأى فتاة جميلة طويلة فى الأوبرا وراح يصفها وصفاً دقيقاً، وكان يصف كل جزء من وجهها، لأنه لم يلتفت إلى مشاهدة رواية الأوبرا فى تلك الليلة وإنما جلس فى لوج يتأمل وجه الفتاة التى تخفى وجهها وراء البرقع الأبيض الجميل!!

وفكرت ليدى جراهام قليلاً ثم قفزت من مقعدها وعندما سألها السلطان مندهشاً: إلى أين تذهب قالت له وهى تضحك: سأجيء لك بفتاة أحلامك!!

ودخلت الليدى جراهام.. إلى غرفة مجاورة وغابت دقائق ثم عادت ومعها صورة فوتوغرافية وقدمتها للسلطان، الذى ماكاد يراها حتى هب واقفاً وصرخ قائلاً: ـهى، هى بعينها، هى!! وراحت «ليدى جراهام» تهدىء السلطان فؤاد وتحاول أن تجلسه على المقعد، وكان لايزال ممسكاً بالصورة وقالت له:

-«إنها نازلى كبرى بنات «عبد الرحيم صبرى باشا»!!

وقال السلطان: هل هى متزوجة؟!

ابتسمت ليدى جراهام وقالت للسلطان: لا. ولكنى أشك فى أنها تقبل الزواج منك؟!!

قال السلطان: لماذا؟!

قالت: لأنى أعرفها جيداً!!

ومع ذلك راح السلطان فؤاد يرجوها ويتوسل إليها أن تذهب فوراً إلى بيت «عبد الرحيم صبرى باشا» وتطلب له يد هذه الفتاة.

✪✪✪

واضطرت الليدى جراهام أن تذهب إلى الدقى وتقابل «نازلى» وبادرتها قائلة:

-إننى جئت إليك فى مهمة دقيقة.. إن السلطان فؤاد يريد أن يتزوجك؟!

وضحكت نازلي وقالت لها :

مستحيل ! ! أتريدين أن أتزوج رجلا فى سن أبى إننى لم أفكر بعد فى الانتحار ! !

وراحت الليدى جراهام .. تحاول إقناعها بمزايا السلطان فؤاد ، وكانت نازلى تضحك ساخرة وتقول لها : إن العريس المنتظر قصير القامة ولا يصل إلى ركبيتها ! وقالت ليدى جراهام لنازلى : إننى أرجوك يانازلى أن تفكرى ! وردت نازلى على الفوربأنها لن تفكر ، وأنها تريد أن تتزوج شاباً صغيرا تخرج معه . وتدخل معه ، وتذهب إلى الأوبرا ، وتذهب إلى أوربا !

عادت «ليدى جراهام» لتقول لها : إنه سلطان ! !

قالت نازلى ساخرة : إنه سلطان كحيان ! ! من يعلم إذا كان سيبقى سلطاناً أو يخلع عن العرش ! ! تريدين منى أن أضيع شبابى من أجل سلطان غير مؤكد ! ! قد يخلعونه كما خلعوا الخديو عباس» ، والفرق بين عمرى وعمره ٣٠ عاماً ! ! لا .. لا ابحثى له عن سيدة وقور تتزوجه ! !

وقالت ليدى جراهام لنازلى : ولكنه يحبك ؟ !

وضحكت نازلى وقالت : لم يبق إلا أن يحبنى هذا الرجل العجوز ! !

وتأهبت الليدى جراهام للخروج من عند نازلى وكانت يائسة تماماً وسألت نازلى :

ـ إن السلطان ينتظرنى الآن ليعرف الرد ، ماذا أقول له ؟ !

وضحكت «نازلى» وقالت لها : قولى له إن ابنته الأميرة فوقية فى سنى ! ! ومن غير المعقول أن أتزوج رجلاً فى سن أبى ؟ ! ! وينسب «مصطفى أمين» لنازلى قولها :

«وترك أبى الأمر لى ، ولم يحاول أن يلح علىّ فى الزواج من السلطان ، مع أن السلطان كان يلاحقه فى الصباح والمساء ! !

وكان السلطان يتحدث معه يومياً كل صباح وكل مساء ، آملا أن أرد على التليفون ويسمع صوتى ولكنى كنت لا أكاد أسمع صوته حتي أضع سماعة التليفون مكانها وأرفض أن أتحدث ! ! كان السلطان يلف بسيارته حول البيت الذى كنت أقيم فيه كأى عاشق صغير ، وكان يسأل صديقاتى : أى المسارح سأذهب إليها ليكون هناك أو ليرانى عند خروجى أو دخولى ! واجتمعت بالسلطان عند الليدى جراهام .. ووجدته رجلاً ظريفاً ومحدثاً لبقاً ولم يحاول أن يظهر أمامى بمظهر السلطان وإنما حاول أن يظهر بمظهر الرجل المحترم ، ولهذا قبلت أن أتزوج منه .. »

انتهى ماكتبه مصطفى أمين فى كتابه الذى صدر عام ١٩٥٤م ، لكنه فى مذكراته «من واحد لعشرة» التى صدرت عام ١٩٧٦م ، روى بعض التفاصيل الجديدة والمثيرة فيقول :

أرسل السلطان فؤاد «إلى سعد زغلول صديق «أمين يحيى باشا» التاجر الكبير بالإسكندرية ليؤكد له أن السلطان قرر أن يتغير وأن يبدأ حياة جديدة ، وأنه سيصلى الجمعة كل أسبوع وأنه يرغب فى أن يؤدى سعد زغلول معه الصلاة ! وأنه يريد أن يعين عدداً من كبار سيدات مصر وصيفات فى القصر وأنه اختار «صفية زغلول» (زوجة سعد) لتكون وصيفة !

وثار الفلاح في «سعد زغلول» وغضب من أن يفكر السلطان العازب في أن يجعل زوجة سعد زغلول وصيفة في قصره، وقال سعد زغلول لرسول السلطان «أمين يحيى» وهو ينتفض غضباً: قل للسلطان.. إن سعد زغلول ينصحك أن تتزوج فوراً!! وخرج رسول السلطان من عند سعد زغلول مباشرة وذهب إلى السلطان في قصر عابدين وأبلغه بغضب سعد زغلول وبأنه يرى أن يبادر السلطان بالزواج فوراً!!

واعتقد السلطان أن بقاءه أعزب هو ثغرة يمكن أن ينفذ منها خصومه للطعن عليه مستغلين سمعته السيئة!! ويضيف «مصطفى أمين»:

«وأسرع الملك فؤاد إلى «ليدى جراهام» قرينة صديقه «سير جراهام» المستشار البريطاني لوزارة الداخلية وطلب إليها أن تبحث له فوراً عن عروس. وقالت له ليدى جراهام «إنها تعرف الآنسة «نازلى عبد الرحيم صبرى» وأطلعته على صورة فوتوغرافية لها، وقالت إنها تخشى ألا تقبل نازلى هذا الزواج لأنها أخبرتها بأنها مخطوبة لسعيد زغلول ابن شقيقة سعد زغلول! وطلب السلطان «فؤاد» من ليدى جراهام أن يرى «نازلى»!! فقالت له «ليدى جراهام» إنه ليس من الممكن أن تجعله يلتقى بنازلى لأن تقاليد أسرتها تمنع هذا اللقاء، ولكن من الممكن أن تدعو (أى الليدى) نازلى لتناول الشاى عندها، وأن يختبىء السلطان خلف ستارة ويرى «نازلى»!! وافق السلطان على الفكرة وذهبت «نازلى» إلى بيت ليدى جراهام مع شقيقيها وتناولت معها الشاى، ورآها السلطان من خلف الستار.. ولما عرف السلطان أن نازلى سوف تخطب إلى سعيد زغلول التشريفاتى الذى رفض أن يبقى للعمل في قصره بعد توليه العرش، ازداد تمسكه بأن يتزوج نازلى!!

✪✪✪

لكن أغرب الروايات في تفسير زواج «فؤاد» و«نازلى» هى ماجاء على لسان الكاتب الكبير «محمد التابعى»! وليس سراً أن محمد التابعى منذ اشتغل صحفياً وكاتباً في مجلة روز اليوسف، بل ساهم في تأسيسها عام ١٩٢٦م، ثم إصداره لمجلة آخر ساعة عام ١٩٣٤م، كان قريباً من القصر وكواليسه ودهاليزه وحكاياته وأسراره بل وشائعاته أيضاً!!

كان التابعى قريباً بدرجة تسمح له بأن يرى مالا يراه الآخرون!!

يقول «محمد التابعى»: لقد تعددت الروايات واختلفت عن زواج السلطان أحمد فؤاد من «نازلى» كريمة المرحوم عبد الرحيم صبرى باشا، ولكن الذى سمعته - أى التابعى - من رواة ثقات من أقاربها هوأنها (أى نازلى) أرغمت على هذا الزواج.. وأنها كانت تحب شاباً من أقربائها، واكتفى بذكر الحروف الأولى من اسمه «ش . ش»

كانت نازلى تحب قريبها الشاب وكان أملها في الزواج منه كبيراً إلى أن خطبها «عظمة السلطان» أحمد فؤاد من أبيها!!

وفى اليوم المحدد لعقد القران هربت نازلى فى الصباح الباكر - من قصر أبيها، ولجأت إلى حبيبها «ش .ش» (!!)

وراح الفتى ينتقل - وهى معه - طوال اليوم من دار صديق إلى دار صديق . . خوفاً من اردیه، فقد انطلق الأقارب وسلطات الدولة كلها تبحث فى كل مكان عن خطيبة «عظمة لطان».

وأخيراً أدرك الفتى: ولعله كذلك خاف مما قد يصيبه من بطش «السلطان» فأركبها عربة طور وأعادها إلى قصر أبيها فى المساء ! ! وعقد القران !

. . وأصبحت نازلى صاحبة العظمة السلطانة «سلطانة» ! !

لم يذكر التابعى اسم الشاب الذى أحبته «نازلى» واكتفى بذكر الحروف الأولى من اسمه بها «ش. ش» . .

وبعد مرور سنوات طويلة على هذه الرواية اعترف «عادل ثابت» - الذى كان ينتمى بصلة ابة إلى العائلة المالكة - بأن عمه الوسيم «شاهين» كان هو بطل قصة الحب وأضاف :

«إن الملكة نازلى حاولت وهى فتاة أن تهرب مع عمى الوسيم . . شاهين» وربما كان هذا ب قلق الملك فؤاد ! !

✪✪✪

. . وأخيراً تم زواج السلطان «فؤاد» من «نازلى» !

ورصدت مجلة آخر ساعة - لصاحبها وكاتبها الأول محمد التابعى - تفاصيل هذا الزواج، شرته بعد فترة طويلة من حدوثه ! كتبت «آخر ساعة» تقول :

وفى صباح يوم السبت ٢٤ مايو سنة ١٩١٩م، كنت ترى أمام سراى البستان - بشارع لوایاتی - صفوفاً من السيارات والعربات فإذا سألت عن الخبر قيل لك هذا «فرح السلطان» !

وقد كان فرح السلطان بسيطاً للغاية، فقد جلس المدعوون فى القاعة اليمنى بالسراى تى كانت فى وقت من الأوقات غرفة الاستقبال فى وزارة الخارجية، وكان يستقبلهم صاحب عالى محمود باشا شكرى رئيس الديوان الملكى فى ذلك الحين.

وكانت المنتظر أن الذى سوف يتولى صيغة العقد هو الشيخ «محمد أبو الفضل لجيزاوى» شيخ الأزهر خصوصاً وأنه قبل ذلك اليوم بعشرة أيام تقريباً تولى صيغة العقد بين سمو الأميرة «فوقية» (ابنته) ومعالى محمود فخرى باشا، ولكن الشيخ «أبو الفضل» كان صاباً ببرد شديد وأراد أن يخرج رغم ذلك لعقد القران فلما علم السلطان «فؤاد» منعه من لحضور. وباشر صيغة العقد مكانه صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ «محمد ناجى» رئيس لمحكمة العليا الشرعية فى ذلك الحين بحضور الشيخ «أحمد هارون» رئيس محكمة مصر لابتدائية الشرعية فى ذلك الوقت .

ورفض المغفور له «أحمد فؤاد» أن يعين لنفسه وكيلاً بل أصر على قبول العقد لنفسه نفسه إجلالاً لأحكام الشريعة الإسلامية وكان الوكيل عن جلالة الملكة «نازلى» والدها لمغفور له عبد الرحيم صبرى باشا، وكان شاهدا العقد صاحب المعالى «محمود باشا شكرى» رئيس الديوان العالى السلطانى، وسعيد باشا ذو الفقار كبير أمناء الحضرة المعظمة السلطانية فى ذلك الحين (وهو نفس والد الملكة فريدة فيما بعد).

وحضر هذا الاحتفال أصحاب السمو الأمير.. «كمال الدين حسين» والأمير «محمود حمدى» والأمير «على حيدر حجازى» والأمير «يوسف كمال» والأمير «عمر طوسون» ومحمد سعيد باشا رئيس مجلس الوزراء ويوسف وهبة باشا وتوفيق نسيم باشا وأحمد ذو الفقار باشا، وجميع أعضاء الوزارة السعيدية (نسبة إلى محمد سعيد).

وحضره كذلك أحمد مظلوم باشا بصفته رئيس الجمعية التشريعية، ومعالى «محمود فخرى» باشا «زوج فوقية ابنة فؤاد» وكان الأمين الأول للحضرة السلطانية. وكان بين الحاضرين «حسين أفندى صبرى» (خال العروس) وشريف أفندى صبرى (خال العروس) وكبار رجال الحاشية السلطانية.

وقدمت أكواب الشربات الأنيقة وعلب الملبس الثمينة وتفضل المغفور له جلالة الملك فؤاد وأهدى الشيخ «محمد ناجى» ساعة من الذهب المرصع بالماس ومبلغ مائتى جنيه، وقدم كذلك للشيخ «أحمد هارون» هدية ثمينة.

ولم تقم حفلة زفاف أو مغنى بل اكتفى بسهرة خاصة حضرتها شقيقات جلالة الملكة.»

✪✪✪

وصباح يوم الأحد ٢٥ مايو سنة ١٩١٩م أصدر ديوان كبير الأمناء بلاغاً رسمياً جاء فيه:

«نظر حضرة صاحب العظمة مولانا السلطان «فؤاد الأول» سلطان مصر المعظم بعين الحكمة العالية الدينية فى وجوب التمسك بما وصى به الدين الحنيف من أمر الزواج والاهتمام به عملاً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى وفقه الله وأسعد أيامه إنجاز ماعقد عليه عزمه الشريف نحو ذلك، وتم عقد القران السلطانى السعيد بقصر البستان فى صبيحة يوم السبت المبارك الموافق ٢٤ شعبان سنة ١٣٣٧هـ - ٢٤ مايو ١٩١٩م على سليلة بيوتات المجد والشرف حضرة صاحبة العظمة السلطانة «نازلى». جعله الله قراناً سعيداً محفوفاً باليمن والبركات عائداً على البلاد بالخير والسعادات بجاه سيد العرب والعجم القائل «إنى مباهٍ بكم الأمم. صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين».

وكانت أول برقية تلقاها السلطان أحمد فؤاد تهنئة بهذا الزواج من «جورج الخامس» ملك بريطانيا وجاء فيها:

صاحب العظمة سلطان مصر:

أرجو من عظمتكم أن تتفضلوا بقبول صادق تهانىّ وأحسن أمانىّ لمناسبة زواج عظمتكم وأدعو الله أن يكون هذا القران الميمون مبشراً بعودة النظام والاطمئنان فى مصر وطالع سعد لخير البلاد ومستقبلها.»

وأرسل «أحمد فؤاد» ببرقية شكر رداً على برقيته السابقة وجاء فيها:

صاحب الجلالة الملك - لندن

«أرجو من جلالتكم أن تتفضلوا بقبول فائق تشكراتى للتمنيات والتهانى اللطيفة التى تفضلتم بتوجيهها إلىّ لمناسبة قرانى ولما أعربتم عنه من أمانى الخير وسعادة المستقبل لمصر».

فلما غرد البلبل ثلاث مرات..
ولدت نازلى فاروق

فى تلك الأيام التى تلت زواج نازلى (٢٥ سنة) من الملك فؤاد (٥٠ سنة) كان كلاهما متلهفاً على الإنجاب ! !

وكلاهما كان يحلم بمولود «ذكر» لا «بنت» !

كان الملك فؤاد يطلب من الله أن يرزقه «بولد» ليعوضه عن ابنه «إسماعيل» من زوجته الأولى «شويكار» والذى مات دون أن يكمل العام ! !

كان فؤاد يحلم «بولى» عرش يرثه ويرث حكم مصر من بعده ويبدأ اسمه بحرف «الفاء» الذى يتفاءل به ! !

وكانت الزوجة الشابة «نازلى» تحلم بالولد فقد أصبح عمرها الآن ٢٥ سنة وهى سن كبيرة نسبياً فى تلك الأيام لزواج البنت ثم إنجابها بعد ذلك ! !

ومضت أيام العسل والهناء العائلى والعاطفى بين الملك العجوز والعروس الشابة.. كان كل يوم يمضى بغير أن تخبر «نازلى» زوجها الملك أنها غير حامل يحمل إليه علامات القلق والانزعاج ! !

وكان الملك من ناحيته يكاد يكون متفرغاً للاهتمام «بنازلى» ومراقبة حالتها الصحية وأى تغيير يطرأ عليها ! !

.. وذات يوم طلبت «نازلى» من إحدى وصيفاتها شيئا غريباً لتأكله، وأسرعت الوصيفة تبشر الملك بأن الملكة «حامل» وأنها تتوحم ونفسها فى «..» ! !

وطار الملك من الفرح، ولم تعد الأرض قادرة على حمله، وضحك بشدة، وكان صوت ضحكه أشبه بنباح الكلب المسعور ! !

✪✪✪

وبات مؤكداً أن «نازلى» حامل ! !

كانت سعادة «نازلى» لا حدود لها، أما سعادة السلطان فؤاد فقد كانت مضاعفة، فهاهو سيصبح «أباً»، كما أنه ضمن وراثة العرش لابنه من بعده ! !

وفيما بعد روت «نازلى» لمصطفى أمين مايلى :

كان السلطان «فؤاد» يرغب فى أن يكون له ولد، ليكون ولياً للعهد، وكان مهتماً كل الاهتمام بهذا الموضوع !

وكان المنجمون يرسلون إليه الخطابات والتوقعات بأن المولود سيكون «ذكراً» ولكن السلطان فؤاد كان مضطرباً كل الاضطراب .

وكان يحرص على صحتى كما تحرص الأم على صحة أطفالها ، فكنت إذا شعرت بتعب بقى إلى جانبى فى قصر البستان ورفض أن يذهب إلى سراى عابدين !

وكان كل فراغه يمضيه معى وكنت إذا طلبت شيئاً فى أثناء الحمل سارع وأحضره لى ! !

ومضت «نازلى» تقول أيضا :

وأذكر أننى طلبت يوماً «مشطا أبيض» من نوع معين ! !

وتصور السلطان «فؤاد» أنى أتوحم على هذا المشط الأبيض ! ! وأسرع إلى قصر عابدين واستدعى كبير الأمناء وقال له :

- أخرج الآن وابحث بنفسك فى جميع المحال التجارية عن مشط أبيض ! !

وراح السلطان «فؤاد» يشرح لكبير الأمناء شكل المشط . . وظن كبير الأمناء أن السلطان قد جُن ! ! ولكنه ذهب يبحث بنفسه فى جميع المحال التجارية عن المشط الأبيض المطلوب ! ! ولم يجد كبير الأمناء المشط ، وكان خائفاً أن يعود إلى السلطان ويخبره بذلك ، وكان السلطان غاضباً لتأخره وكان يسأل عنه كل خمس دقائق ! !

ثم أرسل السلطان «فؤاد» إلى الإسكندرية مندوباً خاصاً يبحث عن هذا المشط الأبيض ، وطلب منه أن يطمئنه تليفونيا من الإسكندرية على أنه وجد المشط الأبيض ، ولكن المندوب لم يجده ، فما كان من السلطان إلا أن أرسل برقية إلى «باريس» يطلب شراء المشط الأبيض وإرساله على أول باخرة !

وتقول «نازلى» أيضا :

كان السلطان «فؤاد» يستيقظ من النوم ويسير فى غرفة نومه جيئة وذهاباً ويخرج إلى الشرفة ويقول :

- يارب ولد ! ! إذا أعطيتنى ولداً فسوف أصلى ، وسوف لا أشرب الخمر وسوف لا ألعب القمار ! !

وكان من أقرب المقربين للسلطان فؤاد منجم هندى وكان يثق فى كلامه ونبوءاته ، وقد أخبر هذا المنجم الهندى السلطان فؤاد من قبل بأنه سيصبح ملكا ذات يوم ! !

كما أخبره أيضاً بأن حرف الفاء يجلب له الحظ السعيد ، وقرر فؤاد أن يقوم بكتابة حرف الفاء على كل شيء يمتلكه من العربات إلى الأطباق ومن الأثاث إلى أمشاط الشعر ! !

وتتذكر «نازلى» ضمن ذكرياتها التى سجلها الكاتب الكبير «مصطفى أمين» هذه الحكاية الغريبة أيضا فتقول :

«ذات يوم كان السلطان جالساً معى فى غرفة نومى فى قصر البستان ، وأقبل بلبل أبيض ووقف على نافذة الغرفة ، والتفت إلىّ السلطان وقال :

- لو غرد هذا البلبل ثلاث مرات ستلدين ولداً ! !

وإذا بالبلبل بالفعل يغرد ثلاث مرات، وأبرقت عينا السلطان بالسرور، وراح يهلل ويصفق وكأنه يرقص ويقول لى :

- ستلدين ولداً . . ستلدين ولداً ! !

فسألت السلطان : كيف عرفت أننى سألد «ولداً» ؟ !

فقال لى السلطان (هذه الحكاية) :

كان ذلك عندما أطلق علىّ الأمير «أحمد سيف الدين» الرصاص فأصابنى إصابة بالغة، ولم يستطع الأطباء تخديرى قبل استخراج الرصاصة، فأجروا العملية الجراحية وأنا متنبه، وكانت عملية مؤلمة وخطيرة حتى أن أمى (والدة فؤاد) رحمها الله أغمى عليها من هول المنظر ! !

ورقدت فى سريرى، وأنا يائس من الحياة . . كان كل ما حولى يدل على الموت. وجه أمى الشاحب، ووجوه الأطباء اليائسة، ووجه الممرض الجامد . . وأخيراً رأيت بلبلا أبيض يقف على نافذة الغرفة فقلت لنفسى لو غرد البلبل ثلاث مرات فسوف أعيش ! ! وغرد البلبل ثلاث مرات بالفعل» .

وبعد أيام من رواية السلطان فؤاد لهذه القصة - تقول نازلى - تم الوضع ! ! وفعلا رزقت بمولود ذكر هو «فاروق» ! !

ثم تضيف نازلى :

- أن فاروق لم يتم التسعة الأشهر التى أتمها كل طفل، فهو ابن سبعة أشهر لا ابن تسعة ! !

وبعد سنوات طويلة وصفت مجلة آخر ساعة حالة الملك فؤاد وما كان يجرى فى القصر يوم ولادة الملك فاروق فكتبت تقول :

فى صباح ١٠ فبراير ١٩٢٠م، ذهب «يوسف وهبة» باشا رئيس مجلس الوزراء إلى سراى عابدين لمقابلة السلطان «فؤاد» فاستبقاه لتناول الغداء !

ولاحظ «يوسف» باشا أن السلطان يلوح عليه الاضطراب فلم يشأ أن يسأل عظمته، ولكن مالبث أن قال السلطان :

- إن السلطانة ستضع بعد يومين . . وإن شاء الله يكون ولداً (! !)

وكان السلطان «فؤاد» شديد الرغبة فى أن تنجب السلطانة ولداً ليخلفه على عرش البلاد ! !

وكثيراً ما كان - السلطان فؤاد - يلتفت إلى يوسف باشا وهبة ويقول له :

- أدعُ أنت أيضاً أن يكون ولداً (!)

وعلى الغداء التفت السلطان إلى يوسف باشا وهبة وقال له :

- إذا جاء ولداً ماذا نسميه؟!

فقال يوسف باشا:

نسميه إسماعيل على اسم والدكم العظيم!

فقال السلطان:

- لا .. لا .. لقد كان لى ولد اسمه «إسماعيل» من البرنسيسة شويكار ومات!

فاقترح «يوسف باشا وهبة» تسميته «محمد على» باسم «محمد على» الكبير ولكن السلطان قال إنه يتفاءل بحرف الفاء فاسمه «فؤاد» واسم كريمته الأولى «فوقية» واسم زوج كريمته «فخرى» (وكان اسم والدته فريال).

وراح موظفو السراى يبحثون عن أسماء تبدأ بحرف «الفاء».. فائز، فريد، فاضل، فتحي، فتح الله، فكرى، فايد، فهمى، فائق، فؤاد.. إلخ.

وأخيراً قال معالى محمود باشا شكرى ناظر الخاصة الملكية، ورئيس الديوان السلطانى فى ذلك الحين:

- فاروق هو اسم عمر بن الخطاب.

✪✪✪

وفى الساعة العاشرة والنصف تمت الولادة وأسرع الدكتور «محمد شاهين» باشا إلى السلطان الذى كان يقطع غرفة المكتب ذهاباً وإياباً.

دخل شاهين باشا بدون استئذان وصاح:

- ولد يا مولانا ولد!!

ولم يصدق السلطان «فؤاد» لأول وهلة وتم إبلاغ مجلس الوزراء الذى اجتمع فوراً وأبلغ الخبر للمندوب السامى البريطانى..و..و

ويروى المؤرخ الكبير عبدالرحمن الرافعى أن مجلس الوزراء اجتمع بوزارة المالية عند وصول هذا الأمر السلطانى (بمولد فاروق) وقرر:

أولاً: إبلاغه إلى جميع المديرين والمحافظين بواسطة وزارة الداخلية.

ثانياً: إبلاغه إلى المندوب السامى البريطانى وإلى وزارة الخارجية البريطانية.

- ويعلق الرافعى على غرابة ماجرى بقوله:

«ولعلك تلاحظ مافى قرار مجلس الوزراء من الشذوذ فى إبلاغ نبأ مولد الأمير فاروق إلى المندوب السامى البريطانى وحده دون معتمدى الدول، ثم إلى وزارة الخارجية البريطانية ولكن الولاء للسياسة الإنجليزية أملى على الوزراء هذا القرار، كما جعلهم يحجمون عن المناداة بالأمير.. فاروق ولياً للعهد انتظاراً لصدور الأمر بذلك من لندن!!»

حتى ذلك الوقت كانت مصر لاتزال تحت الحماية البريطانية!! وحتى ذلك الوقت أيضا لم تكن مسألة وراثة العرش قد تم حسمها بعد!!

وكان أكثر الناس قلقا وانزعاجاً بهذا الأمر هو «السلطان فؤاد» نفسه، كانت بريطانيا وحدها هي صاحبة الحق في مسألة وراثة العرش وكيفية تنظيمها..

كان «فؤاد» يحلم بإنجاب ولد.. وقد تحقق الحلم بمولد «فاروق»!!

لكنه الآن يحلم بما هو أهم وأخطر، إنه يحلم بالمستقبل نفسه، وألا يخرج عرش مصر عن ولده فاروق!!

كانت عشرات الهواجس والمخاوف تنتاب السلطان فؤاد..!

وأخيراً استراح «فؤاد»!

أخيراً تعطفت الحكومة البريطانية ووضعت نظام وراثة العرش في مصر وصدر عدد خاص من جريدة الوقائع المصرية في ١٧ أبريل ١٩٢٠م وهو يحمل الترجمة الحرفية لنظام الوراثة، تحت عنوان «ترجمة الخطاب المرفوع للحضرة المعظمة السلطانية من حضرة صاحب المقام الجليل الفيلد مارشال اللنبى المندوب السامى البريطانى بشأن نظام وراثة السلطنة المصرية».

وجاء نص الترجمة الحرفى كمايلى:

دار الحماية في ١٥ أبريل ١٩٢٠م

يا صاحب العظمة.. إن الحادث السعيد الجديد ألا وهو ميلاد نجل لعظمتكم قد دعا حكومة جلالة الملك إلى النظر في نظام وراثة السلطنة المصرية، وعليه فقد أمرت من لدن جلالة الملك بأن أبلغ عظمتكم الاعتراف بنجل عظمتكم الأمير فاروق ونسله من الذكور على قاعدة

الأكبر من الأولاد فالأكبر من أولاده وهكذا.

وإن لم يوجد فيمن يولد لعظمتكم من الذكور ومن يتناسل منهم من الذكور على نفس تلك القاعدة كأولياء عهد لعظمتكم في حق تقلد السلطنة المصرية.

وإنى مع تقديمى التهانى لعظمتكم بهذه المناسبة السعيدة أسمح لنفسى بانتهاز هذه الفرصة للإعراب عن اعتقادى الخالص بأن المحافظة على العلاقات الودية التى تقتضيها مصالح بريطانيا العظمى ومصر ستكون دائما محل اهتمام عظمتكم ومن يخلفكم من السلاطين.

ولى الشرف بأن أكون على الدوام لعظمتكم بكل احترام وإخلاص.

«اللنبى فيلد مارشال»

القاهرة في ١٥ يناير سنة ١٩٢٠م

✪✪✪

ولم يتمالك السلطان فؤاد نفسه من السعادة!!

أما سعادة «نازلى» فكانت بغير حدود، لقد أنجبت «ولى العهد»!! وحققت لـ«فؤاد» الحلم المستحيل الذى فشلت في تحقيقه زوجته الأولى الأميرة «شويكار»!

وكان من الطبيعى أن يكتب السلطان فؤاد برقية شكر إلى الملك جورج الخامس ملك بريطانيا . . كان السلطان فؤاد مدينا بكل ما وصل إليه حتى الآن إلى سلطة الاحتلال الإنجليزى، وكان واعيا وعارفاً تماماً بهذه الحقيقة، وكتب «فؤاد» برقيته لجلالة ملك إنجلترا على هذا النحو :

القاهرة فى ١٦ أبريل سنة ١٩٢٠م ـ صاحب الجلالة الملك - لندرة «أرجو جلالتكم التفضل بقبول فائق تشكراتى على البلاغ الذى قدمه إلىّ اليوم بأمر جلالتكم الفيكونت «اللنبى» نائب جلالتكم بمصر بحصول الاعتراف بنجلى الأمير «فاروق» ونسله من الذكور على قاعدة الأكبر من الأولاد فالأكبر من أولاده وهكذا وإن لم يوجد فيمن يولد لى من الذكور ومن يتناسل منهم من الذكور على نفس تلك القاعدة كأولياء عهد لى فى حق تقلد السلطنة.

وإنى أنتهز هذه الفرصة لأؤكد لجلالتكم أن المحافظة على العلاقات الودية التى تقتضيها مصالح بريطانيا العظمى ومصر ستكون دائما محل اهتمامى، وأعتقد بأنى سأستطيع دائما الاعتماد على معاضدة جلالتكم الثمينة وجميل صداقتكم».

«فؤاد»

وبعد ٤٨ ساعة كان الملك جورج قد تسلم برقية «فؤاد» وقرأها وأرسل رداً عليها ختمه بقوله :

« أؤكد صادق ما أتمناه شخصيا لذات عظمتكم ولأسرتكم من العز والهناء»

✪✪✪

كانت «جيردا سجو برج» إحدى المربيات الإنجليزيات الموجودات داخل قصر الملك «فؤاد» !

جاءت «جيردا سجوبرج» لتعمل مربية - وهى من أصل سويدى - وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م كتبت مذكراتها ونشرتها على العالم كله ! !

شاهدت «جيردا سجوبرج» الكثير مما كان يجرى فى ذلك الوقت، روت المربية ذات الأصل السويدى كيف قادها رئيس أطباء الملك فؤاد من محطة الرمل بالإسكندرية إلى قصر رأس التين، وكان هذا الطبيب حسب قولها هو الوحيد المسموح له بدخول مكان الحريم !

وهناك قابلت «الملك فؤاد» وهو «رجل سمين يشبه النسر» تحدث إليها بالفرنسية.

ثم قابلت الملكة «نازلى» منفردة وقد تحدثت أيضا بالفرنسية، وتقول عن نازلى إنها تشبه فتاة باريسية جميلة . ! !

ثم تم تقديم الطفل الصغير الأمير «فاروق» وكان فى الرابعة من عمره إليها وهو يتحدث الإنجليزية بطلاقة، وألقى فاروق بذراعه حولها قائلا :

- إننى مسرور جداً لرؤيتك ! إنك معلمتى أليس كذلك ؟ !

ثم تصف المربية يوم عمل فى القصر فتقول : إن يوم فاروق كان يبدأ فى الثامنة صباحاً وتقوم فرقة موسيقية صغيرة بعزف السلام الملكى خارج شباك غرفته ، ثم يأتى خادم نوبى ليقوم بتجهيز الحمام وإعداد ملابس فاروق ، وبعد ذلك تقوم هى بمساعدته فى ارتداء ملابسه وتظل جالسة معه حتى ينتهى من تناول طعام الإفطار المكون غالبا من الشاى والخبز والمربى والزبد ! !

عقب الإفطار يصل رئيس خدم «فاروق» ودائما يرتدى الزى الأحمر ، فيقوم بالانحناء وتقبيل يد «فاروق» ثم يصحبه إلى حدائق القصر حاملاً شمسية تحمى فاروق من الحر والشمس ، ويظل فاروق فى الحديقة لمدة ساعة كاملة من العاشرة حتى الحادية عشرة حتى يتعلم الصبر ، وتقوم المربية بحكاية قصة له أو تعزف له الفرقة الموسيقية بعض المقطوعات ثم يلعب فاروق بعض التمرينات الرياضية ! !

بعد ذلك تصحب «جيردا» فاروق للاستحمام ولتصحبه إلى الزيارة الأولى إلى والدته الملكة «نازلى» ! ! حيث كان يمكث معها حوالى ساعة واحدة ! !

أما الزيارة الثانية التى يقوم بها فاروق لأمه الملكة فكانت فى السابعة مساء لمدة نصف ساعة ، بعدها تأخذه المربية إلى حجرته فيأخذ حمام المساء ثم تحكى له قصة لينام بعدها ! !»

كان إجمالى الوقت الذى يقضيه فاروق ابن الأربع سنوات مع أمه حوالى ساعة ونصف الساعة كل يوم ! !

كانت الملكة نازلى غاضبة وثائرة على هذا الوضع ، لكنها الأوامر ، أوامر الملك ! !

كان الطفل الوحيد الذى يلهو معه فاروق هو ابن أخت «جيردا» ، فقد كانت أوامر الملك صارمة : ممنوع اختلاط فاروق بأى أطفال ! !

وتنتقل «جيردا» فى مذكراتها لتصف حياة الملكة نازلى فتؤكد على أنها كانت فى غاية الضيق والملل ، إنها وحيدة مع خادماتها وحراسها ، عدا الزيارات المختصرة الرسمية من أطفالها ! !

لم يكن مسموحاً لـ «نازلى» أن تجلس فى الحديقة وتقريباً لا ترى زوجها أبداً وكل ماتفعله طوال اليوم أن تبدل ثيابها إذ إن لديها كماً هائلا ! !

والحدث الرئيسى لـ «نازلى» أن تنتقل من رأس التين إلى قصر العطلات فى المنتزة ، بالرغم من أن المسافة بين القصرين عدة أميال على كورنيش البحر المتوسط ، وكان التجهيز لهذه الرحلة يستغرق ثلاثة أيام لحزم الأمتعة والحقائب ، وفى إحدى المرات حدثت أزمة كبرى عندما فقدت واحدة من قبعات «نازلى» المفضلة ثم تم العثور عليها بعد ذلك داخل علبة ! !

وخلال الرحلة من قصر إلى قصر كانت «نازلى» ترتدى حجاباً والحراس يلتفون حولها وكأن هناك حرباً جارية .

وذات يوم ارتدت نازلى فستاناً من الشيفون الأصفر وارتدى «فاروق» بدلة حريرية زرقاء وطربوشاً أحمر ، وكان فاروق ذاهباً إلى أبيه فى قصر رأس التين ، وبدا الوداع بين نازلى

وفاروق وكأن كلاً منهما لن يرى الآخر ثانية وتقدمت «نازلى» وابنها وسارا فوق السجاد الأحمر حتى قافلة السيارات المنتظرة!!

وحتى لا يرى نازلى مئات الضباط الواقفين على الجانبين، كان لابد أن ترتدى «نازلى» حجاباً يحجب وجهها عن هؤلاء الغرباء!!

وكان الحادث المثير الثانى - كما تقول المربية «جيردا سجوبرج» هو العودة إلى القاهرة عند مجىء فصل الشتاء، (فى أكتوبر) حيث يغادر الملك فؤاد وزوجته «نازلى» الإسكندرية بقطارين منفصلين، كل منهما له قطاره الملكى الخاص(!!)

أما الأمير «فاروق» فله عربة خاصة فى قطار والده «الملك»! وبالرغم من أن «نازلى» لا يبدو منها شىء على وجه الإطلاق.. إلا أنها كانت غارقة فى مجوهراتها!!

وفى القاهرة كان وقت العائلة الملكية مقسماً بين قصر عابدين (القصر الرسمى) وقصر نهاية الأسبوع (قصر القبة)، وعن مراسم الانتقال إلى قصر القبة تقول المربية «جيردا»:

- الملك فؤاد يهرول مسرعاً وفى يده تاج الملكة «نازلى» أما نازلى نفسها فكانت تبحث وتفتش فى فساتينها اللانهائية لتقرر ماذا ترتدى؟! رغم أنه لن يراها إلا حراسها!!

وحسب شهادة «مصطفى أمين» فقد كان الملك فؤاد حريصاً على ألا تبدو الملكة نازلى سافرة أمام رجل حتى إنها لا تستطيع أن تتنزه فى حدائق القصر الملكى إلا إذا حجبت نصف وجهها، وبعدما يتحقق بوليس القصر من عدم وجود رجل فى المنطقة التى ستتنزه فيها الملكة، وفى الوقت نفسه يصدر الأمر إلى جنود الحرس الملكى الذين يقفون فوق جدران القصر أن يديروا ظهورهم إلى حديقة القصر طول مدة سير الملكة فى الحديقة!

وذات يوم قرر الملك «أمان الله خان» ملك أفغانستان أن يزور مصر فى طريقه إلى أوروبا تصحبه الملكة ثريا زوجته! ورحب الملك فؤاد «بملك أفغانستان»، ثم سمع أن الملك «أمان الله» دعا نساء أفغانستان إلى نزع الحجاب اقتداء بالغازى «كمال أتاتورك» الذى ألغى الحجاب فى تركيا، وجاءت البرقيات تقول إن الملكة ثريا سترافق الملك سافرة فى رحلته!

وعندئذ ألغى الملك فؤاد استضافة ملك أفغانستان فى قصر عابدين، بحجة أن التقاليد تحول دون إشراك الملكة ثريا فى الزيارة الرسمية، وعرف أن الملك فؤاد لا يريد أن تقيم «ثريا» فى قصر عابدين حتى لا تسمم أفكار الملكة «نازلى».

ووافق الملك «أمان الله» على أن تكون إقامة ثريا فى مصر إقامة غير رسمية، فلا تشترك فى الحفلات والاستقبالات التى يدعى إليها.

ولم يكتف الملك فؤاد بذلك بل أبلغ الملك أمان الله أنه يرجو ألا تظهر زوجته سافرة أثناء إقامتها فى مصر، مراعاة لتقاليدها!!

وخضعت ثريا غاضبة لرغبة الملك، وأصدر الملك فؤاد أمراً إلى وزارة الداخلية بعدم محاولة تصوير ملكة أفغانستان، وفعلاً لم تظهر صورة واحدة للملكة ثريا فى الصحف المصرية طوال مدة إقامتها!!

وعندما انتهت الزيارة وصعدت ملكة أفغانستان إلى الباخرة الإيطالية التى أقلتها إلى أوروبا أسرعت ونزعت الحجاب بحركة عصبية وقالت للصحفيين:

- أظن أننا لم نعد مقيدين بأوامر الملك فؤاد هنا (!!)

✪✪✪

طوال ١٣ عاماً لم تمارس الملكة نازلى دورها كأم مع ابنها «فاروق» !!

لم تلاطفه، لم تلاعبه، لم تشخط فيه كباقى الأمهات، لم ترضعه من ثديها !!

ومما يدعو للدهشة أن الملك فؤاد وحتى يبعد «نازلى» تماما عن دورها كأم - فقد جلب فلاحات مشهود لهن بكثرة الولادة والصحة الجيدة من تركيا لإرضاع «فاروق» !!

كانت الأم الحقيقية «لفاروق» طوال ١٣ سنة هى المربية الإنجليزية «مسز تايلور» التى تولت هذه المهمة بعد رحيل الإنجليزية ذات الأصل السويدى «جيردا سجوبرج» !

رافقت «مسز تايلور» فاروق منذ طفولته وحتى أعتاب سن المراهقة بكل مافيها من أحلام وتغيرات وأوهام !!

كانت «مسز تايلور» تعمل فى أحد المستشفيات الكبرى فى إنجلترا، وهى أرملة نحيفة الجسم. وكان الذى رشحها للعمل كمربية عند الملك فؤاد هو «تترنحتون» الذى أصبح مدرس الكيمياء الخاص بفاروق بعد ذلك.

كانت «مسز تايلور» بشهادة الجميع هى سيدة القصر الأولى، وليست «الملكة نازلى»، كانت هى «أم» فاروق فى الواقع وليس «نازلى» التى أنجبته !

كتب «عادل ثابت» الذى كانت والدته ابنة خالة الملكة نازلى وأقرب صديقاتها إليها يصف تلك المربية وعلاقتها بالملكة فيقول:

«كان أبغض الأشياء لدى الملكة «نازلى» هى المربية الإنجليزية للبلاط الملكى «مسز تايلور»، ويبدو أن الملك «فؤاد» كان يسعى لوضع زمام محكم حول أسرته، ولهذا الغرض استخدم مهارات «مسز تايلور» الصارمة، التى كانت تحكم الجزء المخصص للأطفال بيد من حديد، والتى فاقت سلطتها - التى كان يؤيدها الملك - سلطة الملكة نازلى» !!

إن الملكة نازلى لم يكن لها أى رأى فى التعليم المبكر لأطفالها، وكان يسمح لها فقط برؤيتهم لمدة ساعة تقريباً كل يوم حتى لا تقاطع دراساتهم !!

كانت «مسز تايلور» بالنسبة للبعض شمطاء نحيفة سليطة اللسان فى منتصف العمر تكره الملكة، ويشجعها الملك الغيور الذى تقدمت به السن على الإبقاء على سيطرة محكمة على الأطفال وإبعادهم قدر المستطاع عن تأثير أمهم !!

نازلى فى حوار صحفى..
زوجى غيور جداً

ثلاث سنوات كانت قد مضت على زواج «نازلى» من السلطان «أحمد فؤاد» ! !

ثلاث سنوات عاصفة مليئة بالغضب والقلق.. سيطرت على كل نواحى الحياة فى مصر ! !

انفجرت ثورة ١٩ بقيادة سعد زغلول عدو السلطان اللدود، وفى عز أحداث الثورة كان السلطان فؤاد يعلن زواجه «من» نازلى عبد الرحيم صبرى» ! !

وبعد ثلاث سنوات من ذلك الزواج كان السلطان أحمد فؤاد طبقا لتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م قد أصبح ملكاً، وأصبحت مصر دولة مستقلة ذات سيادة ! !

حتى ذلك الوقت كان كل مايعرفه الناس بشكل عام عن «نازلى» أنها أنجبت لجلالة الملك فؤاد ولداً وبنتاً ! ! كان فاروق قد ولد فى فبراير ١٩٢٠م، أما فوزية فقد ولدت فى ٥ نوفمبر ١٩٢١م. أى أن فاروق كان يكبرها بسنة و٨ شهور و٢٢ يوماً ! !

فى ذلك الوقت كانت «نازلى» سراً كبيراً ولغزاً يستعصى على الحل، ! !

لم تنشر لها صورة فوتوغرافية واحدة. كان الاقتراب من جلالتها جريمة لا تغتفر ! !

وفجأة أدلت جلالة الملكة بحوار صحفى مثير اهتزت له مصر كلها وأثار حنق وغضب واستياء زوجها الملك فؤاد ! !

لم تُدْلِ «نازلى» بهذا الحديث إلى «صحفى» رجل، فقد كان ممنوعاً عليها تماماً أن ترى صنف الرجال داخل وخارج القصر ! !

ولم تتكلم «نازلى» مع صحفية امراة، ففى ذلك التاريخ لم تعرف المرأة المصرية مهنة الصحافة ! !

كان حديث الملكة «نازلى» إلى الكاتبة والصحفية الأمريكية «جريس هوستون» ! !

كان دافع وفضول وشغف هذه الصحفية الأمريكية لإجراء حديث صحفى مع «نازلى» هو تلك المقالات والتحقيقات الصحفية العديدة التى أعدها وكتبها ونشرها صحفيون أمريكان عن أحمد فؤاد «وقالوا عنه : الملك فؤاد الذى يعيش فى القرون الوسطى ويعامل زوجته كمملوكة، لا ملكة، والذى أغلق عليها باب سجن رهيب ترفضه أى امراة أخرى من بنات الشعب. »

وكان من أغرب وأجرأ ماجاء فى كتابات الصحافة الأمريكية عن نازلى «إنها لا تستطيع أن تقابل والدها أو شقيقها إلا بإذن مسبق من زوجها الملك فؤاد، وكثيراً ماكان الحصول على هذا الإذن يتأخر شهوراً طويلة ! !

وقالت الصحافة الأمريكية أيضاً «إن نازلى لاتستطيع أن تزور بيت والدها أو بيت إحدى قريباتها إلا بإذن خاص من الملك على أن تتم الزيارة فى ظل حراسة مشددة فلا تستطيع نازلى أن تروى أى شيء عما تلاقيه من ظلم وإرهاب واضطهاد» ! !

وبالإضافة إلى كل ماسبق كان من أخطر مانشرته الصحافة الأجنبية تلك القصة الغريبة والمدهشة فى نفس الوقت ! وتقول تفاصيل القصة : زارت مصر سيدة بريطانية مرموقة تخدم فى البلاط الملكى البريطانى، وسمعت الكثير عما تعانيه الملكة نازلى فرغبت فى التعرف عليها ! !

ولم يستطع الملك «فؤاد» أن يرفض طلب هذه السيدة البريطانية «ليدى سان جريف».

وتملكت «نازلى» السعادة عندما عرفت بنبأ زيارة «ليدى سان جريف»، ووجدت فى تلك الزيارة فرصة ترجو فيها من السيدة البريطانية، أن تنقل إلى ملكة بريطانيا «اليزابيث» زوجة الملك جورج الخامس رجاءها الحار جداً بأن تتوسط هى وزوجها الملك جورج الخامس لدى الملك أحمد فؤاد لكى يخفف عنها بعض القيود المفروضة عليها.

وفوجئت «نازلى» أثناء لقائها مع الليدى سان جريف بإصرار مدام «قطاوى» باشا وصيفتها على البقاء، بل إن نظرات مدام قطاوى لنازلى كانت جامدة للغاية وكأنها تحذرها من أية كلمة ستقولها لليدى «سان جريف» ! !

وهكذا انتهت المقابلة دون أن تتمكن «نازلى» من أن تصارح «الليدى سان جريف» بمتاعبها وآلامها» ! !

✪✪✪

كل هذه القصص والحكايات عن الملكة «نازلى» كانت كفيلة بفتح شهية الكاتبة والصحفية الأمريكية «جريس هو ستون» بأن تسعى لمقابلة «نازلى» ورؤيتها عن قرب ثم الحوار معها ! !

ووصلت «جريس هو ستون» إلى مصر، وفشلت فى مقابلة «نازلى» رغم كل ماقيل لها من أن جلالة الملكة نازلى تتمتع بحرية تامة وأنها تستقبل من تريد ! !

ولكن إحدى صديقات «نازلى» المقربات أكدت لها «أن نازلى لاتخرج من السراى مطلقاً وأنها أيضاً لا تقابل إلا عدداً معيناً من السيدات، السيدات فقط لا الآنسات، وأن هؤلاء يدرجن أسماءهن فى كشف تعده كبيرة الوصيفات «مدام قطاوى» باشا اليهودية.

وتقوم بعرضه على الملك فؤاد الذى يشطب منه كما يشاء ثم يعيده إليها» ! !

وتقول «جريس هو ستون» : لقد تحققت بنفسى من هذا كله بل ووجدت أن مقابلة الملكة «نازلى» أصعب بكثير من مقابلة أى ملكة أخرى ! !

ووجدت أيضاً أنني لن أصل إليها إلا بالطريقة التي تصل بها إلى أي شيء آخر وهو «الواسطة» ! !

وتوسطت لي «ليدى كونجريف» زوجة القائد العام البريطاني، وأخبرتني أن عليّ أن أكتب اسمي أولاً في الكتاب الملكي (سجل التشريفات) فيحدد لي موعد بعد ذلك !

وذهبت مع «ليدى كونجريف» في سيارة يقودها سائق إنجليزي يجلس بجانبه خادم أسود في ثياب ذهبية مزركشة، وحين وصلنا إلى قصر عابدين، اجتزنا عدداً من البوابات الفخمة حتى وصلنا إلى جناح الملكة «نازلي» !

ووجدنا على الباب عشرة حراس عمالقة في ثياب أنيقة ومدججين بالسلاح لحراسة المدخل، ثم فتح لنا الباب «أغا» طويل وأغلقه على الفور، ووجدنا أنفسنا في ردهة فاخرة إلى حد البذخ وتوسطت الردهة ثلاث سيدات جميلات وتقدمت أولاهن بابتسامة رقيقة خلابة وقادتنا إلى منضدة من الرخام الفاخر وقدمت لنا قلماً من الفضة لنكتب اسمينا في الكتاب ! !

وكتبت اسمي وكتبت «ليدى كونجريف» اسمها، وقالت لي: أن هذا هو كل ماعلينا أن نفعله..

ولم يتحدد الميعاد إلا بعد شهر من كتابة «اسمي» وبعد سعي متواصل من الدكتور «هاويل» الوزير الأمريكي المفوض في القاهرة ! !»

وأخيراً أصبحت «جريس هوستون» وجها لوجه مع «نازلي» ! !

وحسب ما نشره الأستاذ «صبرى أبو المجد» في كتابه «سنوات ماقبل الثورة» فقد روت الصحفية الأمريكية قصة لقائها بالملكة نازلي على هذا النحو المثير:

«في اليوم المحدد توجهت إلى القصر أنا و«مسز هاويل» وبعد أن مررنا بكل البوابات والطقوس السابقة صعدنا السلم الضخم إلى غرفة استقبال الملكة.

وقد اجتزنا في طريقنا بوابة أنيقة محلاة بنقوش الذهب والفضة، ووقف عليها اثنان من الأغوات في ثياب مزركشة تبعث على الهيبة والإعجاب ! !

ثم وجدنا أنفسنا في غرفة واسعة بها مايقرب من عشر وصيفات بدين في جمالهن وأناقتهن وسحرهن كالحوريات.

ومن هذه الغرفة دخلنا غرفة أخرى كانت بها سيدة واحدة مهيبة الطلعة، تبدو بشعرها البلاتيني وثوبها الباريسي الأنيق مثالاً للجاذبية والأناقة والسحر الفرنسي !

وكانت هذه هي «مدام جوزيف (يوسف) أصلان قطاوى» باشا كبيرة الوصيفات التي أخذت في رقة ولباقة تفهمنا طقوس ومراسيم مقابلة ملكة الشرق.

وبينما كانت تتحدث كنت أجول ببصري في الروعة والفخامة والجو الخيالي المحيط بنا.. وأتصور كيف يغرق ملوك الشرق وملكاته أنفسهم في الترف والنعيم ناسين حياة شعوبهم !

وسارت مدام قطاوى وسرنا وراءها إلى الملكة ! !

وكانت جلالتها، واقفة فى غرفة واسعة، تحت صورة فخمة لحميها «الخديوى إسماعيل» وقد ارتدت ثوباً من القطيفة الخضراء الغامقة من صنع باريس وغطت أصابعها بمجموعة من الخواتم الماسية البراقة وتدلى من أذنيها قرط تعلقت به ماسة فى حجم البندقة، وكان شعرها مقصوصاً وفق الموضة الباريسية ولكنها وضعت فى مؤخرته مشطاً كبيراً على الطريقة الأسبانية، وكان لون بشرتها أبيض ناعماً . . وشفتاها رقيقتين وعيناها مكحلتين على الطريقة الشرقية التى تضفى على عيون المصريات سحراً.

وبدت جلالتها بسيطة جذابة «كماسة» نادرة من التى كانت تتحلى بها . . ولم تكد عينى تقع على هذا الجمال الساحر الخلاب، حتى أخذت ولم أملك إلا أن أقول:

- «إننى أدرك الآن ياصاحبة الجلالة لماذا يصر الملك على أن يحجبك عن لقاء الناس والصحفيين؟ !»

وضحكت جلالتها ضحكة عالية مرحة رفعت على الفور الكلفة بيننا وقالت فى أسلوب رقيق طبيعى:

- آه ياسيدتى . . ولكن يجب ألا تقولى هذا للملك . . بل يجب أن تؤكدى له أننى أستطيع الخروج ومقابلة الناس فى أمان فهو غيور . . غيور جداً جداً . . وضحكت وقلت لها:

- له حق . . وعلى كل حال فإن الرجال جميعاً فى هذا سواء ! !

واستطردت جلالتها تقول وعلى شفتيها ابتسامتها المرحة:

- لا . . ليس إلى هذا الحد، وبهذه المناسبة أخبرينى هل اخترعوا حقاً فى أمريكا تليفوناً يرى فيه المتكلمون بعضهم؟ !

وقلت لها: لا أدرى . . ولكن لماذا؟ !

واستغرقت جلالتها فى الضحك ثم قالت:

- جاءنى الملك منذ بضعة أيام قلقاً مهموماً وقال لى لقد اخترعوا فى أمريكا تليفوناً يرى فيه المتكلمون بعضهم وأنه سيعمم فى العالم قريباً . . وهذه المسألة تشغله إذ لايدرى هل يسمح بإدخاله فى القصر أم يرفع التليفونات كلها من هنا . . تصورى أنه غيور غيور إلى درجة لاتطاق ! !

ولم يكن فى حديث الملكة - تقول جريس هوستون - أية مرارة أو ألم بل كانت فى مرحها حسناء فى الثانية والعشرين من عمرها، قبلت مصيرها وأصبحت تجد متعة فى وجودها وسط أولادها وجواهرها ولكن . .

وقلت لها: كان يجب أن تتفقا قبل الزواج على حدود الغيرة وقيودها كما نفعل عندنا فى أمريكا ! !

وضحكت جلالتها ضحكة مرحة صافية على طريقتها وقالت:

ـ يبدو ياسيدتى أنك مازلت تجهلين تقاليد الشرق، مع ماقيل لى من إلمامك الشامل بأحواله.. إن الفتاة عندنا تتحجب من سن الرابعة عشرة، وتخطر أول ماتخطر فى الثامنة عشرة أو قبلها بأنها ستتزوج فلاناً!! وكل ماعليها هو أن تستعد، وقد قيل لى وأنا فى الثامنة عشرة من عمرى أن علىّ أن أستعد لأتزوج السلطان، ولما عارضت وكان العريس يكبرنى بسنوات عديدة ـ تعجبوا، وقيل لى كيف ترفض بنت الشعب.. يد السطان؟!

وأخذت جلالتها تضحك فى صفاء بينما سبحت وأنا أفكر فيما أعرفه من قصة هذا الزواج، وكيف قضت (نازلى) ثلاثة أسابيع في البكاء، والصراخ قائلة إنها لاتريد أن تفنى شبابها مع رجل فى سن أبيها، وإنها لاتريد أن تعيش إلى جوار رجل لايعيش فى قلب أحد من رعاياه(!!) ثم كيف تغلب نظام الأسرة التركى، ووجدت هى أن زواجها أصبح أمراً لا مفر منه، وكيف ظلت تقاوم حتى آخر لحظة حتى لقد تم الزواج بلا احتفال ولا صخب كما هى العادة ولم يشهده سوى أسرة العروسين من الرجال وسيدتين فقط إحداهما مدام قطاوى وطبعاً لم يفرح أو يخفق قلب أحد فى مصر لزواج الملك المتعجرف الذى كان يعيش فى خوف دائم من شعب بلاده(!!)

وسألت جريس هوستون الملكة نازلى: هل ترين الحرية قادمة إلى نساء مصر؟!

ـ وترد نازلى على الفور: «إن الحرية قادمة لاشك فى ذلك ولكنها قادمة ببطء وأنا فرحة بها وأدعو الله صباحاً ومساءً ألا تلقى فوزية (٥ شهور) نفس مصير أمها وأن تستمتع بالحرية فتستطيع أن تتزوج ممن تريد، وتسافر، وتذهب، وتجىء.. الأمر الذى لا أستطيعه أنا».

وسرت غمامة حزن فى وجه الملكة ولكنها مالبثت أن استعادت مرحها بسرعة وقالت:

ـ إن فوزية ستأخذ بثأرى لا مناص!!

وسألت جريس هويستون الملكة:

أظنك على علم بحركة المرأة الجديدة وكفاحها، فما رأيك فيها؟!

وقالت نازلى: «إننى أعرف طبعاً شيئاً مما يفعلن، وأنا شديدة الإعجاب بهن، وإن كنت لن أجنى شيئاً من ثمار حركتهن، ولكن ستتمتع بها «فوزية»!!

وعن هواياتها المفضلة قالت نازلى: «إنها تحب السفر، وقد طلبت من الملك مراراً أن يصحبها معه فى أسفاره فلم يوافق، لغيرته الشديدة عليها كما يقول، إنها لم تسافر إلى أوربا إلا عندما كانت فى الثالثة عشرة من عمرها!!

وتقول نازلى إنها تحلم بزيارة أمريكا وإنها لاتسافر إلا إلى الإسكندرية التى لا تحبها، وتفضل عليها أوربا ولكن الملك غيور غيور جداً!!

وتقول الملكة نازلى تعليقاً على غيرة الملك «أحمد فؤاد»: إن هذا حمق وغباء فظيع!!

كما تقول نازلى أيضاً : إنه يصعب عليها أن تحصل على كتاب إنجليزى واحد عن المرأة ! !
وعندما تسألها «جريس هوستون» عن الطريقة التى يمكن بها أن ترسل بكتاب أمريكى جديد عن المرأة قالت لها :
«أرسليه إلى مدام «قطاوى» ليمر على رقابة الملك قبل أن يصل إلى يدى» . .

✪✪✪

كان مانشرته «جريس هوستون» على لسان الملكة «نازلى» شيئاً جريئاً وغريباً ولافتاً للانتباه وداعياً للدهشة ، ولم يكن القارىء المصرى قد تعود على قراءة مثل هذا الكلام ! !
وكانت الكاتبة والصحفية الأمريكية قد قدمت حديثها مع «الملكة نازلى» بقولها :
ـ قرأت فى طفولتى قصة العصفور والقفص الذهبى ، ولكننى لم أر عصفوراً حقاً داخل قفص . . من ذهب إلا حينما قابلت الملكة نازلى ملكة مصر الجميلة ! !
والملكة نازلى نموذج حى لهذه الأسطورة بل هى مثل بارز لمأساة المرأة أو بالأخرى الملكة الشرقية فى مصر الحديثة(! !) ولقد آمنت بعدما عرفت قصتها بالمثل القائل : «مصدوعة الرأس التى تحمل تاجاً» .
وقد تفضلت جلالتها فأذنت لى بأن أختلس نظرة إلى السجن الفخم الذى تقبع فيه وإلى العزلة الوثيرة التى تحيا فيها فى قصر عابدين أو على الأصح مقاطعة عابدين ، فهو أفخم قصر رأيته فى حياتى !
ولقد تم هذا فى نفس الوقت الذى كانت مصر تتحول فيه بواسطة تصريح بريطانى (٢٨ فبراير ١٩٢٢) إلى مملكة مستقلة ذات سيادة . . وكانت «نازلى» تتحول فيه أيضاً إلى «ملكة» صاحبة جلالة بجوار زوجها الملك «فؤاد الأول» ! !
ولقد نشأت الملكة «نازلى» وعاشت حتى زواجها فى بيئة مصرية متحررة ، وكانت أمها من صديقات «صفية هانم زغلول» الحميمات ، كما كانت من المؤايدات لحركة المرأة الجديدة وزعيماتها ، ولكنها ككل الزعيمات الوطنيات فى مصر نفضت يدها من «نازلى» وأمها (فات على الصحفية الأمريكية أن والدة نازلى ماتت قبل بضع سنوات من زواج نازلى) ذلك لأنه صفية زغلول كانت تؤمن بأن الملك فؤاد صنيعة البريطانيين وأنه لايحب المصريين ! !
و دخل الخدم يحملون القهوة والفطائر وحينما انتهينا من تناولها وقفت الملكة إشارة إلى نهاية الزيارة ، ووقفنا مصافحين مودعين ، وتركت «نازلى» ملكة مصر الجميلة كما التقيت بها محوطة بالأزهار النادرة تحرسها روح الخديو ، وفى آخر الردهة استدرت مرة أخرى لأنظر إليها وكانت لاتزال واقفة فلوحت لها بيدى على طريقتنا الأمريكية ، وتناست جلالتها التقاليد وأخذت تلوح لى بيدها البضة الجميلة ذات الماسات البراقة ، رأيتها هى الأخرى ماسة نادرة فى صندوق فاخر ، ولكنه صندوق معتم ، مظلم . .

ولقد خرجت من عند الملكة «نازلى» وأنا أؤمن بأن هذه الملكة الصريحة الطموح سيدة ذات روح متحررة وأنها ستنتهز أول فرصة سانحة لكى تحطم كل القيود التى تضعها التقاليد حول عنقها وتهرب من السجن الشامخ الذى تعيش فيه»..

✪✪✪

فجأة اكتشفت الملكة «نازلى» «مصيبة سودة» داخل أروقة القصر!!

لم تكن مصيبة سودة فقط بل كانت فضيحة خلقية جرت بالقرب من غرفة نومها!!

كانت بطلة هذه الفضيحة المثيرة إحدى وصيفاتها، كان عمرها أربعين عاماً وأرملة وفجأة أصبحت «حاملا»!

كانت هذه الوصيفة من أصل تركى، وتطلع الملك فؤاد إليها فجذبه جمالها الهادىء المثير وبدأ يتتبعها بنظراته الوقحة والملتهبة والتي كانت تحس بها «سياطاً» تلهب جسدها!!

تجاهلت الوصيفة تلك النظرات الملتهبة، وتعمدت أن تتغابى عن مغزاها الحقيقى، وتعددت مناورات الملك فؤاد لالتهام الأرملة الحسناء وكان معروفاً عنها - بشهادة الجميع - أنها محافظة تخشى الله.

ولم ييأس الملك فؤاد، وصمدت الوصيفة طويلاً!! ولم تستجب لإشاراته الوقحة ورغبته المجنونة فيها بأى ثمن!!

وحسب رواية الكاتب الصحفى «إبراهيم البعثى» فى كتابه «أسرار للبيع» حدث مايلى:

«فى إحدى الليالى فوجئت الوصيفة وهى فى فراش النوم بالملك فؤاد ينام إلى جوارها وظنت أن هذا خطأ ملكى، وأن جلالته أخطأ ودخل حجرة الوصيفة على أساس أنها حجرة الملكة، ولكن النور كان يضىء الحجرة ويؤكد فى حسم أن جلالته لم يخطىء!!

وبنفس الهدوء الذى دخل به الملك إلى الحجرة غادرها، دون أن ينطق بحرف واحد، بعد أن أطفأ الحريق الذى كان يكتوى به منذ زمن بجمال الوصيفة التعسة..

ولم يعد الملك إلى حجرتها مرة أخرى.. ومرت الأيام وبدأت الملكة نازلى تشهد انتفاخاً فى بطن وصيفتها.. وظنت فى بادىء الأمر أن هذا الانتفاخ يرجع إلى سمنة طارئة ولكنه أزداد وضوحاً مما بعث الشك والذعر فى قلب الملكة نازلى فهى تعرف الطيبة والصلاح فى وصيفتها والملكة نازلى لا تفترق عنها إلا قليلاً.

والملكة نازلى لم تكن غبية أو امراة ساذجة، وسألت الملكة وصيفتها مراراً عن سر انتفاخ بطنها ولكن الإجابة المضطربة الحائرة لم تتغير ولم تزد الأمر وضوحاً.

وتضخم بطن الوصيفة بشكل لايقبل الجدل، وأصبح واضحاً أنها حامل، ونادتها الملكة «نازلى» وأغلقت الباب عليهما، ولم يفتح الباب إلا بعد أن عرفت الملكة نازلى أن والد الجنين الذى يحمله بطن الوصيفة هو نفسه زوجها الملك فؤاد الأول.

وذهبت «نازلى» إلى مكتب الملك لتقدم إليه ورقة بها كشف بمكافأة الوصيفة عن مدة خدمتها وبقية مرتبها حتى سن المعاش، وقالت نازلى :

ـ وقع هذه الورقة !!

واضطرب الملك فؤاد ثم قال : ولكن !!

وقاطعته «نازلى قائلة : مالاكنش !!

وفى هدوء قام الملك بتوقيع الورقة . . وخرجت الوصيفة من القصر، أما الجنين الذى كان فى بطنها فقد تكفل بالإجهاز عليه طبيب كبير معروف .

✪✪✪

ولم تكن هذه أولى المفاجآت التى اكتشفتها «نازلى» !!

بعد سنوات كانت فى انتظارها مفاجأة أخرى وكانت آخر من يعلم بها !!

لقد بنى الملك «فؤاد» استراحة خاصة له فى ضاحية حلوان - وهى التى عرفت فيما بعد باسم «ركن فاروق» !!

وحسب رواية شيخ الصحفيين «حافظ محمود» فإن «نازلى» لم تعلم بها إلا بمحض الصدفة !!

وسألت الملكة نازلى زوجها الملك : ما لزوم هذه الاستراحة ؟!

أجابها بقوله : إنه حين يكون فى طريق عودته من التفتيش على مزارعه فى بلدة «كفر العلو» يشعر برغبة ملحة فى الاغتسال من جو الريف، ولهذا بنى هذه الاستراحة فى وسط الطريق!

واسترابت الملكة «نازلى» فى الأمرورغبت فى أن تزور الاستراحة بنفسها وتتأكد مما يقوله زوجها جلالة الملك !!

ولم يستطع الملك فؤاد أن يرفض طلبها وأوفد معها كبير الياوران وقتها «شحاتة كامل» ووصلت الملكة معه إلى الاستراحة وراحت تعصره بأسئلتها القلقة :

ـ وغرفة المائدة هذه . . مالزومها ؟!

قال : وما المانع يا مولاتى ؟! أليس من التلطف أن يدعو صاحب الجلالة مرافقيه إلى أكلة خفيفة فى هذا الطريق؟!!

قالت الملكة بخبث وغيظ فى نفس الوقت :

ـ أكمل . . أكمل . . تقصد فى هذا الطريق الشاعرى؟!!

رد : لا أقصد يامولاتى . . لا أقصد !!

قالت «نازلى» ثانية له : وقل لى من فضلك، وغرفة النوم هذه مالزومها ياحضرة كبير الياوران ؟.

قال : ربما . . !! ولم تدعه «نازلى» يكمل باقى كلامه وانفجرت صائحة :

ـ ربما إيه . . إنكم تتسترون على مولاكم.

وحدث فى تلك الأيام أن نشرت مجلة روز اليوسف صورة للملكة «نازلى» ووجهها مكشوف ! !

وقامت قيامة الملك فؤاد ، وطلب من «توفيق نسيم» باشا رئيس الديوان الملكى أن يطلب من «عبدالخالق ثروت» باشا رئيس الوزراء إغلاق مجلة روز اليوسف بتهمة العيب فى الذات الملكية ! !

وحقق مدير المطبوعات مع السيدة روز اليوسف ، فقالت إن الصورة منقولة عن جريدة فرنسية وزعت فى مصر !

واكتفى مدير المطبوعات بتوجيه توبيخ شديد اللهجة إلى السيدة «روز اليوسف» ! !

بل كان «الطفل» فاروق نفسه شاهداً على المكانة المتدنية التى تحظى بها أمه ، ورأى كثيراً كيف كان أبوه الملك يعاملها ويتصرف معها بقسوة وغلظة ! !

يقول «مرتضى المراغى» باشا فى مذكراته :

«أحب فاروق أمه حباً جماً، وكره والده لما رآه من قسوته البالغة وغيرته الهوجاء على الملكة ، فلا ينقضى يوم من غير أن يعنفها ويشتمها أمام ابنها ! !

وكان (فاروق) يرى المهانة التى تتعرض لها أمه من مديرة القصر «الكلفة» التى كانت لها حظوة بالغة عند الملك فؤاد وكانت هذه «الكلفة» هى الآمرة الناهية فى القصر حتى أنها كانت تحطم أوامر الملكة وتأمر خدم القصر ألا يأبهوا بها .

وكانت تتجسس على الملكة وتنقل إلى الملك عنها أخباراً كاذبة لتثير غضبه عليها ، وقد نقلت إليه مرة أن الملكة كانت واقفة شبه عارية فى شباك غرفتها تبتسم لأحد ضباط الحرس الشبان ، وكان جميل المظهر ، فذهب الملك فى الحال إلى غرفة الملكة وقد لسعته عقارب الغيرة. ولسوء الحظ وجد الملكة قريبة من النافذة حيث فتح الباب فانهال عليها لكماً وركلاً وأصابها بجراح فى وجهها أمام فاروق.

ومنذ ذلك اليوم لم يبق من الحرس الملكى ضابط حسن الصورة ، وعلمت الملكة أن التى وشت بها هى «الكلفة» ، وكانت تعلم أن للملك علاقة خاصة معها ، وأرادت أن تتحين الفرصة لتفاجىء الملك معها وتكيل له الصاع صاعين. وهداها تفكيرها إلى أن ترسل «فاروق» يتلصص على أبيه من ثقب الباب ، ويستمع إلى مايدور بينه وبين الكلفة .

وهكذا كانت طفولة فاروق حرمانا من صحبة الأطفال وابتعاداً عن أبيه ورؤيته لأمه وهى تضرب وتهان ، واستماعه أغلب الوقت إلى حديث السيدات اللاتى يسمح لهن بدخول القصر للتحدث مع أمه.

نازلى ضد زوجها سياسياً وعاطفياً

أثار الملك «فؤاد» غضب الجميع ! !

كان الكل غاضباً من الملك فؤاد ! !

كان على رأس الغاضبين «سعد زغلول» و«الملكة نازلى» ! !

وقبل «سعد زغلول» و«الملكة نازلى» كانت مصر كلها تغلى بالغضب من الملك فؤاد ! !

كان ذلك فى عام ١٩٢٥ ، وكانت مصر كلها تعيش أجواء ما بعد سقوط أول وزارة دستورية فى تاريخها الحديث برئاسة «سعد زغلول باشا» !

وزاد الغضب بظهور حزب جديد فى يناير ١٩٢٥ اسمه «حزب الاتحاد» كان وليد إرادة السراى، وكان يدعو للولاء للعرش ! ! باعتبار أن الوفد وسعد زغلول أعداء العرش !

يوماً بعد يوم وأسبوعاً بعد أسبوع كان حلم العمر بالنسبة للملك «فؤاد» أن تنشق الأرض لتبلع «سعد زغلول» وكل من يسير وراءه ! !

لم يغفر أبداً «الملك أحمد فؤاد» لسعد زغلول أنه كان دائما يهينه ، وكان أكثر ما يقلق بال الملك ويفزعه أن عدداً كبيراً من الأمراء والأميرات كانوا كلما اختلفوا مع «الملك» أعلنوا تأييدهم لسعد زغلول، وكان كل واحد منهم يحلم بأن يخلع «سعد» الملك . وينصبه بدلاً منه على العرش ! !

ومما زاد الطين بلة أن «شويكار» مطلقة الملك السابقة كانت تطارد سعد باستمرار، وكانت تتردد باستمرار على بيت الأمة وتلح فى مقابلة سعد زغلول ، وكانت صفية زغلول تستقبلها بأدب وتعتذر لها بأعذار مختلفة وتنتهز الفرصة لتفهمها بلباقة أن سعد «سعيد فى زواجه وأن قلبه مشغول بحب مصر وليس فيه أى مكان لامراة أخرى». كانت «صفية» تخشى على زوجها من «شويكار» زوجة الملك فؤاد السابقة والتى ذاعت شهرتها بأنها «خطافة الرجالة» وكانت قد تزوجت ثلاث زيجات حتى ذلك الوقت ! !

وبقدر ماكانت «صفية» تكره «شويكار» كان قلبها يحمل الكثير من الود والحب «للملكة نازلى» حتى بعد أن تزوجت الملك فؤاد ! !

كان ذلك فى صيف عام ١٩٢٥ ، كان يتولى الوزارة «أحمد زيور» باشا بعد استقالة «سعد زغلول» فى أعقاب اغتيال السردار.

كان أول مافعله «زيور» باشا هو حل مجلس النواب (فى ٢٤ ديسمبر ١٩٢٤) حيث كانت الأغلبية فيه للوفد بزعامة سعد زغلول عدو الملك فؤاد اللدود !

وتقرر إجراء انتخابات جديدة، وجاءت النتيجة صدمة للملك والإنجليز ورئيس الوزراءنفسه.. فقد فاز ٩٠ من أنصار سعد زغلول، و ٩٠ من المعادين له و ٣٠ آثروا الحياد!!

وبعد افتتاح الملك فؤاد للبرلمان اجتمع المجلس لاختيار رئيسه، وكانت المفاجأة هي نجاح «سعد زغلول» وسقوط «عبد الخالق ثروت».

وقرر الملك فؤاد حل المجلس!!

وقرر الملك فؤاد ماهو أخطر بكثير، قرر اغتيال سعد زغلول معنوياً وأدبياً، ورسم خطة الاغتيال مع المندوب السامي البريطاني بالنيابة، وتولت الملكة «نازلي» نقل هذه التفاصيل إلى «سعد زغلول» ليأخذ حذره وباله من الملك.. زوجها!! عقب لقاء غامض وخطير بين الملك فؤاد والمندوب السامي كتب إلى وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ ٢٦ يونيو ١٩٢٥ تفاصيل محاولة اغتيال سعد زغلول.

قال الملك فؤاد للمندوب السامي:

ـ لقد تمت عرقلة سعد زغلول، ولكن لم يقض على سعد زغلول حتى الآن، وقبل أن تتمكن البلاد من دخول مرحلة الهدوء يجب قتل سعد زغلول أدبياً، وتوريطه في مؤامرة اغتيال السردار إذا أمكن ذلك . والانتخابات الجديدة لاينبغي إجراؤها في أكتوبر أو نوفمبر ولكنها يجب أن تؤجل حتى يناير أو فبراير القادمين (١٩٢٦) فالشهور القليلة القادمة لن تكفي لتشويه سمعة «سعد زغلول» بحيث لايحصل إلا على أقلية تافهة في انتخابات مجلس النواب الجديد!!

وكانت أمنية الملك فؤاد أن يرى حزب سعد زغلول وقد انكمش للغاية إلى حوالى ١٢ أو ١٤ عضواً لكى يتحول إلى مثار للهزء والسخرية!!

لم يكن سعد زغلول يعرف أى شيء من تفاصيل المؤامرة التى يدبرها ضده في الخفاء الملك فؤاد!! ولم يكن يعلم بذلك كله إلا الملك فؤاد والمندوب السامي فقط!!

ولا أحد يعرف على وجه اليقين كيف عرفت الملكة «نازلي» بتفاصيل ماجرى بين زوجها الملك والمندوب السامي!!

ولا أحد يعرف الخواطر والمشاعر والانفعالات التى تسللت إلى أعماق الملكة «نازلي» بمجرد أن عرفت ماينوى الملك فؤاد (زوجها) تدبيره تجاه «سعد زغلول»!

ربما تذكرت «نازلي» حبها القديم «لسعيد زغلول» ابن سعد زغلول بالتبنى ، ربما تذكرت أيام طفولتها في بيت الأمة وحبها لصفية زغلول التى كانت تعتبرها مثل أمها وأكثر.. و ..

وقررت «نازلي» أن تروى لسعد زغلول تفاصيل مؤامرة الملك كاملة.. يقول «مصطفى أمين»:

في أوائل شهر يوليو (١٩٢٥) جاءت إلى بيت الأمة شابة متحجبة ترتدى ملابس سوداء، وطلبت مقابلة صفية زغلول أم المصريين على الفور.

ودهش «عم آدم» بواب بيت الأمة، فقد كانت الساعة بعد الحادية عشرة مساء، وقال عم آدم إن الست نائمة، فطلبت السيدة المجهولة إيقاظها لأنها تريدها لأمر هام جداً بالباشا .

ودق «عم آدم» جرس الباب طويلاً حتى جاءت خادمة وفتحت الباب، وقالت السيدة إن اسمها «فتحية أبو أصبع» وأنها تريد مقابلة أم المصريين فى الحال ! !

وكانت صفية زغلول تعرف السيدة.. فهى ابنة صديقة لها، وهى وصيفة الملكة نازلى، ووضعت «صفية» روب دى شامبر فوق قميص النوم وهبطت إلى الطابق الأول، واستقبلت فتحية أبو أصبع.

وقالت «فتحية» إن «الملكة نازلى» أوفدتها لتبلغ «سعد زغلول» رسالة سرية وهى أن الملك قابل المندوب السامى البريطانى يوم ٢٣ يونيو واتفقا على ضرورة قتل سعد زغلول أدبياً وتلفيق التهمة ضده واتهامه بأنه المحرض على قتل السردار، وإسقاطه فى الانتخابات القادمة، وأن الملكة نازلى» طالما نصحت الملك بأن هذه السياسة ليست فى مصلحته، فهددها الملك بالطلاق إذا فتحت فمها مرة أخرى وكررت مثل هذا الكلام ، وذكرت بأن «حسن نشأت» رئيس الديوان الملكى بالنيابة هو الذى يفسد الملك وهو الذى يحرضه على ضرورة قتل سعد.

وقالت صفية إنها تفضل أن تبلغ السيدة «فتحية أبو أصبع» رسالة الملكة إلى سعد شخصياً، وإنه لم ينم بعد، وإنما هو جالس فى مكتبه بالطابق العلوى بالبيجاما وإنها ستصعد لتستأذنه، وصعدت أم المصريين ثم دعت فتحية أبو أصبع لمقابلة سعد وأبلغته رسالة الملكة بنفس التفاصيل تقريباً.

وكانت الوصيفة ـ حسب رواية مصطفى أمين ـ مضطربة وهى تبلغ الرسالة لسعد ولاطفها وقال لها :

ـ لاتخافى.. إن الملك فؤاد لم يضع جاسوساً تحت الكرسى ! !

فقالت له : إن الجدران لها آذان ! !

فضحك سعد وقال : الجدران عندكم وليست عندنا ! !

ثم طلب (سعد) منها أن تشكر جلالة الملكة على رسالتها وعلى أنها فعلت مافيه مصلحة البلد ومصلحة العرش(! !)

ولم يصدق «سعد» يومها رسالة الملكة ! !

لم يتصور أن تصل الحماقة بالملك «فؤاد» أنْ يتفق مع المندوب السامى البريطانى بالنيابة على قتله أدبياً، وعلى تلفيق التهم له، وعلى تزوير الانتخابات ! !

وقال (سعد زغلول) يومها إنه متصور أن الملكة نازلى تشاجرت مع الملك فؤاد لمسألة شخصية، فأرادت أن تنتقم من زوجها بالاتصال بعدوه !

وقال سعد لصفية إنه لايتصور أن الملك فؤاد يهدد «نازلى» بالطلاق لأنها نصحته نصيحة في مصلحته، وإنه يتصور أنها تتهم «حسن نشأت» بتدبير المقابلات الغرامية للملك(!!)

ويعلق «مصطفى أمين» على الحكاية كلها بقوله:

«ولو عاش سعد زغلول بعد ذلك إلى أن أذاعت الحكومة البريطانية الوثائق السرية البريطانية لوجد أن كل ماقالته الملكة نصت عليه الرسالة التى أرسلها المندوب السامى البريطانى إلى وزير الخارجية البريطانية، ولعرف أن الملك فؤاد فكر في تطليق الملكة «نازلى» عدة مرات.

✪✪✪

حاول الملك فؤاد بكل الطرق أن يستميل «سعد زغلول» لكنه فشل تماماً!!

كل ذكاء ودهاء ومكر وخبث «أحمد فؤاد» انكسر أمام بساطة وطيبة «سعد زغلول».

وكان الملك فؤاد يبدى اهتماماً غريباً بسعد، ويصر على أن يتولى طبيبه الخاص علاجه، ويرسل إليه بأدوية يقول إنها جاءته خصيصاً من أوربا، ويدعوه إلى الغداء فى قصره، ولا يقدم على المائدة إلا الأطعمة التى يتناولها سعد، ويشاركه فى أكلها ثم يستشيره فى مسائله الخاصة وفى خلافاته مع الملكة «نازلى»!!

وكان «سعد زغلول» حريصاً على إبلاغ «زوجته» صفية بكل هذه الأحداث والتفاصيل.

وذات يوم استقبلت «الملكة نازلى» صفية زغلول زوجة سعد فقالت لها نازلى:

إن الملك يقول إن الشعب كله يسير وراء سعد باشا!!

وقالت صفية للملكة «نازلى» يومها: هذا غير صحيح، الصحيح أن «سعد» هو الذى يسير وراء الشعب!!

وعندما روت صفية لزوجها الحديث الذى دار بينها وبين الملكة نازلى قال سعد معلقاً:

لقد حاولت أن أفهم الملك بكل طريقة هذه الحقيقة ولكنه لايريد أن يفهم!!

وفى تلك الأيام أيضاً - وكان سعد زغلول لايزال رئيساً للوزراء - حدثت هذه الواقعة الهامة التى يرويها «مصطفى أمين»:

كان «سعد» يزور الملك فؤاد فى قصر القبة، ودعاه الملك للتفرج على حديقة القصر، وبينما كانا يمشيان معاً بين الزهور، اقترب منهما الأمير فاروق .. ولى العهد وكان عمره خمس سنوات وهتف بصوت عال: يعيش الملك ويحيا سعد!!

وأخذ فاروق الطفل يجرى ثم ناداه والده الملك فؤاد وقال له مبتسماً:

من الذى علمك هذا الهتاف؟!

قال فاروق بكل براءة:

لم يعلمه لى أحد.. إن الناس كلها تهتف أمام القصر يعيش الملك ويحيا سعد!!

واحتضن سعد الأمير فاروق وقبله في جبينه، وكان سعد مسروراً وهو يروى هذه الحكاية لزوجته صفية، والتى كان رأيها فيها «إنها تمثيلية دبرها الملك لإيهام سعد أن القصر بدأ يحبه بدليل أن فاروق ابن الملك نفسه يقول يحيا سعد» !!

وقال سعد زغلول معترضاً على شك صفية زوجته:

من غير المعقول أن طفلاً عمره خمس سنوات يشترك في مثل هذه التمثيلية، فقد كان الأمير فاروق يهتف ببراءة وبحماس غير مصطنع !! ولو كان الملك فؤاد هو الذى كان يهتف لما صدقته فأنا أعلم أنه ممثل قدير !!..

وبعد أيام من هذا الحوار قالت صفية زغلول لزوجها:

لقد كنت على حق يا سعد عندما قلت إن الأمير فاروق كان يهتف لك هتافاً غير مصطنع !!

وسألها سعد: وكيف تأكدت من ذلك؟!

قالت: كانت عندى الأميرة أمينة زوجة الأمير «عادل طوسون» وقالت لى إنها منذ يومين كانت تزور شقيقتها «الملكة نازلى» فوجدتها تبكى بكاء حاراً فسألتها عن السبب فقالت لها إنه في اليوم السابق رأى الأمير «فاروق» الملك وسعد باشا يتمشيان في حديقة القصر فهتف: يعيش الملك ويحيا سعد .. وتظاهر الملك أمام «سعد باشا» بالسرور، ولكن بعد انصرافه أمر مربيته الإنجليزية بأن تجلد الأمير الصغير عشر جلدات بالسوط على ظهره، لأن الملوك لايجوز أن يهتفوا بحياة رعاياهم .. وقد نزف الدم من ظهر الأمير الصغير، ومازالت آثاره على ظهره.. هكذا كانت طفولة «فاروق» وعجز ومهانة الأم «الملكة نازلى» وهى ترى الخادمة أو المربية تضرب ابنها الطفل بالسوط وتجلده دون أن تستطيع أن تفعل له شيئاً !!

في أوائل يناير سنة ١٩٣٢ ذهب مصطفى النحاس لزيارة السلطانة ملك «زوجة السلطان الراحل حسين كامل وشقيق الملك فؤاد» في قصرها الشتوى.

يقول النحاس باشا: وعندما لقيتها (السلطانة ملك) رحبت بى هى وصاحبات السمو الأميرات بناتها ترحيباً عظيماً. وتحدثت معى عظمتها في الحالة السيئة التى وصلت إليها البلاد على يد «صدقى» (الذى كان يرأس الوزارة) وعصابته!

وكان مما صرحت لى به أن الملك فؤاد وحاشيته يعلنون استياءهم منى (أى من السلطانة) ومن حاشيتى لأننا نقدرك ونحترمك ونشيد بمواقفك وثباتك ووطنيتك.

وقد حدثتنى الملكة نازلى أكثر من مرة في هذا الشأن وفهمت (السلطانة) منها أنها ضد الملك وأنها كثيراً ماصرحت بأنه يجب الرجوع إلى الأمة وأن هذا كان دائماً مثار خلاف بينها وبين زوجها الملك فؤاد.

ويضيف النحاس باشا: «وقد شكرت لعظمتها والأميرات شعورهن النبيل وحملتها تحية تقدير وإعجاب للملكة نازلى..

وفى أول فرصة وصلت تحية «مصطفى النحاس» وتقديره وإعجابه إلى «الملكة نازلى» والتى كانت حريصة بدورها على إبلاغ «مصطفى النحاس» بأن رسالته قد وصلتها بالكامل !!

وفى مذكراته بتاريخ ١٨ أبريل ١٩٣٢ كتب «مصطفى النحاس» يقول :

«زارنى محمد أسعد بك موفداً من قبل جلالة الملكة «نازلى» وقال لى إن «جلالة الملكة تهدى إليك تحيتها وتقديرها وقد كلفتنى برسالة شفوية هى أن الملك بدأ يضيق «بصدقى» (رئيس الوزراء) وبتصرفات وزرائه وأنها لاتريد أن يعرف بهذه الزيارة أحد (!!) وأن الإنجليز هم الآخرون بدأوا يفكرون فى تغيير العهد، وأن جلالتها تريد منك أن تخفف الحملة على الملك شخصياً حتى تستطيع أن تفعل شيئاً لصالح الوفد، فإنها (أى نازلى) من أشد المعجبين بصلابتك وتمسكك ولكنها تلاحظ عليك عسفك فى حرب السراى. وإذا كان لابد فابعد عن شخص الملك واحمل ماشئت على الحاشية الأجنبية والمصرية فهى كلها حاشية فاسدة ضاقت بها، وتتمنى نازلى أن تزول اليوم قبل الغد.

وقد شكرت (النحاس) «لأسعد بك» هذه الزيارة ووعدته بأن تظل سراً، وحملته إلى الملكة «نازلى» تحيتى وشكرى ووعدت بأن أخفف الحملة على الملك فؤاد إذا كان هذا فى مصلحة البلد، ولكن الملك هو الذى يدبر كل شىء وعمل بيده كل شىء، والحاشية التى حوله هم (عبد المأمور) .. كما يقولون، وأن المصيبة تكمن وراء الحكومة الغاشمة التى تحكم بالنار والحديد».

طوال سنوات زواج الملك فؤاد والملكة نازلى لم يسمح لها بالسفر وحدها خارج مصر سوى مرة واحدة فقط !!

سافرت الملكة نازلى رغم أنف الملك زوجها وبناء على رغبة واقتراح الأطباء، عندما أوصوا بضرورة سفرها إلى إحدى المدن الفرنسية المشهورة بالمياه المعدنية لتعالج فيها !!

كان تاريخ تلك الزيارة هو عام ١٩٢٧، حيث كان الملك فؤاد مسافراً لبعض دول أوربا فى زيارة رسمية، لكنه رفض أن تكون الملكة معه، واشترط أن تبقى فى أوربا محجبة !!

وأكثر من ذلك رفض الملك فؤاد.. أن تسافر الملكة نازلى زوجته معه على نفس الباخرة، وأمر بأن تسافر على «اليخت المحروسة» وليس على البواخر العادية لكى يضمن ألا تختلط بالرجال أو يراها الرجال !!

«جيردا سجو برج» وهى مربية إنجليزية من أصل سويدى كان قد أتى بها الملك فؤاد لتكون ضمن المربيات كتبت تقول فى مذكراتها فيما بعد :

«كرست نازلى نفسها لخلق حجج لتخرج من الحرملك، فقد تظاهرت عدة مرات بانهيار عصبى خلال عدة أشهر واستطاعت أن تقنع الملك فؤاد بأن يسمح لها بالذهاب إلى مصحة فى أوربا !

وأبحرت نازلى على يخت ملكى حيث بناه الملك فؤاد ليكون حرملك عائماً وكانت تصلها كمية كبيرة من البرقيات تحذرها من أن تصور دون حجاب !!»

لكن ماجرى على ظهر الباخرة كان غريباً وعجيباً ومثيراً فى كل جوانبه ! !

يروى مصطفى أمين ذلك كله فيقول : «وأمر الملك فؤاد بأن يكون هناك «ديدبان» طول الليل فى الممشى أمام الجناح الخاص بالملكة فى اليخت، وعندما بدأت الرحلة وخيم الظلام فى الليلة الأولى رأت الملكة «الديدبان» فغضبت وهاجت وماجت وأمرت قبطان اليخت المحروسة بسحب الديدبان فوراً.

وقال لها القبطان فى احترام : إننى أنفذ أوامر جلالة الملك شخصياً ! !

وقالت الملكة : ولكن وجوده هنا يضايقنى، صوت حذائه يزعجنى ويقلق نومى ! !

ولم يستطع القبطان أن يقول إن صوت الحذاء لا يسمع مع وجود «البساط» المفروش على الأرض، بل قال للملكة :

إذا كان صوت حذاء الديدبان يزعج جلالتك فإننى سآمره بأن يخلع حذاءه ! !

وفعلاً كان الجنود الذين يتناوبون الحراسة ليلاً أمام جناح الملكة نازلى يخلعون أحذيتهم ويقفون حفاة تنفيذاً لأمر الملك من جهة، وإرضاء للملكة من جهة أخرى ! !

وكما أن للصبر حدوداً، فقد كان لصبر نازلى حدود أيضاً ! !

لم تعد أعصاب الملكة نازلى تحتمل من زوجها الملك فؤاد أكثر مما تحملت ! !

تحملت، وصبرت حتى فاض بها الكيل وقررت أن تشكو زوجها الملك فؤاد ! !

أمسكت نازلى بأوراق وقررت أن تشكو على الورق كل مايضايقها ويزعجها ويغيظها ومصدره زوجها الملك ! !

الغريب فى الأمر ويدعو للدهشة والتساؤل هو اسم الشخص الذى اختارته نازلى لترسل إليه بهذه الشكوى ! !

لم يكن هذا الشخص «مصطفى النحاس» باشا، لكنه كان العدو اللدود للنحاس نفسه.. لعد بعثت بهذه الرسالة إلى رئيس الوزراء «إسماعيل صدقى» ! !

جاء خطاب الملكة نازلى إلى «إسماعيل صدقى» فى ثمانى ورقات، وكتبته باللغة الفرنسية وليس العربية ! !

وقبل قراءة ماكتبته نازلى لرئيس الوزراء، فالخطاب نفسه وحكايته له قصة مثيرة وغريبة ومحيرة ! !

هذا الخطاب نفسه كان الصحفى «محمد التابعى» يحتفظ بصورة منه، وقد عثر عليه الأستاذ «صبرى أبو المجد» ضمن الأوراق الخاصة بالتابعى عندما كان يكتب كتابه عن «محمد التابعى»، ونشر أبو المجد رسالة نازلى فى كتابه ! !

وهذا الخطاب أيضاً كان «مصطفى أمين» يحتفظ به عندما أعطاه له رئيس الوزراء نفسه صدقى باشا، ونشره في كتابه «من عشرة لعشرين» ! !

صحيح أن التفاصيل واحدة فى الخطاب كما نشر فى كتاب التابعى وفى كتاب مصطفى أمين لكن توجد بعد الاختلافات هنا وهناك، ومن الضرورى قراءة «هموم وشكاوى» نازلى إلى رئيس الوزراء بعين يقظة!

فى الخطاب الذى احتفظ به «محمد التابعى» ضمن أوراقه كتبت نازلى تقول:

«ياصاحب الدولة..

عندما علمت أنك مريض أحسست أن سوء الحظ مازال يتابعنى، إن أعدائى فى القصر لم يضيعوا وقتهم، وهم يستفيدون من عدم استقرار الأمور للقيام بدسائس ومؤامرات لتحقيق مصالحهم.

فمربيات الأطفال يتحكمن حتى فى اختيار ملابس أولادى، والمربية «جانيت» وطدت مركزها فى القصر وأصبحت هى ذات الكلمة مع الأولاد، وهذا أمريثيرنى إلى أقصى درجة.

وأنا لن أقبل مطلقاً أننى وأنا الأم أن أراقب فى هدوء كل مايجرى حولى من الظلم الصارخ.

ونظراً لوجود الأميرة «نعمت مختار» فى القصر هذه الأيام وهى دائماً تظهر لى من العطف والود مابؤثر فى نفسى، نظراً لذلك فأنا ممتنعة عن إثارة أى مناقشة ستؤدى بنا إلى انفصال نهائى لارجعة فيه.

وبدلاً من أن يفسر الملك هدوئى وخضوعى المؤقت فإنه ينتهز الفرصة لإرضاء جميع الآخرين. إن الضعف الكبير الذى أظهرته هذه المرة بتنفيذ جميع رغباته لم يخدمنى بالمرة كما كنت تظن مع الأسف، بل أن هذا الضعف أفقدنى حقوقى نهائياً، وأصبحت بغير خادمة خاصة، إن الأغا «إدريس» يطرد بمكر ودهاء جميع الخياطات اللاتى يحضرن لى موديلات الشتاء دون أن يكلف نفسه بإخبارى بحضورهن!!

أؤكد لك ياصاحب الدولة أنه إذا كان لديك أقل فكرة عن مركزى الحالى لكنت بذلت همة أكثر مما تبذل، إن جميع الآخرين يستفيدون من هدوئنا وضعفنا وهم يؤثرون على «الملك» ليتخذ قرارات لن يرجع فيها مطلقاً!! وهو يقول دائماً إن مايقرره لايتراجع فيه.

لقد شرحت لك جميع وسائل مساعدتى ولكنك لأسباب أجهلها لم ترض أن تعمل شيئاً.. إن الخطاب الذى سبق أن أرسلته لك بخصوص «الأغا إدريس» فيه اتهامات صريحة، ولو أنك أردت أن تضغط على «زكى باشا الإبراشى» لكنت حققت النتيجة التى كنت أنتظرها. وأود أن أخبرك قبل اختتام خطابى أن «الإبراشى» كان متعوداً أن يراسلنى، ولدىّ منه فى القاهرة خطاب لا أزال أحتفظ به، يقدم لى اعتذاراته عن كل قرار اتخذه وعلم أننى تضايقت منه!

إننى آسفة على إزعاجك وأنت مريض، وإذا كنت قد فكرت فى الكتابة إليك فى هذه الظروف فذلك لأننى فى منتهى الضيق والحيرة، وأنا أريد أن أعلم حقيقة مركزى، ولايمكننى الانتظار أكثر من ذلك.

إن الملك سيسافر إلى القاهرة بعد بضعة أيام، ويجب أن أعلم قبل سفره إلى من أتجه ليساعدنى، أخبرنى بصراحة إذا كان فى إمكانك عمل شىء، فأنا مستعدة للعمل بمفردى وعلى بركة الله، أما الانتظار أكثر من ذلك فهذا مالا أقدر عليه، فإننى كما سبق أن قلت لك إن سكوتى يقوى خصومى فى القصر ويجعلهم ينتظرون وهم متفوقون علىّ حتى هذه اللحظة ومغتبطون بانتصارهم!

وإننى رغم الصلح الذى كان قد تم فإننى أنا المهزومة وحالتى سيئة إلى أقصى حد، أرجو أن تعذرنى ياصاحب الدولة على الطريقة التى كتبت بها هذا الخطاب وليس لدى الوقت الكافى لمراجعته!

فإن «فتحية» التى ستحمل لك هذا الخطاب ستغادر الإسكندرية فى قطار الظهر.

أتمنى لك تمام الشفاء ولكنى ألومك فى حزن وأسى».

انتهى خطاب «نازلى». ويقول «صبرى أبو المجد» معلقاً بما يلى:

ولا أجد تعليقاً للتابعى على هذا الخطاب إلا الكلمات الآتية:

الخطاب إلى إدريس، صدقى يقابل الملك، الملك يقول: موش عاوزها: يحبسها ولا يطلقها: صدقى ينصح الملكة نازلى أن تهدأ!

✪ ✪ ✪

والآن إلى الجانب الآخر من قصة خطاب الملكة «نازلى» إلى إسماعيل صدقى باشا رئيس الوزراء.. وكما جاء فى مذكرات مصطفى أمين، وكان مصطفى وقتها يعمل محرراً فى روز اليوسف.

«ذات مرة كان مصطفى أمين يزور صدقى باشا أثناء نقاهته من مرضه فى بيته بالزمالك وسأله عن الأخبار، فقال صدقى باسما:

الأخبار الصالحة للنشر عندى لن تنشرها «روز اليوسف» لأنها مجلة وفدية، والأخبار غير الصالحة للنشر لن تستطيع أنت نشرها، لأن الدولة ستقطع رقبة من ينشرها!!

وألح عليه «مصطفى» أن يعرف الخبر غير الصالح للنشر، ووعده بشرفه ألا ينشر أى شىء يقوله قبل استئذانه، وقال صدقى ساخراً:

أنا لا أثق عادة فى شرف الصحفيين!! ومع ذلك فسوف أجرب هذا الشرف اليوم! إن الخبر الذى عندى لاتستطيع أن تنشره، لأن من ينشره يحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات، ولا تستطيع أن تقوله لأن من يردده يحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات، هذا إذا لم يقطعوا رقبته!!

وتضاعف فضول مصطفى أمين لأن يعرف هذا الخبر الخطير، ودفع صدقى باشا بمظروف رمادى كبير مختوم بالشمع الأحمر ويعلوه التاج الملكى، وقال إن هذا خطاب سرى من ملكة مصر إلى رئيس وزراء مصر تشكو فيه ملك مصر!!

وفتح مصطفى أمين الخطاب، وإذا به يعلوه حرف "N"وهو الحرف الأول من اسم الملكة نازلى ملكة مصر والخطاب مكتوب بخط الملكة!

وكان خطاب الملكة نازلى يكشف الستار عن الأسرار والمناورات والمؤامرات التى كانت تحدث داخل القصر الملكى!!

ولم يصدق مصطفى أمين عينيه.. إنها خبطة صحفية لم يسبق لها مثيل، ماقيمة أن يحصل على هذا الخبر الخطير بغير أن ينشره أو يشير إليه أو يحدث به أحداً!!

وقال له صدقى باشا: إننى سأئتمنك على هذا السر ولن أكتفى بهذا، إننى سأئتمنك على خطاب الملكة نفسه، يمكنك أن تحتفظ به عندك، بشرط عدم نشره إلا بعد أربعين سنة!!

وسأله مصطفى أمين مندهشاً: لماذا بعد أربعين سنة؟!

قال له صدقى باشا: أكون مت أنا .. ومات الملك فؤاد .. وماتت الملكة نازلى!!

ودس مصطفى أمين خطاب الملكة فى جيبه وخرج مبهوتاً!! وأخذ يسأل نفسه:

لماذا أعطاه إسماعيل صدقى هذا الخطاب الخطير؟! هل قصد أن ينشره فيقطع رقبته؟! ولكن ماهى قيمته حتى يلجأ رئيس الوزراء إلى هذه الطريقة الغريبة للتخلص من صحفى صغير يستطيع أن يضعه فى السجن بتليفون إلى النائب العام؟!

هل قصد أن تنشر «روز اليوسف» هذه الوثيقة فيتخلص من روز اليوسف والتابعى ويغلق المجلة ويضعهما فى السجن؟! أم هو يريد أن تنشر روز اليوسف الخطاب ويفهم الملك فؤاد أن النحاس باشا هو الذى أراد أن يفضح الملك فيوقع بين الأغلبية وبين القصر ويضمن الحكم لنفسه سنوات أخرى؟! أم أنه شعر بعدم وفاء الملك عندما رفض أن يزوره فى بيته بعد إصابته بالشلل، وبدأ يبحث عمن يخلفه فأراد أن يرد على عدم الوفاء بعدم الوفاء، وعلى الخيانة بالخيانة؟! أم يكون قد قصد مساعدة الملكة نازلى بإذاعة قصة الخلاف بينها وبين الملك خارج القصر، لأنه لم يستطع التدخل فيها كما طلبت الملكة؟!

كل هذه الخواطر والأسئلة طافت برأس مصطفى أمين وتوقع كميناً له، وأخفى الخطاب فى وسط عدد من خطابات أخرى لدى صديق له ولم يعرف السر أبداً، حتى نشره فى مذكراته «من عشرة لعشرين» الذى صدر عام ١٩٨١ (!!)

كان صدقى قد مات، والملك فؤاد مات!! ونازلى نفسها ماتت!

✪ ✪ ✪

وقبل قراءة الخطاب كانت هناك خلفيات لما كان يدور فى الخفاء وحرص مصطفى أمين على تسجيلها، وكتب يقول:

«كان الملك فؤاد تحت نفوذ خادمه إدريس بك الذى أنعم عليه برتبة الباشوية، وأصبح أقوى رجل في القصر، أقوى من رئيس الديوان الملكى، وأقوى من كبير الأمناء. وكثيراً ماكان هؤلاء يتلقون أوامرهم من الخادم إدريس!!

كانت خادمة الملكة الخاصة أقوى نفوذاً وسلطاناً من الملكة، وكانوا يسمونها «الخازندارة» أى كبيرة الخادمات، وكانت هذه الخادمة صديقة الملك فؤاد قبل أن يتزوج الملكة نازلى!

وعندما انتقلت الملكة إلى القصر نقل الملك فؤاد الخادمة إلى جناح الملكة لتكون خادمة الملكة وعيناً عليها. .وأصبحت بعد فترة قليلة سيدة القصر الأولى. لاتستطيع الملكة أن تفعل شيئاً إلا بعد موافقة خادمة الملك!

وحدث مرة أن كانت الملكة تتزين في غرفتها لتخرج مع الملك، وكانت «الخازندارة» تساعد الملكة على ارتداء ملابسها .. وأزف موعد الملك وتعجلت الملكة الخادمة، وتباطأت الخادمة فدفعت الملكة الخادمة بقدمها فسقطت علي الأرض.

وأبلغت الخادمة الأمر للملك فؤاد فغضب وثار لإهانة صديقته القديمة، وقال إنه يجب على الملكة أن تختار إما أن تعتذر علناً للخادمة أمام جميع وصيفات القصر، وإما أن تخرج الملكة من القصر ولا ترى أولادها أبداً!!

وخضعت الملكة واعتذرت للخادمة!

وكان هذا الإذلال المهين سبباً فى أن أصبحت الخادمة فى مركز أعلى من مركز الملكة.»

وحسب رواية مصطفى أمين أيضاً فقد تكونت في القصر جبهة اسمها حزب أعداء الملكة، يتزعمها إدريس بك وخادمة الملكة!

وحدث مرة أن كتبت الملكة مذكرة بشراء حذاءين لولى العهد فاروق وفوجئت بالرد يقول: «يكتفى بحذاء واحد»!!

وكان الملك على علاقة بفتاة فرنسية اسمها جنيفيف وكانت تتردد على القصر من وقت لآخر، وتقابل الملك فى جناحه الخاص، وأراد الملك أن يجعل وجود هذه الحسناء الفرنسية شرعياً فاختارها لتشرف على تربية الأميرات بنات الملك!!

ثم فوجئت الملكة بأمر من الملك بأن تقيم مدام جنيفيف إقامة دائمة داخل القصر الملكى!

وكان منظراً مثيراً لأعصاب الملكة أن تجد صديقة الملك الجديدة فى نفس الجناح الذى تقيم به في قصر القبة!!

وتصادف عندما صدر هذا القرار أن كانت الأميرة «آن» الإنجليزية ضيفة فى القصر، واضطرت الملكة نازلى .. أن تتحمل الإهانة وتسكت، حتى لاتحدث فضيحة ملكية!!

وتدخل إسماعيل صدقى باشا رئيس الوزراء فى هذا الخلاف من وراء ظهر الملك وأرسل ابنته إلى الملكة ينصحها بأن تتظاهر بالاستسلام للملك، ولا تعارضه ولاتناقشه.

وقال صدقى باشا إن خير طريقة لهزيمة الملك فؤاد هى التراجع أمامه لا التصدى له ! !

وأطاعت الملكة نازلى النصيحة ! !

ولكن الملك فؤاد استمر فى استبداده وإهانته للملكة بتحريض صديقته السابقة وخادمه إدريس ! !

وهنا كتبت الملكة نازلى خطاباً إلى إسماعيل صدقى باشا رئيس الوزراء ! !

قالت نازلى فى خطابها : «ياصاحب الدولة

«عندما علمت أنك مريض تصورت أن سوء الحظ لايزال يلاحقنى إن أعداءنا هنا لم يضيعوا وقتهم، واستغلوا انقلاب الأوضاع وقاموا بتدبير عمليات جديدة لصالحهم.

تولت المربيات مهمة اختيار ملابس الأطفال، كما أن جنيفيف جاءت لتقيم بصفة دائمة ووضعت تحت تصرفهن، وهذا شىء يثيرنى إلى أقصى درجة، ولن أقبل أبداً ـ وأنا الأم ـ أن أظل محتفظة بهدوئى أمام هذا الظلم الصارخ. «ومراعاة لخاطر الأميرة «آن» الموجودة هنا فى هذا الوقت والتى تغمرنى بحبها ومودتها، مما أثر فى مشاعرى كثيراً فقد امتنعت عن إثارة مشاجرة أعلم مقدماً أنها كانت ستؤدى إلى قطيعة نهائية ولا رجعة فيها.

وبدلاً من أن يحسن الملك قبول هدوئى واستسلامى فى الوقت الحاضر فوجئت به يستغل هذا ليرضى الآخرين. إن الضعف الشديد الذى برهنت عليه فى هذه المرة عندما خضعت لجميع رغبات الملك لم يخدمنى كما ظننت أنت للأسف ! ! لقد أضاعنى هذا الضعف نهائياً ! !

ليس لدى حالياً وصيفة ، والترزية الذين أحضروا لى موديلات الشتاء طردهم «إدريس» بوقاحة مفزعة، ودون أن يخطرنى بوصولهم، حقيقة ـ ياصاحب الدولة ـ لو كانت لديك أدنى فكرة عن وضعى الحالى لبادرت وتصرفت بسرعة أكثر. إن الآخرين استفادوا من إفساحنا الوقت أمامهم، والملك متأثر بهم، يتخذ قرارات لايغيرها أبداً، فهو لايرجع فى قرار اتخذه ! !

لقد أعطيتك كافة السبل لمساعدتى، ولكن لأسباب أجهلها ـ بدون شك ـ لم تشأ أن تتصرف. إن موضوع «إدريس» يصعب احتماله، ولو أنك وافقت على أن تضغط على زكى باشا (ناظر الخاصة الملكية) لربما كنا قد وصلنا إلى ماكنت أريده !

ويهمنى أن أخبرك ـ قبل أن أختتم خطابى ـ أن هذا الأخير (زكى الإبراشى) تعود أن يراسلنى، ولدىّ خطاب منه أحتفظ به فى القاهرة، وفيه يعبر عن أسفه بسبب قرار اتخذه ومسنى هذا القرار بأذى ! !

أعتذر عن إزعاجك خاصة لعلمى بمرضك، وإذا كنت فكرت فى الكتابة إليك فى هذه اللحظة، فهذا يرجع إلى أننى فى مأزق لا أعرف كيف الخلاص منه وأريد أن أعرف

ماذا يجب أن أفعل ؟ ! لا أستطيع إن أنتظر وقتاً طويلاً ، أن سفر الملك إلى القاهرة سيتم خلال أيام ، ويجب قبل السفر أن أعرف إلى من يمكننى أن ألجأ ليساعدنى.

قل لى بصراحة ماذا يمكنك أن تفعل ؟ ! وعندئذ سأتصرف بمفردى وبعناية الله .

أن أنتظر وقتاً طوبلاً ، فهذا لم يعد فى إستطاعتى ، فكما سبق أن قلت لك إن الوقت كان فى صالحهم وصالح اللعبة التى يقومون بها .

إنهم يحتفلون بانتصارهم في هذه اللحظة ، أما أنا فرغم المصالحة التى أبديتها فقد ظهرتُ الآن في صورة تستحق الشفقة .

اعذرنى ياصاحب الدولة للطريقة التى كتبت بها خطابى هذا . ليس لدى الوقت لإعادة قراءة ما كتبت ، وستسافر «الرسولة» بقطار الظهر . أتمنى لك شفاء عاجلاً . »

انتهى خطاب الملكة نازلى ، ولم يكتف مصطفى أمين بنشره بل نشر أيضاً صورة الخطاب فى نصه الفرنسى للدلالة على خطورة وأهمية سطور كلمات نازلى !

مات فؤاد .. عاش فاروق

فوجئت الملكة «نازلى» وهى تقرأ صحيفة «البورص إجبسيان» ذات صباح بأن جلالة الملك فؤاد - زوجها - قرر سفر «فاروق» إلى إنجلترا للدراسة!!

كان أول من يعلم هو السفير الإنجليزى.. «مايلز لامبسون» وكانت الملكة الأم آخر من يعلم!!

وطوال سنوات طفولة فاروق فقد عاش فى عزلة تامة، ولم يختلط بأى أطفال فى مثل عمره!!

عاش «فاروق» - كما عاشت نازلى - سجيناً داخل القصر، وعانى فاروق معاناة شديدة من مربيته الإنجليزية «مسز تايلور»!!.. ولم يكن «فاروق» قد شاهد أهرامات الجيزة إلا فى سن الخامسة عشرة!! وكان ذلك أيضاً بعد موافقة «مسز تايلور»!!

وبعد سنوات طويلة روى الملك فاروق فى مذكراته كيف أنه فى طفولته - وكان ذلك فى فصل الصيف - أراد أن يخلع المعطف الذى يرتديه، واعترضت المربية «مسز تايلور» فى الحال، ونفذ فاروق نصيحة أمه «نازلى» وخلع المعطف، وفى اليوم التالى قالت له مسز نايلور بلهجة تهديدية:

- إذا خلع أى منكم معطفه فسوف أضربه عندما يعود، سأعلمكم الطاعة، ولست مهتمة بمن يأمركم بمخالفة أوامرى سواء كانت جلالة الملكة نازلى أو غيرها!!

خافت الأميرات الصغيرات شقيقات فاروق «فوزية» و«فائقة» و«فتحية»، أما فاروق فقد خلع معطفه، وبعد أن زاروا الملكة نازلى وعادوا إلى المربية قامت بإعطاء فاروق علقة ساخنة»!! ولم تستطع «نازلى» أن تفعل شيئا على الإطلاق!!

وأصبحت «الحلوى» التى يعشقها فاروق مجالا لمعركة طريفة بين «مسز تايلور» والملكة «نازلى». وكان الملك فؤاد حريصاً على ألا يتناول ابنه فاروق أية أنواع من الحلوى حتى لايصاب بالبدانة، وكثيراً ماكانت نازلى تقوم بتهريب الحلوى والشوكلاته والجاتوه إلى ابنها، فكانت مسز تايلور تستولى على كل هذه الأشياء وتلقى بها فى سلة المهملات.. ووصل الحال بفاروق أن كان يعبث فى السلة بعد ذهاب «مربيته» لعله يعثر على قطعة حلوى نظيفة ليأكلها!!

كان «فاروق» يحب أمه نازلى لكنه لايخشاها ولا يخاف منها، وكان يكره ويمقت «مربيته» لكنه كان يخاف منها ويخشاها!!

ولاحظت «نازلى» أن فاروق ابنها فى وجود «المربية» لايحضنها أو يغمرها بالقبلات مثلما يفعل مع مربيته. وسألته: لماذا لا تقبلنى مثلما تقبل مربيتك.. ألست أمك؟!

فوجئت «نازلى» بطفلها فاروق وكان ممسكا بيد مربيته يقول لها:

ـ لأنك تضعين الكثير من أحمر الشفاه؟!

فى هذا الجو كله، كان المرض يشتد على الملك فؤاد، وقبضة «مسز تايلور» تشتد على فاروق، أما «نازلى» فكانت فى كل الأحوال بمثابة شاهد ماشافش حاجة!!

وهكذا تقرر سفر فاروق إلى بريطانيا للدراسة فى أحد لقاءات السفير الإنجليزى مع الملك فؤاد، وكان «السفير لامبسون جريئاً ووقحاً عندما لفت نظر الملك فؤاد قائلا: إن الوقت قد حان للأمير الصغير ليتسع إدراكه بخروجه للدنيا بعد تدهور صحة الملك».

وحسب ماكتبه المؤرخ «عبدالرحمن الرافعى» فقد أحس الملك فؤاد فى ٢٥ يناير ١٩٣٤ بتعب على أثر سهرة أقامها فى سراى عابدين لرجال السلك السياسى من الأجانب، واستمر فيها إلى ما بعد منتصف الليل، وعاد بالسيارة الملكية إلى قصر القبة، فشعر بألم المرض منذ عودته وحتى الصباح.

ولما انعقد مؤتمر البريد الدولى فى القاهرة يوم أول فبراير عاقه المرض عن حضور حفلة افتتاحه، فناب عنه ولى العهد الأمير فاروق وكان فى الرابعة عشرة من عمره.

واستمرت صحة الملك فى اعتلال إلى منتصف شهر مارس ثم تحسنت وانتقل فى الصيف إلى الإسكندرية وهناك عاوده المرض، واستدعى لعلاجه الدكتور جروسى من روما، ثم الدكتور برجمان من برلين وتبين من استدعاء هذين الطبيبين العالميين ـ الواحد بعد الآخر ـ أن الداء قد استشرى والعلة قد تفاقمت، وبقى الملك تتناوبه العلة والصحة، وقضى عامين يغالب المرض والمرض يغالبه.

✪✪✪

لكن فى كواليس القصر والأحزاب كانت الصورة مختلفة تماماً!!

قال مصطفى النحاس باشا فى مذكراته: «قال لى نسيم باشا إن حالة الملك الصحية لا تمكنه من المعارضة كما كان يفعل من قبل وأنه أصبح عصبياً أكثر مما يجب وهو يفكر فى أن يذيع نشرة صحية عنه فى الصحف حتى تسكت الشائعات. بدأت النشرات الطبية تذاع من الأطباء المعالجين للملك وهى تطمئن بأن حالته مرضية وليست خطيرة.

قيل فى أوساط السراى إن المشرفين على علاج الملك فكروا بالاستعانة بطبيب عالمى ينضم إليهم يكون مختصاً فى الغدد لأن حالة الملك تزداد سوءاً وأن دكتور سليمان عزمى وقع اختياره على الدكتور «برجمان» الطبيب الألمانى المشهور ولكن الإنجليز يعارضون هذا الطلب!! وقد عجبت لهذا التصرف من جانب الإنجليز حتى العلاج الطبى يتدخلون فيه ولا يمكن لرجل يحمل لقب صاحب الجلالة أن يختار الطبيب الذى يحتاج إليه (١٦ مارس ١٩٣٥).

أشيع بين المتصلين بالقصر أن العلاج الجديد الذى وصفه الطبيب الإنجليزى لم تظهر له أية آثار وأن حالة الملك تسوء ويرى الأطباء المصريون أنه لا مندوحة من استدعاء الدكتور «برجمان» من ألمانيا لأنه متخصص فى مثل الحالة التى تعترى الملك، وأن السراى أوفدت رسولاً إلى لندن ليقنع المسئولين بالموافقة على استدعاء الطبيب الألمانى.

حضر الطبيب الألمانى وقصد لعيادة (علاج) الملك وقد رأى أن الطريقة التى عولج بها قد نجحت فى ناحية لكنها لم تنجح من ناحية الغدد وبدأ معالجته بطريقة جديدة.

أشيع أن الملك بدأ يستريح على علاج الطبيب الألمانى» ١٩ مايو ١٩٣٥.

كانت صحة الملك فؤاد هى حديث كل الناس فى ذلك الوقت!!

ونشرت مجلة آخر ساعة خبراً مثيراً يقول: «صرحت حضرة صاحبة السمو الأميرة حورية حمدى لبعض صاحبات السمو الأميرات بأن سموها زارت صاحب الجلالة الملك، فرأت أن صحة جلالته قد تقدمت تقدماً كبيراً عن ذى قبل ولو أن جلالته لايزال ضعيفاً بسبب امتناعه مدة طويلة عن تناول الطعام والاكتفاء بالسوائل».

ومضت مجلة آخر ساعة تقول: «وبهذه المناسبة نذكر ما اتصل بنا وهو أن حضرة صاحبة الجلالة الملكة كانت ولا تزال تشرف بنفسها على تنفيذ تعليمات الأطباء فى كل مايتعلق بعلاج الملك والعناية به، وأن جلالتها كثيراً ما أمضت شطراً كبيراً من الليل ساهرة إلى جانب جلالة الملك إلى أن شفى جلالته والحمدلله».

والمثير فى الأمر أن «نازلى» قرأت هذا الخبر ولم تكتم دهشتها للكذب الصريح فيه.

✪✪✪

وفى اللحظات القليلة التى كان يسترد فيها الملك فؤاد بعض الصحة، كان يمسك بزمام الحكم بقوة وسيطرة، وفى إحدى هذه المرات زاره السفير البريطانى «لامبسون» وأقنع السفير الملك بضرورة سفر «فاروق» إلى لندن للدراسة والاستعداد لحياة الملك!!.

ووضع الملك فؤاد برنامج سفر ولى العهد فاروق إلى لندن دون أن يخطر رئيس الوزراء «توفيق نسيم» وتقرر سفر فاروق فى ٦ أكتوبر ١٩٣٥، وكانت البعثة برئاسة أحمد حسنين باشا رائد فاروق ومهمته العناية بشئونه، واختير «عزيز المصرى» باشا نائباً للرائد وكبيراً للمعلمين، وعمر فتحى الحارس الأمين، والدكتور عباس الكفراوى الطبيب الخاص، وصالح هاشم أستاذ اللغة العربية وعلوم الدين!!

وعلمت الملكة «نازلى» من الصحف بكل تلك الترتيبات التى اتخذها الملك بشأن ابنها، ولم يكن لاعتراضها أى وزن!!

ولم تكن «نازلى» وحدها هى المعترضة، بل كان هناك الصحفى مصطفى أمين الذى كتب مقالا ساخناً فى جريدة الجهاد يوم ٩ سبتمبر ١٩٣٥ اعترض فيه على البرنامج الذى وضعه الملك لسفر ابنه إلى إنجلترا لإكمال دراسته ولو كان لدينا برلمان لطلب الاطلاع على برنامج

تعليم الأمير وعلى السياسة المتبعة فى تربية سموه لنناقشها حرفاً حرفاً. «وقال مصطفى أيضاً : إننى كنت أفضل لو أن الأمير التحق بالجامعة المصرية ودرس بها لأنه سوف يحكم المصريين لا الإنجليز».

وعندما ظهر المقال كان حديث الناس فى مصر كلها، وغضب الملك فؤاد وثار عندما قرأوا له المقال وهو مريض، واعتبر المقال تعريضاً لا يليق بولى العهد وتدخلا فى شئونه، بل طلب الملك بواسطة سكرتيره الخاص «محمود شوقى» من «توفيق دياب» رئيس تحرير جريدة الجهاد معرفة اسم كاتب المقال ليطلب من النائب العام تقديمه إلى محكمة الجنايات، ورفض رئيس التحرير أن يبوح باسم كاتب المقال، فقد نشره مصطفى أمين بتوقيع «مشاغب» !!

✪✪✪

ووصل «فاروق» وبعثته إلى لندن !!

وفى لندن بدأت المحطة الأولى لإفساده والاستيلاء عليه !! على يد «أحمد حسنين» الذى اختاره الملك فؤاد كرائد لابنه، ولما كان «مديونا» فقد عرض عليه أن يسدد ديونه، فاعتذر شاكراً. وفى تلك الرحلة استراح الملك المراهق لـ أحمد حسنين وضاق بعزيز المصرى باشا وكرهه !!

وكانت الملكة «نازلى» هى الغائب الحاضر فى ذلك اللقاء الذى تم بين الفريق «عزيز المصرى» و«أنور السادات» !

استطاع «حسن البنا» ترتيب موعد ومكان اللقاء بين السادات والمصرى، وذهب السادات فى الموعد المحدد لمقابلة عزيز المصرى، وكان ذلك عام ١٩٤٠.

وصف السادات حالة عزيز المصرى يومها بأنه «كان يائسا من الحكومات، بائساً من الأحزاب، يائساً من الملك، يائسا من البرلمان، لكنه كان مؤمنا بالشباب».

وروى عزيز المصرى لـ السادات سلسلة الدسائس التى تعرض لها منذ كان فى إنجلترا يشرف على تربية الملك فاروق» !

قال عزيز المصرى لـ السادات : «أحمد حسنين» و«عمر فتحى». هذان الاثنان تآمرا على فاروق، فتآمرا بذلك على شعب مصر فى شخص ملكه. لقد ألقى هذان الاثنان فى وهم «فاروق» أنى مدسوس عليه من أبيه ! «فاروق» كان يبغض أباه أشد البغض من كل قلبه، وكان يحب أمه حباً شديداً، فألقى هؤلاء فى وهمه أنى - أنا «عزيز المصرى» - أشيع الأقاويل عن أمه، وأنى أريد أن أزيلها من الوجود لكى ينفرد أبوه بحبه، وأنى أعمل الآن على دس السم لها !

وعاد السادات يستوضح عزيز المصرى : وعرفت أنت كل ذلك ؟!

قال : نعم عرفته .. عرفته يوم أرسل فاروق إلى أبيه خطاباً باكياً يهدده فيه إن لم يسحبنى فوراً من مهمتى، وقد سحبنى أبوه فعلاً.. وتركه لهذين المفسدين، يفسدانه على نفسه، ويفسدانه أيضا على وطنه !!

ولم يذكر أنور السادات تفاصيل أخرى أكثر من السطور السابقة ! !

لكن الفريق «عزيز المصرى» بعد ذلك بسنوات روى ماهو أكثر وأخطر من ذلك ! !

فى كتاب «أبوالثائرين الفريق عزيز المصرى» للأستاذ محمد عبدالحميد روى عزيز المصرى هذه الحكاية المثيرة فقال : «كانت النساء هى العالَم الذى يفتحه «أحمد حسنين» على مصراعيه أمام فاروق .. وبالطبع ليس من المعقول أن أحضر فاروق أمامى فأوبخه أو أعطيه محاضرة لسوء أخلاقه، إنه ولى العهد والأمير . وهو ابن الملك ! !

واستقبلت فاروق الذى كانت تفوح رائحة الخمر من فمه وبجواره «أحمد حسنين» يساعده فى السير ، ونحيته جانباً بضربة من يدى على صدره، وأمسكت فاروق من أعلى ذراعه وصعدت به إلى حجرته، كل ما دار بيننا مجرد نظرات عندما كانت تلتقى عيوننا ، وبخلاف ذلك لم يكن هناك سوى الصمت بينى وبينه».

وصعد «عزيز المصرى» إلى غرفة «أحمد حسنين» وأخذ يوبخه فى ثورة غاضبة وختم ثورته قائلا :

- سوف أخبر الملك فؤاد بكل شىء .. أعلم أن تلك ليست سابقتك الأولى، وأعلم بعد كلماتى القاسية معك أنك لن تغفر لى أى كلمة تفوهت بها عنك ولكننى لن أخاف .. ولن أخشى أى شىء !

وكتب «عزيز المصرى» برسالة مفصلة إلى الملك فؤاد بسوء قيادة وأخلاقيات أحمد حسنين» مع ولى العهد فاروق خلال الشهور الماضية .

ومضى «عزيز المصرى» يروى ما جرى بعد ذلك على النحو التالى :

ذات صباح حمل إلينا البريد أمراً من الملك برحيل «أحمد حسنين» إلى القاهرة وتأكدت أن خطاباتى وصلت إليه وعلم بسلوكه مع ولى العهد ! !

وكانت مفاجأة أن جاء خطاب من الملكة نازلى تطلب فيه من «أحمد حسنين» البقاء مع فاروق وأنها قد استأذنت الملك فؤاد فى هذا الطلب ..

«وفى الحق استمرت حيرتى وقتاً طويلا أمام هذا التضارب وعدم الثبات على رأى واحد حول بقاء أو سفر «أحمد حسنين» والأمر لم يعد يهمنى فى قليل أو كثير .. وفكرت أكثر من مرة فى التخلى عن مهمتى والعودة إلى القاهرة ولكن إحساسى بالفشل جعلنى أقلع عن هذه الفكرة، وحتى أدعم وجودى بجوار فاروق أرسلت خطاباً إلى الملك فؤاد أخبره فيه بأن القواعد والخطة التى اتفقنا عليها لحياة فاروق أثناء الدراسة لايلتزم بها أحمد حسنين على الإطلاق .. وأننى أضع نفسى رهن أوامره فى البقاء أو العودة للقاهرة».

«ولم يدم انتظارى طويلا ، فقد جاء خطاب ملكى يخبرنى فيه الملك فؤاد بضرورة العودة للقاهرة وطلب منى إطلاع فاروق على خطابه لى .. وضرورة التزامه بكل الإجراءات والخطة التى وضعت من أجل مواصلة دراسته .. ولم أطلع ولى العهد «فاروق» على خطاب والده

الملك.. ولكن «أحمد حسنين» أخبرني بعد عدة أيام أن «الملك فؤاد» أرسل خطاباً لابنه يرجوه فيه اتباع تعليماتي الأخيرة قبل رجوعي للقاهرة..

وأحسست بالراحة التامة وتنفست الصعداء لأن مهمتي وصلت إلى نهاية».

✪✪✪

وفي كتاب «فاروق ملكاً» يقول «أحمد بهاء الدين» مايلي:

وعرف «فاروق» على يد «حسنين» مغامرات الليـل!!

وكان «حسنين» و«فاروق» يداوران «عزيز المصرى» ويتركانه ينام ثم يخرجان إلى الليل والمدينة.. وضبطهما «عزيز» مراراً، وكان يثور، ويهدد بشكواهما ثم يهدأ!!

وتشاجر عزيز المصرى مرة مع «حسنين» على المائدة أمام فاروق، حين قادهما الحديث إلى «أحمد عرابى» و«سعد زغلول»!!

كان «عزيز المصرى» يريد أن يلقن فاروق أنهما رجلان وطنيان حاولا أن يؤديا لوطنهما خدمات جليلة أما «حسنين» فلا يلفت نظر فاروق إلا إلى أن عرابى أراد خلع «توفيق» وإلى أن« سعد زغلول» هو عدو أبيه!!

وكان فاروق في أخطر سني المراهقة، فمال إلى «حسنين» بحكم طبيعته المدللة التى تأبى أن تتعلم أو يفرض عليها رأى أو يشعر بتوجيه، ونفر من «عزيز المصرى» الذى كان يريد أن يوجهه قسراً..!! وذهب «عزيز المصرى»، وبقى معه «أحمد حسنين»!

ويوما بعد يوم نجح «أحمد حسنين» فى زيادة المسافة واتساعها بين الشاب «فاروق» وبين الفريق «عزيز المصرى»!!

بل سرعان ماغضب «فاروق» وقرر مقاطعة «عزيز المصرى» لعدة أيام لسبب غريب تماما!!

روى الحكاية بعد ذلك بسنوات زعيم مصر الفتاة «أحمد حسين» وكان قد سمع تفصيلاتها من عزيز المصرى نفسه!!

كتب أحمد حسين» يقول: «تبدأ القصة بأن والدة «فاروق» الملكة «نازلي» كانت ترسل له الخطابات التى تفيض بعبارات الأنين والحزن على فراقه وأنه لا يرقأ لها دمع ولا يغمض لها جفن إلى أن يعود.

وكانت أخواته الأميرات يرسلن له مثل هذه الخطابات الباكية!!

وكان «فاروق» يضطرب!!

فكان أن كتب «عزيز المصرى» إلى «الملك فؤاد» في تقريره الشهرى شارحاً ذلك كله واقترح أن تعدل الملكة «نازلي» وبقية الأميرات من هذا الأسلوب وأن يستعاض عنه بأسلوب يشيع التفاؤل، ويشجعه على المضى فى الدرس والتحصيل.

واستدعى الملك فؤاد زوجته الملكة نازلي ونهرها وحظر عليها أن تكتب لفاروق.

ولم يعد «فاروق» يتلقى رسائل من أمه الملكة أو أخواته، وسأل فاروق الرائد «أحمد حسنين» فأبلغه أن السبب هو «عزيز المصرى»!

وغضب «فاروق» من «عزيز المصرى»!

وقاطع «فاروق» رائده «عزيز المصرى» لعدة أيام.. لا كلام.. ولا سلام.. ولا أى شىء. فاستوقف عزيز المصرى فاروق وقال له:

- أنت ستكون ملكاً، وأول مظاهر الملك أن تكون شجاعاً، فكيف ترضى لنفسك أن تكون بهذا الجبن؟! وتقاطعنى منذ بضعة أيام وهذا عمل الأطفال فكن شجاعاً!!

وقال فاروق إنه (أى عزيز) قد حال بينه وبين «ماما»!!

سأل عزيز: ومن قال ذلك؟!

قال فاروق: عرفت.

وعندما سأله عزيز المصرى كيف؟ صمت فاروق ولم يجب!!

دعا عزيز أعضاء البعثة وعلى رأسهم «أحمد حسنين» إلى الاجتماع ثم وجه الحديث إلى فاروق وقال له: إن الذى أطلعك على التقارير خان الأمانة فإن المادة كذا من التعليمات تنص على أن التقارير التى تكتب عن شئون ولى العهد يجب أن تكون سرية ولا يُطلع عليها بأى حال من الأحوال..

وطلب «عزيز المصرى» من «فاروق» أن يتلو ماجاء فى التقرير وقال له:

- هل فى هذا طلب بالكف عن الكتابة؟!

ولم يرد فاروق. ومضى عزيز المصرى يقول له:

«إذا كان هذا هو سبيلك إلى المستقبل فما أخوفنى على مستقبلك!!»

وكانت النتيجة - يقول عزيز المصرى - أننى أبعدت عن ولى العهد وعدت إلى مصر وخلا الجو للرائد «أحمد حسنين» يصنع بالفتى الملكى مايشاء»!!

✪✪✪

وتدهورت صحة الملك «فؤاد» أكثر وأكثر!!

وكتب الوزير الأمريكى المفوض فى مصر «بيرث فيش» يبلغ حكومته فى ٢٤ أبريل ١٩٣٦م. «تجدد القلق فى الوقت الحاضر بشأن صحة الملك فؤاد، وأشارت الأنباء إلى أن صحته تغيرت إلى الأسوأ خلال الأيام العشرة الأخيرة، ومن الأمور ذات المغزى فى هذا الصدد أن الدكتور «فرجونى» الطبيب الإيطالى الذى استدعى من إيطاليا عام ١٩٣٤م استدعى مرة أخرى لعلاجه، وصدر بيان للتخفيف من أثر هذا الاستدعاء يقول إن الغرض من الزيارة هو تحديد سبب آلام الأسنان التى يعانى منها جلالته فى الفترة الأخيرة!!

وصحيح أيضاً أن الملك عانى من متاعب شديدة فى أسنانه، ولكنى علمت من الدكتور «دريكل» - وهو جراح أسنان أمريكى خبير يعمل فى القاهرة - بأن جميع الاحتمالات تشير إلى أن هذه المتاعب ترجع مباشرة إلى تسمم الدم البولى الذى أصيب به الملك».

لقد كانت الملكة «نازلى وحدها وليس أحداً آخر غيرها أكثر من عانى وقرف من «فم الملك وأسنانه» ! !

لقد أصاب «نازلى» من زوجها الملك «فؤاد» عدة أمراض ليس أقلها شأنا تقيح اللثة أو «البيورى» ! ! كان صاحب هذا التأكيد طبيب الأسنان الخاص بالملك فؤاد وأسرته، وهو الدكتور «ستانكيفتش» وهو روسى الأصل وكان متزوجاً من أميرة بولونية.

قال «ستانكيفتش» لمحمد التابعى :

إن فم الملكة «نازلى كان به تسع أسنان «عايمة» أو ملخلخة بسبب تقيح اللثة. ولما كان (الطبيب) يعرف أن الملك فؤاد عنده نفس الداء ـ وهو تقيح اللثة، فقد سأل الملكة نازلى لكى يتأكد من أصل العدوى وسببها ! !

ـ هل جلالة الملك يقبلك فى فمك ؟ !

وضاقت عينا الملكة قليلاً وقد بدا فيها حقد وسخط وقالت : يقبلنى فى فمى ؟ ! !

«وكانت عيناها وصوتها وقسمات وجهها تنطق بالاشمئزاز والكراهية». . !

ولم يكن ذلك فقط، كان إحساس نازلى تجاه الملك مزيداً من القرف والإحباط وكان أن جمعت كل ملابس زوجها ووضعتها فى صندوق خشبى كبير وأمرت أحد موظفى القصر أن يبيعها فى سوق الكانتو، ولم يكن أمام الموظف إلا تنفيذ أمر الملكة وعندما عاد ليعطيها ثمن ملابس زوجها، قامت «نازلى» بحرق هذه النقود، وكأنها تحرق كل ذكرى أليمة لها مع الملك الذى مات ! !

وليس سراً أنه فى الأيام الأخيرة من حياة الملك فؤاد كان رئيس الوزراء على ماهر باشا دائم الاتصال بأحمد حسنين والأمير فاروق فى لندن، كما كان المستر «كين بويد» مدير الإدارة الأوروبية فى وزارة الداخلية يلتقى يومياً بشريف صبرى (شقيق الملكة نازلى) ! !

وكان آخر مافعله الملك فؤاد قبل أن يدخل فى غيبوبة الموت ـ أنه كان يجلس نصف جلسة على كرسى مريح حتى لا يسرى السم الناتج من التهاب اللثة إلى بقية أجزاء جسمه ـ وكانت قد وصلت رسالة من ابنه «فاروق» ورأى أن يطلع عليها فضغط على زر كهربائى لإنارة الأباجورة القريبة منه، وفتح المظروف، ووضع نظارته على عينيه، وما كاد يستهل قراءة الرسالة حتى استسلم لنوبة إغماء قصيرة أسلم بعدها الروح ! !

الآن فقط «شمّت» الملكة «نازلى» نفسها ! !

مات الملك فؤاد الذى كان بالنسبة لها سجانها، وكان قصره «سجنها» وكانت سنواته معها «أشغالاً شاقة مؤبدة» ! ! كانت أغرب مفاجأة أدهشت الملكة «نازلى» فى ذلك الوقت وعرفت تفاصيلها من ابنها «فاروق» هو أن الملك فؤاد فكر أكثر من مرة فى طلاقها ! !

لقد وجد الملك فاروق فى الخزانة الخاصة بوالده «مسودة» مشروع بلاغ رسمى يعلن للأمة طلاقه من «نازلى» !

وكان تفسير الملك «فاروق» كما أعلنه لخاصته والمقربين منه «فهمت من ذلك «أن المرحوم والدى فكر فى وقت ما فى الانفصال عن والدتى، ولابد أن تفكيره فى الطلاق منها كان جدياً بدليل «المسودة» التى وجدتها فى خزانته، ولا أعلم لماذا عدل عن تنفيذ فكرته ولا أستبعد أن يكون مرضه هو الذى حمله على إرجاء تنفيذها، ثم اشتد عليه المرض فلم يتح له أن يمضى فى مشروعه إلى النهاية».

ولم تكترث «نازلى» كثيراً لوفاة الملك، بل إنها ـ وقبل وفاته وعندما تأكد لها أن الملك يحتضر ـ استدعت أقرب صديقاتها إليها وهى ابنة خالتها وقالت لها:

ـ «إن فؤاد يحتضر، وهناك شائعة بأن البريطانيين سوف يضعون الأمير «محمد على» على العرش بدلا من فاروق ولابد أن نفعل شيئا بسرعة»!

ويقول «عادل ثابت»: «إن والدته (ابنة خالة نازلى) عقدت فى بيتها بقصر الدوبارة اجتماعاً مع شريف صبرى (شقيق نازلى) ووكيل وزارة الخارجية وتقرر إرسال برقية إلى فاروق «للعودة إلى مصر بأسرع مايمكن، وأن تطلب الحكومة المصرية رسمياً من السلطات البريطانية إعادة وريث العرش الشاب بطريق الجو».

كان الغريب فى الأمر فى ذلك الوقت أنه لا أحد كان يريد عودة الملك فاروق من لندن على وجه السرعة إلا والدته «نازلى»!!

وفى نفس اليوم الذى وصل فيه «فاروق» إلى مصر، كانت وزارة الخارجية الأمريكية قد تسلمت تقريراً من الوزير الأمريكى المفوض فى مصر يقول فيه:

عاد الملك فاروق إلى مصر اليوم قادماً من بريطانيا العظمى حيث كان يواصل دراسته من أكتوبر ١٩٣٥م حتى وفاة والده فى ٣٠ أبريل ١٩٣٦. اتخذ الملك الجديد قرار عودته إلى مصر بنفسه وعلى مسئوليته وبموافقة ورغبة والدته التى تمارس نفوذاً كبيراً عليه كما هو معروف!

وقد أعرب المسئولون البريطانيون والمصريون عن أسفهم لهذا القرار(!!) لأنهم شعروا بأن من الأفضل بقاء الملك فى إنجلترا ومواصلة دراسته لمدة عام آخر بعيداً عن مكائد القصر وجو الحريم حيث ربى فى عزلة صارمة دون اتصال مع أحد سوى والدته وأخواته الأربع!!

ووفقا لما ذكره لى «سير مايلز لامبسون» المندوب السامى البريطانى يوم تشييع جنازة الملك فؤاد فإنه وعلى ماهر رئيس الوزراء المصرى يشكان فى حكمة عودة الملك فاروق فى هذا الوقت لكن أيا منهما لا يستطيع الاعتراض على هذه الخطوة».!

وفى نفس الوقت الذى توفى فيه الملك فؤاد.. كان ابنه «فاروق» فى لندن يمتطى حصانه فى حلبة ركوب الخيل فى «ديشموند بارك» وتقدم منه بهدوء شديد رائده «أحمد حسنين» الذى انحنى ثم قال له بعد لحظة صمت: مولاى إننى أحمل لك أنباء سيئة!!

وبادره فاروق على الفور: لقد توفى والدى!!

بهدوء شديد عاد أحمد حسنين وحسب مارواه الكاتب الإنجليزى «هيوج ماكليف» يقول: آسف، لقد توفى جلالة الملك فؤاد فى الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر اليوم وكان اسمك آخر كلمة نطق بها. جلالة الملكة «نازلى» تريد منك أن تتصل بها تليفونياً وهناك رسالة لك من رئيس الوزراء

كانت قد وصلت أخبار من القاهرة تفيد بأن الأطباء الذين يشرفون على علاج «فؤاد» لا يرون أى أمل فى شفائه. ولم يبد أى تأثير للخبر على وجه «فاروق» الذى كان لايزال معتلياً ظهر حصانه وبعد فترة صمت نظر فاروق ناحية «حسنين» و«سير لويس جريج» نائب مدير «ريشموند بارك» وقال لهما: سوف أؤدى عدة قفزات أخرى بالفرس ثم أعود معكما!

وتدخل «سير لويس جريج» قائلاً: سيدى لن تفعل شيئا من هذا وعليك أن تهبط فوراً!!

وهمس الرجل فى أذن «حسنين»:

- «لا يمكننا أن ندع ملكين لمصر يموتان فى يوم واحد».!!

✪✪✪

وفى ٦ مايو ١٩٣٦م وصل «فاروق» إلى أرض الوطن يصحبه رائده «أحمد حسنين»!

وكان المندوب السامى (السفير البريطانى) لورد كيلرن ضمن كبار الشخصيات الهامة التى كانت فى استقباله بمحطة السكة الحديد.

وحسب ملاحظة السفير البريطانى فقد كان فاروق شاحباً ومضطرباً!!

وكان يقف إلى جوار السفير البريطانى حسين صبرى محافظ الإسكندرية وخال الملك فاروق وشقيق «نازلى» الذى قال للسفير إن فاروق قد صدمته وفاة والده بشكل بالغ!!

وقال السفير لخال الملك إن الأمور خلال الفترة القادمة سوف تكون غاية فى الصعوبة أمام الملك الشاب، وإنه سيكون بحاجة إلى من يمكنه الاعتماد عليه!!

ومضى السفير يقول بصراحة لشريف صبرى خال الملك:

«إننى أرى إبلاغ الملكة نازلى أنه إذا كانت هناك حاجة للمساعدة فى أى وقت فإننا سوف نكون على استعداد لتقديمها، وسيكون ذلك بمثابة تعهد والتزام منا».

وبعد ثلاثة أيام بالضبط التقى السفير البريطانى «لورد كيلرن» بمدرس الكيمياء الخاص بالملك فاروق «تيتر نجتون» حتى يقف منه على آخر الأخبار لما يجرى داخل القصر!!

وكان «معلم فاروق» قد استمد معلوماته وأخباره من مربية فاروق الإنجليزية «مسز تايلور» التى مكثت فى خدمة القصر حوالى ثلاثة عشر عاماً، وكان أخطر ماسمعه منها إنها تتوقع من الملك أن يستغنى عن خدماتها فى أية لحظة.

والأهم «أن الملكة نازلى» قد أصبحت أكثر تسلطاً تحدوها فى ذلك الرغبة فى إبعاد كل العناصر التى ارتبطت بشخص الملك فؤاد عن الخدمة فى القصر، بل وراحت نازلى تعيد إلى القصر كل العناصر السيئة التى سبق طردها منه فى الماضى.

ولم تكن «نازلى» بعيدة أو غائبة عن عيون السفارة الأمريكية فى القاهرة!!

وعقب وفاة الملك فؤاد كتب «بيرت فيش» الوزير الأمريكى المفوض بالسفارة يقول فى برقية بتاريخ أول يونيو ١٩٣٦:

«من الصعب تقديم أى سرد شامل لحياة الملك (فاروق)، إن أنواع نشاط حياة هذا الشاب حتى سفره إلى إنجلترا فى العام الماضى تخفيها جدران القصر ولم يكن يسمح له بتجاوزها إلا نادرا. ومن المشكوك فيه أن تكون الظروف التى تتخلل هذا الجو «الحريمى» داخل المقصورات المعزولة فى القصر ملائمة لتصوير شخصية تليق برجل».

وعن نازلى كتب الوزير الأمريكى المفوض فى نفس البرقية يقول:

«ولايمكن الحصول على شىء من محاولة تقييم والدته - ابنة المرحوم صبرى باشا - التى تمارس أقوى نفوذ عليه لأنها تعيش حياة منعزلة أيضا، بعيدة عن أى عالم سوى عالم المقصورات الضيق فى القصر الملكى».

ولم تقم «الملكة نازلى» بأى دور فى الحياة العامة فى مصر إلا عندما كانت فتاة شابة أو بعد ضمها إلى بلاط حريم الملك فى عام ١٩١٩ كملكة شابة فى أوائل العشرينيات من عمرها رغم أنها تتمتع بذكاء فطرى مناسب.

وبعد ستة أشهر بالضبط كان الأمير «محمد على» الوصى على العرش قد تقابل مع الوزير الأمريكى المفوض بالقاهرة «بيرت فيش» ودار الحوار بينهما حول «نازلى» و«فاروق» وسجل الأمير «محمد على» كل مادار بينهما فى برقية سرية طويلة كتبها إلى واشنطن:

كتب الوزير يقول عن مقابلته مع الأمير «محمد على»: «يجب أن نتذكر أن الملك الراحل «فؤاد» كان على علاقة فاترة جداً بالأمير «محمد على» ويشعر سمو الأمير الآن بأنه على علاقة طيبة بابن الملك الراحل «فاروق» وأرملته والدة الملك الحالى.

ويتناول الأمير الغداء معهما أحياناً كثيرة ويروى للملكة آخر النكات التى تستمتع بها كما يقول، وذكر الأمير محمد على أن علاقته وثيقة بالملك فاروق.

ويعتقد الأمير «محمد على» أن الملك الشاب والملكة الوالدة سيصلان إلى مفترق الطرق بعد تنصيبه على العرش بفترة قصيرة، وقال (الأمير محمد على) إن الملك فاروق لا يستمع لوالدته. ويعتقد الأمير أن الملك سيرغب فى الاختيار (اختيار عروس) بنفسه بدلاً من أن يترك والدته أو أى شخص آخر يختار له.

وقال الأمير محمد على إن أرملة سعد زغلول تكن مشاعر ودية للملك.

نازلى واللعب مع الكبار

ووصل «فاروق» من لندن يوم ٦ مايو ١٩٣٦.

ومن اللحظة الأولى احتل «فاروق» مكانه ومكانته داخل قلب كل مصرى، رغم كل العداء والكراهية التى كانت تكنها مصر لوالده أحمد فؤاد!!

كان أول مافعله «فاروق» (١٦ سنة) أن ذهب إلى مقابر الرفاعى لزيارة قبر والده.. وصحبه فى تلك الزيارة «على ماهر» باشا رئيس الوزراء!!

استقبلت الألوف «فاروق» بالتحية والهتاف بحياته.. ويسجل السفير البريطانى أن استقبال «فاروق» تعدى وفاق كل تصور، ودلّ على امتزاج الشعب بالعرش.

وألقى فاروق خطابا إلى الأمة لمس أوتار قلوبها ومس مشاعرها بدأه بقوله:

أمتى العزيزة..

غادرت مصر منذ سبعة أشهر وكلى اطمئنان على صحة المغفور له والدى وقصدت طوعاً لرغبته البلاد الصديقة والأمة العظيمة التى اختارها لى لأتلقى العلم فى معاهدها..

ولقد كان أكبر رجائى أن أعود إلى والدىّ فأستأنف فى ظل برهما مانشآنى عليه وأستعين على تبعات المستقبل البعيد بصحبتهما الطويلة، ولكن شاءت إرادة الله - ولا راد لقضائه - ألا أمتع برؤية أبى وأن أحرم من تحقيق آمالى الكبيرة فى شخصه المحبوب وعهده السعيد، فإلى الله أبتهل أن يتغمده برحمته ورضوانه وأن يسكنه فسيح جناته. إننى أستقبل حياتى الجديدة بعزم وثاب وإرادة قوية. وأعاهدكم عهداً وثيقاً على أننى سأقف حياتى على العمل لنفعكم وموالاة السعى فى سبيل إسعادكم، لقد رأيت عن كثب حبكم لى وتعلقكم بى لذلك أرى لزاماً علىّ أن أعلن ما اعتزمته من التضامن معكم فى سبيل مصر العزيزة، فإنى أؤمن بأن مجد الملك من مجد شعبه.»

وفى مساء نفس اليوم تم فتح وصية الملك فؤاد، وحسب شهادة «مصطفى النحاس» فقد «رأينا أن الأسماء التى وردت بها، بعضها انتقل إلى رحمة الله «عبد الرحيم صبرى» والد الملكة نازلى والبعض الآخر ليس محل اتفاق «توفيق نسيم» و«محمود فخرى» باشا واقترحت أسماء بدلاً منها وأخيراً اتفق الرأى على أن يؤلف مجلس الوصاية من الأمير «محمد على» رئيساً، وشريف صبرى باشا خال فاروق، وعزيز عزت باشا وزير الخارجية السابق وصهر العائلة المالكة.

كان «على ماهر» باشا قد نجح في استصدار فتوى من علماء الأزهر وبعض علماء القانون بأن سن الرشد ثمانية عشر عاما هجرية، وكان معنى ذلك أن يتمها «فاروق» بعد حوالى ١٤ شهراً أى فى يوليو ١٩٣٧ .

وفوجىء النحاس باشا برئيس مجلس الوصاية «الأمير محمد على» يناقشه فى هذه الفتوى قائلاً: إن هذا أمر خطير، وأن فاروق طفل لم ينضج ولم يتعلم وأن من رأيه أن يرفع سن الرشد إلى ٢١ سنة ميلادية لا هجرية وذلك لمصلحة البلاد!!

ورفض النحاس ذلك المنطق وقال لمحمد على: إن هذا أمر نفذ وأنا لا أريد أن أصدم هذا الشاب فى مستهل حياته حتى لاتحدث بيننا خلافات من الآن!!

وفيما بعد عرف النحاس أن مافعله «على ماهر» بشأن سن الرشد كان ترضية ومحاولة للتقرب من الملكة «نازلى» ولا أحد غيرها!!

✪✪✪

وفى إحدى زيارات حسين صبرى شقيق الملكة نازلى قالت له بكل صراحة ووضوح:

إن فاروق طفل وعنيد، وأنا أخاف عليه من هذا الطقم القديم الموجود فى السراى «طقم» سعيد ذو الفقار، وعبد الوهاب طلعت وغيرهما!

وأخشى أن يملأوا رأسه (فاروق) بالكلام الفارغ ضد الوفديين!! أو يوغروا صدره ضد «مصطفى النحاس» كما كانوا يفعلون مع «المرحوم» أبيه.. وهذه تكون مصيبة لأن «فاروق» إذا اصطدم بالوفد فسوف يأكله مصطفى النحاس!! وأنا أعلم أن لك أصدقاء بين كبار الوفديين وأطلب منك أن تذهب وتقول لهم بلسانى ونيابة عنى إن «نازلى» تقول لكم:

فاروق ابنكم فخذوه وربوه وعلموه.. وأنها -أى نازلى- تضعه أمانة فى أيديكم ولكنها تنصحكم فى نفس الوقت أن تُبعدوا عنه بل عن السراى كل هذا الطقم الجديد..»

بعبارة أخرى -والتحليل للتابعى- فإن نازلى أرادت أن تلجأ إلى شهامة الوفديين!!

وهكذا ذهب حسين صبرى شقيق الملكة -إلى صديقه عبد الحميد البنان وأبلغه رسالة شقيقته الملكة نازلى ونقل البنان الرسالة إلى أحمد ماهر ومصطفى النحاس!

ولكن الوفد أو حكومة الوفد لم تعمل بمشورة «نازلى» فلم تطلب إقصاء أو طرد أى موظف كبير من موظفى القصر، بل أبقوا القديم على حاله!!

ولو أنهم كانوا قد عملوا بنصيحة «نازلى» وتقدموا إلى مجلس الوصاية طالبين فصل أو نقل فلان وفلان من كبار موظفى السراى لأجابهم مجلس الوصاية إلى طلبهم، خصوصاً لأن رئيس المجلس المذكور الأمير «محمد على توفيق» كان يكره جميع كبار موظفى السراى!!

وشريف صبرى عضو المجلس هو شقيق الملكة «نازلى» وكان طبيعياً أن ينفذ مشورة شقيقته!!

والعضو الثالث «عبد العزيز عزت باشا» كان رجلاً مسالماً ويميل -إذا مال- إلى جانب الوفديين!

ولكن حكومة النحاس الوفدية أهملت أو لعلها استهانت بالأمر كله ولم تر داعياً أو ضرورة لعمل أى شيء.

ولم يكن حسين صبرى - شقيق الملكة نازلى - هو وحده الذى اتصل بكبار الوفد، بل إن «شريف صبرى» شقيق الملكة وعضو مجلس الوصاية تقابل مع مصطفى النحاس وتحدث معه فى نفس الموضوع!!

ووجدت هذه المقابلة بين شريف صبرى (شقيق نازلى وخال الملك) مكانها فى مذكرات مصطفى النحاس الذى كتب يقول فى يومياته بتاريخ أول يوليو ١٩٣٧ مايلى:

«جمعتنى الصدف فى إحدى الحفلات بشريف صبرى باشا وانتحى بى ناحية وأخذنا فى حديث خاص. ومما قاله لى إن موعد تولى الملك سلطته الدستورية قد قرب، وهو لايزال طفلاً على حمل المسئولية، وإنى لا أخشى عليه إلا من اثنين هما «على ماهر» و«أحمد حسنين» فإن كليهما يتسابق على ترضيته والزلفى إليه. وإنى آمل منك ياباشا أن تحاول ضمه إلى ناحيتك حتى تبعده عن هذه التيارات المختلفة، ولا أخفى عليك أن القصر ملغم بالأجانب الذين لايحلو لهم العيش إلا فى وسط الدسائس والمؤامرات.

وهناك حزبان، حزب «على ماهر» الذى أعتقد أنه سيعين رئيساً للديوان بمجرد تسلم الملك سلطته الدستورية، ومن الموجودين داخل القصر «عبد الوهاب طلعت». وحزب «أحمد حسنين» الذى يحبه فاروق ويطمئن إليه ويصغى إلى جميع آرائه!!

وأنا أعلم أن الملكة نازلى تميل ناحية الوفد كثيراً، وتود لو أن الملك والوفد يتفقان حتى تضمن الاستقرار الذى افتقدته فى أيام الملك فؤاد!!

ولو أن رفعتك - الكلام موجه للنحاس - استعملت اللباقة والتجارب السياسية مع فاروق لكسبته. وتأكد أنى وأخى حسين باشا والملكة نازلى فى صفكم!

ورد النحاس باشا على كلام «شريف باشا صبرى» بأن قال له:

- إنى سأعمل جهدى على تنفيذ رغبتكم ولعلك تعلم أنى عارضت الأمير «محمد على» معارضة عنيفة فى مد سن الملك لبلوغ الرشد الذى كان يسعى إليه!

وأجابه شريف صبرى بقوله: إننا نعرف ذلك ونقدره لك ونشكرك عليه ونرجو أن يوفقنا الله فنستطيع إنقاذ الملك من البطانة التى تستعد من الآن للحيلولة بينه وبين الطريق الصحيح. وفوجىء النحاس بقيام «على ماهر» بتدريس القانون الدولى للملك، وأن الشيخ المراغى شيخ الأزهر يدرس للملك الدين، وذلك دون علم الوزارة ومن غير إذنها، فطلب من مجلس الوصاية أن يبين: كيف تم السماح بذلك وتخطى الوزارة فى مسألة خطيرة كهذه»؟!

✪✪✪

وبينما كان «النحاس» مهموماً بمثل هذه المسائل، كان« فاروق» مهموماً بعواطفه ومشاعره وقلبه الأخضر!!

لم تكن صافيناز ذو الفقار التى أصبحت تعرف باسم الملكة «فريدة» هى قصة الحب الأولى فى حياة الملك «فاروق» !!

كانت هناك قصة مجهولة بدأت وانتهت بسرعة عجيبة بعد أيام قليلة من عودة فاروق من لندن ! كانت بطلة هذه القصة ابنة إحدى وصيفات الملكة «نازلى»، وكان «فاروق» يراها تلعب وتلهو وتمرح مع شقيقاته الأميرات !!

وعندما رآها فاروق أحبها .. وقرر أن يتزوجها .. ودون أن يخبر أحداً بهذا القرار المفاجىء ذهب إلى بيتها فى الجيزة فجأة !!

كان «فاروق» قد اصطحب معه اللواء عمر فتحى عندما ذهب ليطلب يدها، ولم يكن أحد موجوداً ببيت الفتاة، وفجأة أطلت الفتاة من نافذة الدور العلوى وقالت للملك :

ـ ماذا تريد ؟!

قال لها الملك ببساطة : أريد أن أراك ؟!

وبلا مبالاة وكثير من عدم الاهتمام ردت عليه الفتاة :

ـ إن أبى وأمى ليسا هنا، ولا أستطيع أن أراك بغير وجودهما !!

لكن الملك ألح عليها فى أنه يريد أن يحدثها فى أمر هام، لكنها أغلقت النافذة فى وجهه. وانزعج «اللواء عمر فتحى» ودهش الملك فاروق من هذا الموقف وقال لعمر فتحى : ـ إنها فتاة مجنونة، لقد كنت أريد أن تكون هذه الفتاة ملكة مصر، ولكن الحظ تخلى عنها !!

بعد ذلك اعترف «فاروق» للمقربين منه بأن هذه الفتاة كانت غرامه الأول، وروى المقربون من فاروق أنه فى ذلك اليوم كان فى منتهى الغضب والغيظ ! واعتكف فى غرفته بالقصر رافضاً أن يرى أحداً أو يتكلم مع أحد !

وحسب رواية مصطفى أمين فقد دخلت عنده أمه الملكة نازلى وسألته عما به، فأخبرها الملك بكل ماحدث من تلك الفتاة !

واقترحت «نازلى» أن تدعو والدة الفتاة (وصيفتها) والفتاة لترافقاها فى الرحلة الملكية إلى أوربا ابتداء من ٢٧ فبراير، ورحب فاروق بالفكرة التى أسعدته كثيراً.

وقامت «نازلى» بعرض الفكرة على وصيفتها ودعتها للسفر إلى أوربا، وعندما عرضت الأم الفكرة على ابنتها رفضت !

وظلت «نازلى» طوال ساعات تحاول إقناع الوصيفة وابنتها التى أحبها فاروق بالسفر، لكن الفتاة رفضت تماماً !

اكتفى مصطفى أمين بأن يرمز لاسم هذه الفتاة بالحرف (قاف) فقد تزوجت بعد ذلك بقليل من أستاذ جامعى !!

✪✪✪

واقترب موعد سفر الحاشية الملكية إلى أوربا !!

كان كل شيء قد تم إعداده وترتيبه تماماً، وتم إعداد كشف بقائمة الذين سيصاحبون الملك وأمه وأخواته، وقبل ثلاثة أيام من موعد السفر، دخل «فاروق» إلى جناح أمه وقال لها:

ـ لن أسافر إلا إذا سافرت معنا «صافيناز» ! !

فوجئت الملكة نازلى .. بطلب ابنها، فقد كانت هذه أول مرة يذكر فيها ابنها اسم الآنسة «صافيناز ذو الفقار» ابنة وصيفتها وصديقتها وكريمة «يوسف ذو الفقار» المستشار فى محكمة الاستئناف المختلطة.

كان «فاروق» قد رآها عدة مرات ولكنه لم يتحدث إليها .. كانت صغيرة السن فى الخامسة عشرة من عمرها، وكانت صديقة للأميرة «فوزية» ! !

وقالت نازلى بدهشة لفاروق: هل كلمتها ؟ !

قال فاروق ببساطة: أبداً ؟ !

سألت «نازلى»: ولكن كيف تسافر معنا ولم تبق إلا ثلاثة أيام على السفر ؟ !

وجاء رد فاروق ببساطة: لن أسافر إلا إذا سافرت «صافيناز» ! !

وسألت «نازلى»: هل هو حب من أول نظرة ؟ !

أجاب فاروق: لا .. إنما أنا أريد أن تسافر معنا ؟ !

وأتى «فاروق» بالتليفون إلى أمه وطلب منها أن تتصل ببيت «صافيناز ذو الفقار»، ورغم أن الساعة كانت قد تجاوزت الثانية صباحاً، فقد نفذت نازلى كلام ابنها. كان الكل نائماً فى بيت «صافيناز» منذ ساعات، وظل جرس التليفون يدق لدقائق، حتى استيقظت «والدة صافيناز» منزعجة، وجاء صوت نازلى يقول لها: بنسوار .. أقصد بنجور ! !

ودهشت «زينب هانم» والدة صافيناز وقالت: ماذا حدث ؟

قالت نازلى ببساطة: لاشيء .. نحن نريد أن نأخذ معنا صافيناز إلى أوربا ! !

ردت أم صافيناز: مستحيل ! !

قالت نازلى: لاشيء مستحيل .. لازم صافيناز تيجى ؟ !

من وسط الدهشة والحيرة والارتباك قالت زينب هانم للملكة نازلى:

ـ هذا غير ممكن، إن صافيناز مشغولة فى مدرستها، وسوف تستعد للامتحان ! !

قالت «نازلى» مصممة: لازم تيجى «صافيناز» .. إن البنات (الأميرات) مصممات على أن تسافر معهن وإلا فلن يسافرن إلى أوربا ! !

عادت والدة «صافيناز» تقول: هذا مستحيل، البنت يلزمها ملابس شتاء، ولابد أن تعدها !

قالت نازلى ببساطة: يمكنها أن تعد ملابسها فى ثلاثة أيام !

وجدت «زينب هانم» فرصة للخروج من المأزق فقالت:

ـ ولكن ليس عندنا باسبورتات ؟ (جوازت سفر).

ردت نازلي بقولها : ممكن أن نعد لها الباسبورت في ثلاث دقائق لا ثلاثة أيام ! !
عادت والدة صافيناز لتقول : سافروا أنتم، وهي تسافر بعد الامتحانات ! !
حسمت نازلي الموقف بقولها القاطع : لن نسافر بدونها . . ! !
وتذكرت والدة «صافيناز» شيئاً هاماً فعادت تقول :
ـ ولكن «صافيناز» لايمكن أن تسافر وحدها ! !
وكانت «نازلي» جاهزة لمثل هذا السؤال فقالت بسرعة : تعالى أنت معها ! !
وأخيراً تعبت «زينب هانم» من اللف والدوران فقالت للملكة :
ـ على كل حال لا أستطيع أن أقول رأيي قبل أن أسأل زوجي !
وردت عليها «نازلي» بقولها : قولي له إن هذا أمر ملكي !
وانتهت المكالمة عند هذا الحد ! !

✪✪✪

لم تجد السيدة «زينب ذو الفقار» مفراً من إيقاظ زوجها وأخبرته بالمكالمة التي تمت وكان رده أنه لايوافق على السفر وأن البنت «صافيناز» يجب أن تتم دراستها، وهو يرفض أن تترك مدرستها في أثناء الموسم الدراسي ! !

وفجأة عاد التليفون يدق من جديد، وكانت المتحدثة هي الملكة «نازلي» التي سألت :
ـ ماذا قررتم ؟ !
وقالت زينب ذو الفقار . . للملكة نازلي :
ـ لايمكن أن تسافر «صافيناز» . . إنما أنا مستعدة أن أسافر ؟ !
وعادت «نازلي» لتقول بحسم : إن هذا أمر ملكي !
وتنهدت والدة صافيناز وقالت : أمرنا لله !

وكان الملك فاروق يضع أذنه على التليفون أثناء حديث أمه الملكة مع أم «صافيناز» وما إن انتهت المكالمة حتى التفتت «نازلي» إلى ابنها «فاروق» وقالت له :
ـ مبسوط ؟ ! اذهب لتنام الآن ! !
وفي الصباح استيقظت «صافيناز» من النوم لتجد نفسها مسافرة إلى أوربا .
وقالت صافيناز : مستحيل . . كيف أترك الامتحان ؟ !
قال والدها : هذا أمر ملكي !
ولم تقتنع «صافيناز» بكل التفسيرات التي قيلت لها، وقالت وهي ترتدي ثوب المدرسة :
ـ مالي وللأمر الملكي ! !
قالت الملكة فريدة في مذكراتها :

«كنت فتاة صغيرة تحمل كتبها على صدرها في مدرسة «نوتردام ديسون» بالإسكندرية وأستعد لأداء الامتحان، وأنا غارقة في المذاكرة، وأبي يسهر معي يشجعني في حجرة مكتبه

حيث كان مستشاراً فى محكمة استئناف الإسكندرية، فى هذا الوقت تلقت والدتى دعوة من صديقتها الملكة « نازلى» لكى تصحبها فى رحلة أوربا وأنا لأكون مع صديقتى الأميرة «فوزية» وبقية الأميرات. وترددت فى الموافقة حيث إنى مقبلة على الامتحان وقد ذاكرت دروسى والرحلة طويلة عدة شهور، ولكن كان لدى إحساس داخلى بأن هذه الرحلة ستكون نقطة تحول فى حياتى فوافقت على الذهاب فى تلك الرحلة الملكية، وأقنعت أبى بمساعدة أمى على أن يوافق على ذهابنا إلى أوربا بصحبة الملك.»

ورغم كل الذكريات المؤلمة، والطلاق.. فإن الملكة فريدة احتفظت فى ذاكرتها بتفاصيل ومشاهد أول لقاء لها مع الملك فاروق عقب عودته من لندن بعد وفاة والده الملك فؤاد.

«ذهبت مع والدتى إلى القصر لكى تلتقى بصديقتها الملكة نازلى حيث كانت والدتى وصيفتها، وألتقى أنا بصديقتى فوزية شقيقة فاروق.. حيث دعتنى فوزية لزيارتهم.

فى هذا اليوم، ذهبت إلى القصر فوجدت عدداً من الفتيات الأخريات فى مثل سنى ولم أكن أعرف وقتها أن الملكة نازلى وشقيقات الملك الأميرات يبحثن عن عروس لفاروق!

وأمام حمام السباحة أخذنا نضحك ونمرح ونسبح سعيدات بالجو الملكى، وفجأة ظهر فاروق وصاحت الفتيات: الملك! واتجهن حيث يقف فاروق إلا أنا ووقفت وحدى بعيداً بالقرب من والدتى. ووجدت فاروق يترك جميع الفتيات ويتقدم إلى حيث تجلس والدتى وسألها عمن أكون؟!

فقالت له: إنها ابنتى صافيناز!

ونظر إلى حيث أقف وحيانى بإيماءة من رأسه ثم انصرف، وكانت هذه اللحظة هى أول مرة أرى فيها فاروق ولم أكن أدرى لحظتها أن القدر قد اختارنى لأكون زوجة وسأصبح ملكة مصر!! وقتها كانت سنى خمس عشرة سنة، كنت صغيرة مازلت طالبة فى المدرسة، ولم أكن أفكر فى الزواج، بل لم يخطر على بالى موضوع الزواج هذا.

✪✪✪

كان من الطبيعى أن ينبض قلب الشاب فاروق.. بالحب فى هذه السن!!

لكن كان من غير الطبيعى تماماً ولا من المنطقى أن يدق الحب أبواب قلب نازلى وفى هذه السن أيضا، وبهذه السرعة!!

كانت نازلى ينطبق عليها تماماً المثل الشعبى القائل: « كانت فى جرة وخرجت لبرة» أما الجرة فكانت أحمد فؤاد.. الذى حبسها ١٧ سنة متصلة، وكانت نازلى تسمع عشرات المغامرات العاطفية لزوجها مع الأخريات، ويغلى جسدها وتفور مشاعرها، فقد كان يعاملها كإحدى قطع أثاث القصر الملكى!!

لكن كل ذلك انتهى ومضى، والآن تبدأ نازلى حياة جديدة بلا سجان أو سجن!!

ولم يكن قد مضى سوى أسابيع قليلة على وفاة الملك فؤاد حتى كثر الهمس واللمز والقيل والقال بين موظفى القصر والحاشية حول نازلى!!

وانطلق الهمس من جدران القصر ليصل إلى الأوساط الخاصة وبيوتات الطبقة الراقية بأن الملكة نازلي - وكانت لاتزال ترتدى ملابس الحداد - قد انطلقت وتحررت وحطمت قيود زوجها الراحل ! ! كانت العبارة الشهيرة التي ترددها نازلي - دائماً هي «أنا سجينة الملك فؤاد» سبعة عشر عاماً هي وبيع عمرها وأجمل سنوات الصبا والشباب ضاعت مع الملك الذى لم تكن تحبه أبداً ! !

«انطلقت نازلي بشراهة ونهم تنهل من عيون الحياة، وتطفىء نار الظمأ الذى أحرق أحشاءها السنوات الطوال». في البداية كثر الهمس والشائعات ودارت وحامت حول أسماء من بعض ضباط الحرس وموظفي القصر، ثم تركزت الإشاعات حول اسمين اثنين هما أحمد محمد حسنين والياور عمر فتحي ! !

يؤكد التابعي أن نازلي كانت تريد أن تلهو بالرجلين وأن تضرب أو تضارب أحدهما بالآخر، وأن تثير الغيرة في صدر هذا ضد ذاك، وأن تتلذذ بمشاهدة الغيرة والمنافسة بين رجل الحاشية الوسيم (حسنين) وضابط الحرس الرشيق (عمر فتحي) وأن تعبث وتلهو. ولتأكيد هذا الكلام فقد روى حسنين للتابعي حكاية كان هو طرفها.. ومؤداها :

«طلبت منه الملكة نازلي أن يمر عليها في الساعة كذا لكي يصحبها إلى حفلة ما في المساء، وذهب .. حسنين في الموعد المحدد، وطلب من إحدى الوصيفات أن تذكر نازلي بموعد الحفلة وأنه - أى حسنين - في الانتظار !».

وقالت الوصيفة له : ولكن جلالة الملكة غادرت القصر منذ ساعة وذهبت فعلاً إلى الحفلة ! وعندما سأل حسنين الوصيفة مع مَنْ خرجت الملكة، كانت إجابتها :« خرجت مع عمر فتحي» يقول حسنين معلقاً :

- لقد سألت الوصيفة وأنا أعلم مقدماً الجواب، فلم تكن هذه أول مرة تحاول فيها نازلي .. أن توقع بيني وبين صديقي عمر فتحي ! !

وفي مرة أخرى دعت نازلي - عمر فتحي ليصحبها إلى المكس لتناول طعام العشاء في مطعم هناك اشتهر بأصناف السمك، واعتذر عمر فتحي لأنه سيلازم فاروق ابنها طوال ساعات المساء، وبكل بساطة هزت نازلي كتفيها ونظرت إلى الياور عمر فتحي بطرف عينيها وقالت له : على كيفك ! ! إذا كنت مش فاضي.. حسنين دايما فاضي علشاني ! !

✪✪✪

لكن الذكاء سرعان ماخان نازلي في تلك اللعبة الشريرة ! !

منذ أول جولة انسحب عمر فتحي من اللعبة فقد كان رجلا بلا مطامع أو أحلام، وظل طوال سنوات عمله في القصر - منذ أيام الملك فؤاد - حريصاً على أن يكون في حاله وأن يهتم فقط بواجبات وظيفته ومنصبه ! ! وهكذا خلا الجو والقصر لنازلي وحسنين ! !

لقد ظل حسنين يعمل فى القصر مع الملك فؤاد.. طوال ٢٢ عاماً، وابتداء من عام ١٩٣٤ كان الملك قد اختاره.. «رائداً» لفاروق أثناء سفره إلى لندن، وظل معه حتى عاد بعد وفاة والده !!

وهكذا لم يكن هناك شيء ما تستطيع نازلى أن تحجبه عن حسنين، أو بحسب عبارة شديدة الدلالة للتابعى .. «كان حسنين يعرف الكثير عن سجنها وعذابها وغيرة زوجها الملك فؤاد وحسرتها وتلهفها على الحياة المرحة الطليقه».

وهكذا عاد حسنين إلى القصر وليس فى ذهنه سوى هدف واحد وحيد - وهو القارىء العاشق لكتاب الأمير لميكافيللى وخلاصته: الغاية تبرر الوسيلة !! وكان مؤمناً تماماً بأن الذى يسيطر على نازلى يستطيع عن طريقها أن يسيطر فى نفس الوقت على الملك فاروق !!

لم يكن أحمد حسنين شابا مراهقاً بل كان رجلا له مكانته الاجتماعية المتميزة، فقد كان متزوجاً من ابنة الأميرة شويكار مطلقة الملك فؤاد.. عن زواج أحمد حسنين الأول، كتب مصطفى أمين يقول:

تزوج أحمد حسنين فى واشنطن بعد قصة حب ! فقد كان السكرتير الأول للسفارة وكان السفير سيف الله يسرى باشا وأحب حسنين ابنة السفير، وأحبته ابنة السفير !!

وكانت العروس فقيرة فقد كانت أمها ـ الأميرة شويكار ـ مطلقة الملك فؤاد ومطلقة سيف الله يسرى باشا. تزوجت شويكار بعد ذلك ثلاث مرات .

وأحبها حسنين وهى فقيرة وأمها مغضوب عليها من الملك فؤاد ومحرومة من كل المخصصات الملكية ورزق منها بولدين وبنتين وكانا أسعد الأزواج !!

وفى سنة ١٩٣٦ مات الملك فؤاد وورثت ثروة عن شقيقها الأمير أحمد سيف الدين أغنى رجل فى مصر وأصبحت لطيفة هانم ابنة شويكار وزوجة حسنين أغنى شابة فى مصر !.

وينسب مصطفى أمين لحسنين قوله:

«استدعانى الملك فؤاد للعمل معه فى خدمته، وقد قبلت هذا العمل حتى أستطيع أن أقوم برحلة ثالثة فى الصحراء أكتشف فيها الربع الخالى، ودخلت القصر على أن أخرج منه بعد شهور ولكننى فشلت وبقيت به ٢٢ عاماً !!

وقالت مجلة المصور:

إن الملك فؤاد عندما اختاره لمرافقة ولى عهده فاروق قال له:

لم أجد خيراً منك أ أئتمنه على أحسن شيء عندى !!

وكانت أسماء أبناء حسنين كمايلى:

طارق وهشام، وجيدة. أما آخر العنقود وأقربهم إلى قلبه وعقله فكان اسمها نازلى !!

والآن تبدأ حكايته مع نازلى الملكة !

الطريق إلى قلب نازلي!

كل الأحبة اتنين .. اتنين !!

وانطلق الجميع إلى أوروبا فى رحلة ملكية ستطول لمدة خمسة شهور تقريباً !!

سافر «فاروق» بهدف الدراسة والتعلم حتى يحين موعد بلوغه سن الرشد ليتم تتويجه ملكاً على مصر !!

وسافرت «صافيناز» مضطرة ومرغمة بصحبة والدتها السيدة زينب وصيفة الملكة «نازلى» وصديقتها المقربة !!

وسافرت «نازلى» للفسحة والمتعة بعد سنوات طويلة من السجن الاختيارى مع زوجها الراحل. وسافر أحمد حسنين بصفته رائد الملك الشاب !!

فى خمسة شهور طافت الرحلة الملكية معظم عواصم أوروبا !!

حفلت هذه الشهور الخمسة بكل ماهو مثير ومدهش ومتناقض، لكن أهم ماجرى على الإطلاق كان يتعلق بـفاروق وأمه !!

تأكد فاروق أنه يحب صافيناز ويخاف عليها من نسمة الهواء الطائرة !!

أما «الملكة نازلى» فقد أحبت وعشقت وتدلهت وذابت وانصهرت فى حب حسنين فقد خلا الجو لها بعدم وجود زوجة حسنين التى تركها تغلى فى القاهرة !

✪✪✪

صحيح أن «نازلى» كانت مشغولة بأحوالها العاطفية، لكنها وبنفس الدرجة كانت مشغولة بالسياسة وبتدعيم مركز ابنها الملك الشاب «فاروق». وكان ذلك فى اعتقادها لن يتأتى إلا بتدعيم الوفد والنحاس باشا لـفاروق، وانتهزت «نازلى» فرصة وجود النحاس لتوديع البعثة الملكية واستدعته وتكلمت معه بكل صراحة !

وكتب «مصطفى النحاس» يسجل الحوار الذى دار بينه وبين الملكة «نازلى» فقال فى مذكراته : «وفى أثناء سير القطار دعتنى الملكة «نازلى» لمقابلتها فذهبت إليها فحدثتنى حديثاً طويلاً عن أن «فاروق» شاب صغير فاعتبره ولدك وعامله برفق، وأنى أفهمته أن والده عاش وعنده عقدة من الوفد من عهد «سعد» باشا إلى قرب انتقاله إلى رحمة الله، ولكنه قبل وفاته أدرك أن الوفد ورئيسه الحالى (أقصدك ياباشا) لايعادون العرش ولا تفكير عندهم فى تغيير نظم الدولة وقلبها إلى جمهورية كما يظن أعداؤهم !! وأننى بحكم خبرتى وعشرتى لكثير من أسرهم أعرف هذا، وأن الملك فؤاد صرح بهذا لبعض المقربين إليه !!

وراحت نازلى تروى للنحاس فقالت له: إن الملك فاروق شاب طرى العود ويمكنك بالسياسة والعطف والمعاملة الحسنة أن تضمه إلى صفوفكم !!

فقلت لها : تأكدى ياجلالة الملكة أنى لا أضمر فى نفسى أى شىء لجلالة الملك الشاب.. ولعله قد بلغك أنى رفضت الموافقة على رفع سن الرشد إلى إحدى وعشرين سنة ميلادية !!

قالت نازلى: «أنا ماطلبتك إلا بعد أن سمعت هذه القصة بأكملها من أكثر من واحد، وعرفت موقفك الصلب منها وعرفت مَن الذى يسعى ويكلمك أكثر من مرة فى هذه المسألة».

✪✪✪

هكذا أبحرت الباخرة «فايسروى أوف إنديا» من بورسعيد يوم ٢٧ فبراير ١٩٣٧ فى طريقها إلى أوروبا. كانت الحاشية التى رافقت الملك الشاب تضم كلاً من: أمه الملكة «نازلى» وشقيقاته الأميرات «فوزية» و«فايزة» و«فايقة» و«فتحية»! ومعهن المربيتان الإنجليزيتان، وأستاذهن للغة العربية «أحمد يوسف» ومستر فورد مدرس التاريخ والجغرافيا للملك، والسيدة الجليلة «زينب ذو الفقار» بصفتها السيدة المرافقة للملكة نازلى، وكريمتها الآنسة «صافيناز ذو الفقار»، وخال الملك حسين باشا صبرى والسيدة الكريمة زوجته شهيرة الدرمللى. وكان على رأس الحاشية رائد الملك «أحمد محمد حسنين» ومعه ياور الملك الخاص عمر فتحى، وطبيب الخاصة الملكية دكتور عباس الكفراوى والأمين الثالث على رشيد ودكتور حسين حسنى مساعد السكرتير الخاص للملك. كما أوفدت وزارة الداخلية اثنين من ضباط البوليس ليكونا فى حراسة الملك، وهما اليوزباشى أحمد الطاهر واليوزباشى أحمد كامل (أصبح فيما بعد قائد قوات بوليس السراى).

✪✪✪

كانت هذه هى المرة الثانية فى حياة «نازلى» التى تسافر فيها خارج مصر !!

كانت المرة الأولى فى حياة «الملك فؤاد» عام ١٩٢٧ وكانت نازلى لاتزال سجينة قيود وأغلال زوجها !! أما هذه المرة فقد كانت حرة تماماً !! ولا شىء يقيدها !!

كان ابنها الشاب خاتما فى أصبعها.. وكانت «نازلى» قد بدأت خطتها الرهيبة لغزو عقل وقلب «حسنين»!! وتبدلت أحوال الجميع فى تلك الشهور الخمسة، من نازلى إلى حسنين، ومن فاروق إلى الشابة «صافيناز» التى سيصبح اسمها فريدة.

وتعترف الملكة فريدة: «كانت هذه الرحلة من أجمل الأيام فى حياتى، كانت سويسرا هى الأرض التى ولد عليها الحب، أحلى أيام حياتى كلها كانت هى هذه الأيام! وظللت أكثر من أربعة شهور مدة الرحلة لم يفاتحنى أحد باختيار فاروق لى عروساً له ولكننى كنت أحس أننى موضوعة تحت الاختبار وأن هناك شيئاً ماينتظرنى.. بدأ حب فاروق يتسلل إلى قلبى وبدأت أحس بميلاد هذا الحب. وبدأ الملك فاروق يهتم بى ويتقرب منى وكان فاروق أيامها رقيقاً وعطوفاً وحنوناً.

فى هذه الفترة اعتبرت أفراد أسرة الملك والحاشية عائلتى الكبيرة والجديدة، لقد كانت هذه الرحلة فى الحقيقة اختباراً لى عن قرب وأنا فى وسط شقيقات الملك (فوزية وفايقة وفايزة)، كان فاروق وأسرته يودون أن يعرفوا طباعى وتصرفاتى، وكنت أحس بنظراتهم نحوى. وكنا نذهب يومياً للتريض أو نقوم بالانزلاق على الجليد، وكذلك أعد برنامج لزيارة مختلف أنحاء سويسرا والاطلاع على الحياة فيها، وكان الملك يصحبنى مع شقيقاته فى برنامجه اليومى المحدد، للتجول ولزيارة الأماكن وزيارة المصانع، وكذلك كان معنا فى الرحلة مدرسون ليعلمونا اللغات العربية والفرنسية والإنجليزية. وكنت أجلس بالساعات مع شقيقات الملك فى حجرة الدراسة مع المدرسين يومياً نتعلم ونراجع الدروس ونعد الواجبات.

وكان الملك فاروق يعطينى اهتماماً خاصاً ورعاية ملحوظة، وبدأت سهام الحب تغزو قلبى الصغير».

ويقول مصطفى أمين: إن الذين كانوا مع الملك فاروق فى أوروبا لاحظوا أن «صافيناز» كانت كثيرة الابتسام! وكان الملك يقول: تعجبنى ابتسامتها!!

وطلب «فاروق» أن ترتدى «صافيناز» ملابس من نفس ملابس شقيقاته، نفس النوع، ونفس اللون، ونفس القماش!.

واشترت «الملكة نازلى» ملابس جديدة للأميرات، وكان الذى يراهُنّ معاً يحسبهن شقيقات. وكانت الأميرات لايخرجن إلا معها، ولايلعبن إلا معها، ولكن «صافيناز» كانت تراعى البروتوكول أمام الناس، فقد كانت إذا دخلت غرفة الطعام مثلاً تأخرت عن الأميرات، وكانت إذا التقت بالملك تثنى ركبتها بالتحية الملكية!

ثم يضيف مصطفى أمين: كانت «صافيناز» تقوم مع الأميرات «فوزية» و«فايقة» و«فتحية» برياضة التزحلق على الجليد.. وبينما كانت «صافيناز» تتزحلق سقطت على الثلج وأصيبت بجرح فى ساقها، وقامت وهى تعرج! والتفت الأميرات حولها يسألنها ما أصابها، وإذا بالملك يعدو نحوها بلهفة ويسألها:

- ماذا جرى؟..

ولم يكد يعرف أنها جرحت فى ساقها، حتى راح ينهر شقيقاته لأنهن يتزحلقن على الجليد، وذهب إلى والدته غاضباً وقال:

- لقد أصدرت أمراً بأن لا تتزحلق «صافيناز» على الجليد!

قالت الملكة نازلى مندهشة:

- وما شأنك أنت بهذا؟! هذا من شأن أمها؟!

قال فاروق بإصرار لأمه نازلى:

- لا.. لن تتزحلق بعد الآن! ماذا أفعل لو سقطت وماتت (؟!!)

وقرأت الملكة «نازلى» فى عين ولدها فاروق شيئاً ما وقالت له:

ـ اسمع يافاروق أنت تحبها ؟ !

رد فاروق بسرعة : أبداً . . أنا لا أحبها ولكننى لا أريد أن تسقط على الجليد وتموت . (! !)

وشعر الذين حول الملك أن اهتمامه بـ صافيناز قد تضاعف ، وأدركوا أنه يتظاهر بأنه يريد أن يلاعب شقيقاته ليستطيع أن يجلس مع صافيناز !

«ولم يقل فاروق شيئاً لـ صافيناز طوال الرحلة ! ! لم يقل لها إنه دعاها للسفر معه ليراها عن كثب ويراقبها مراقبة دقيقة ، لأنه كان قد قرر أن تكون ملكة ، ولم يقل لها إنه يريد أن يتزوجها ! !»

✪✪✪

وتتذكر الملكة فريدة الواقعة الخاصة بإصابتها بسبب التزحلق على الجليد فتقول :

«عندما كنت أنا وشقيقاته نتزحلق على الجليد فى سويسرا سقطت والتوى مفصل قدمى فحملونى وأنا أصرخ وأبكى من شدة الألم . وكنت خائفة أن يكون قد حدث شيء ولا أستطيع المشى على قدمى وأفقد البرنامج اليومى اللذيذ .

وجدت الملك فاروق فوق الجليد يصيح فى شقيقاته بغضب مؤنباً ومحذراً من عواقب الطيش والاستهتار وعدم التأنى ولم يوجه لى كلاماً . قال الملك :

ـ هذه آخر مرة أسمح لـ صافيناز أن تشارك فى هذا الاستهتار ! !

ثم قال لهن (لشقيقاته) فى جدية وصرامة وحزم :

ـ سوف أصدر أوامرى بألا تتزحلق معكن صافيناز بعد الآن !

وصاحت شقيقاته احتجاجاً عليه ، ولكنه لم يلتفت إليهن وتوجه إلى والدته وأصدر إليها أوامره لتنفيذ تعليماته ، وتوجه إلىّ طالباً ألا أشاركهنّ التزحلق على الجليد بهذه الطريقة الطائشة .

فى هذه اللحظة وعلى الرغم من أنه أصدر أمراً بتقييد حريتى فى التزحلق ومنعنى من هذه الهواية اللذيذة فقد كنت سعيدة بهذا القرار ! !

وضحكت والدته (نازلى) وقالت لـ فاروق مؤنبة :

ـ تستطيع أن توجه الكلام لشقيقاتك ولايخصك من قريب أو من بعيد أمر «صافيناز» وحتى شقيقاتك أنا موجودة ولم أمت بعد حتى تتحكم فيهن ، أما بخصوص «صافيناز» فوالدتها «زينب هانم» موجودة وهى الوحيدة التى لها الحق أن تصدر لها أوامر ! !

وقال فاروق : بل إن هذا يخصنى . . ذلك لأنى لا أريد لها أن تسقط وتموت وأنا على ثقة إذا استمررن فى هذا الطيش سترجعين فاقدة واحدة من بناتك على الأقل ! !

سألته الملكة الأم : هل هذا لأنك تحب صافيناز ؟ !

ولم يجب «فاروق» ولم يرد على سؤال والدته بل احمر وجهه ، وأخذنى من يدى وطلب لى كوباً من الشاى وتأكد أن ساقى سليمة وجلسنا بعيداً نتكلم .

وفى هذه اللحظة تأكدت «نازلى» بخبرتها أن فاروق وقع فى حبى، وأنه وقع اختياره علىّ لأكون ملكة مصر شريكة حياة ابنها»!!

ثم تعترف فريدة قائلة: «والغريب أيضاً أن هذا كان شعور والدتى عندما كانت تسألنى يومياً: ماذا بينك وبين «فاروق»؟ وكنت أقول: لاشىء، وفى الحقيقة كنا نحلق فى سماء الحب».

✪✪✪

طوال شهر كامل لم يلاحظ الكاتب الكبير «محمد التابعى» الذى رافق الرحلة الملكية شيئاً له دلالة بين فاروق وصافيناز!

يعترف التابعى نفسه قائلاً:

«كان قد مضى علىّ شهر كامل وأنا أرى فى كل يوم الملك فاروق والآنسة «صافيناز» دون أن ألاحظ شيئاً، كان «فاروق» يعاملها كما يعامل شقيقاته الصغيرات.. وكان أفراد الحاشية - وأنا معهم - يعاملونها بأدب جم ولكن بدون كلفة.

كنا مثلاً نبتسم إذا لقيناها ونحييها:

- بونجور مدموازيل.. أو بونجور «فافيت» (وهو اسم تدليع صافيناز) وكانت هى ترد التحية بأدب واحتشام وتقول:

- بونجور إكسلانس «أو بونجور ياأستاذ!!»

ولكن عندما سافر التابعى إلى «مونتريه» - بعد استئذان الملك فاروق - لحضور مؤتمر إلغاء الامتيازات الأجنبية، وهناك سمع لأول مرة من الدكتور أحمد ماهر عضو الوفد المصرى فى هذا المؤتمر بشائعة زواج فاروق وصافيناز.. فقد سأله د.أحمد ماهر وهما يتمشيان على ضفاف بحيرة ليمان:

- هل صحيح جلالة الملك راح يتجوز الآنسة «صافيناز»؟!

دهش التابعى وتعجب وسأل د. أحمد ماهر من أين سمع هذا الخبر؟!

وضحك «أحمد ماهر» الذى كان يظن أن التابعى يعرف الخبر بحكم ملازمته لحاشية الملك، لكن واجبه يحتم عليه أن يكتم السر وقال لـ التابعى:

- طيب ماتعملش عبيط! الحكاية سمعناها فى مصر!!

ويقول التابعى تفسيراً لذلك: «إن الخبر طار إلى مصر قبل أن نلاحظ شيئاً نحن الذين كنا مع فاروق وصافيناز. والتفسير الوحيد عندى هو أن «حسين صبرى» خال الملك والسيدة زوجته هما اللذان أذاعا السر فى مصر»!!

لكن متى ظهرت أول علامة أو بادرة تشير إلى علاقة الحب بين «فاروق» و«صافيناز»؟!

فى برن بدت من فاروق «أول إشارة تدل على حقيقة عواطفه نحو الآنسة «صافيناز»، فقد كانت «صافيناز» تتناول طعامها دائماً مع الأميرات: فوزية وفايزة وفوقية وفتحية ثم

تنسحب معهن بعد تناول العشاء مباشرة لتأوى كل منهن إلى غرفتها. وكان غير مسموح لهن بالسهر! ولكن حدث فى «برن» ـ ولأول مرة ـ أن نزلت الآنسة «صافيناز» وهى ترتدى ثوباً من ثياب السهرة، ولم تنسحب بعد تناول العشاء مع الأميرات كما كانت تفعل بل بقيت فى قاعة الفندق الكبرى. ثم دعاها فاروق، وكانت أول مرة ـ كما قلت ـ وكانت هذه أول إشارة أو أول خطوة خطاها فاروق إلى «صافيناز»!

✪✪✪

كان الصحفى الكبير «محمد التابعى» هو الصحفى الوحيد الذى رافق الملك فاروق ومن معه فى رحلته إلى أوروبا والتى دامت حوالى خمسة أشهر!

سافر «التابعى» على نفقته الشخصية ليوافى جريدة «المصرى» بأنباء الرحلة الملكية يوماً بيوم، وهكذا وجد «محمد التابعى» نفسه يشهد بداية غرام الملكة و«حسنين»!!

وحتى ذلك الوقت كان مابين الملكة نازلى ورائد ابنها «حسنين» مجرد شائعات تروح وتجىء بلا سند من الحقيقة!!

وذات مساء أتيح لـ التابعى أن يتأكد ويلمس عن قرب أن الحكاية لم تكن شائعة بل حقيقة، والحقيقة الساطعة أيضاً!! كتب «محمد التابعى» يقول:

«كان علىّ أن أوافى الجريدة ـ المصرى ـ بأنباء الرحلة بعد قيام الباخرة.. وماذا فعل الملك والأميرات وأين تناولوا العشاء؟! وكيف أمضوا السهرة الأولى على ظهر الباخرة.. إلخ.

ورحت أطوف بالباخرة وأجمع المعلومات والتفاصيل، بعضها بالمشاهدة، وبعضها الآخر من رجال الحاشية ثم كتبت البرقية التى كان علىّ أن أرسلها فوراً عن طريق اللاسلكى إلى جريدة «المصرى» لتظهر فى عدد الصباح.

وسأل التابعى عن مكان اللاسلكى فى هذه الباخرة الضخمة وهى من عابرات المحيطات، وكانت قادمة من استراليا وفى طريقها إلى إنجلترا، وقيل له: «إنه فى أعلى سطح السفينة حيث توجد غرفة القيادة وغرفة نوم الأطفال، وبعض زوارق النجاة ولا شىء آخر».

وصعد التابعى إلى سطح السفينة و«كان الظلام تاماً وشاملاً إلا من نور خافت ينبعث من غرفة مكتب تلغراف اللاسلكى. ودخل التابعى الغرفة وأعطى عامل اللاسلكى البرقية ثم انتظر حتى قرأها وخرج، ووقف قليلاً ينتظر حتى تعتاد عيناه الظلام الدامس!!

ونترك التابعى يصف ماشاهده بالضبط فى تلك اللحظة حيث يقول:

«وهنا تبينت ـ على مسافة غير بعيدة ـ شبحين مستندين إلى حاجز الباخرة.. وكأنهما كانا يتفرجان على أنوار بورسعيد وهى تومض من بعيد.. وكانا الملكة وأحمد حسنين(!!)

ولم يكن فى وقفتهما معاً شىء يريب!!

الملكة تريد أن تتفرج على بورسعيد من على ظهر الباخرة، أو لعلها كانت تريد أن تلقى نظرة أخيرة على شاطىء الوطن! ويصاحبها كبير الحاشية ورائد ابنها الملك!

لا شيء عجيب أو مريب في هذا كله، فقط، فقط كانت الملكة تتكيء على حاجز السفينة وكانت يد «حسنين» تتكيء على كتفها.

وحسب تحليل التابعي : كانت هذه أول «علامة» أكدت عندى صدق الإشاعات(!!)

✪✪✪

وتوالت «العلامات» التى أكدت صدق الشائعات التى تحوم حول الملكة نازلى وأحمد حسنين!!

كانت العلامة الثانية بطلتها «السيدة زينب ذو الفقار» السيدة المرافقة «للملكة نازلى» !

وكان محمد التابعى أيضاً شاهداً على وقائع ماجرى فى تلك الليلة ومابعدها فيقول :

«حدث ذات مساء، أثناء رحلتنا بالباخرة، أن تقدم إنجليزى كان قد تناول من الخمر أكثر ممايحتمله رأسه، وتقدم من السيدة زينب ذو الفقار وأنحنى أمامها باحترام وهو يكاد يفقد توازنه والتمس من (جلالتها) أن تسمح له بمصاحبتها على إيقاع الموسيقى.

وكانت أوركسترا الباخرة تعزف الموسيقى، وتلفتت «زينب هانم» حولها كأنها تبحث عن منقذ أو منفذ للنجاة فلم تجد، وكان الرجل مخموراً ولحوحاً ولو أن إلحاحه كان فى أدب يليق بمن يقف أمام «صاحبة الجلالة ملكة مصر» !

ورأت زينب هانم أنه من الأفضل ألا تثير ضجة أو تلفت الأنظار فقامت، ثم غادرت القاعة فوراً، وكان الرجل وأصحابه يعتقدون أن هذه السيدة هى ملكة مصر.

واتصل الخبر بـ فاروق فغضب غضباً شديداً وتساءل : أين كان حسنين؟! ولماذا لم يتدخل ويوقف الرجل عند حده أو يأمر ضباط السفينة بطرده من القاعة؟!..و..

ولكن «حسنين» كالعادة ـ يقول التابعى ـ كان يلازم الملكة نازلى أو يتنزه معها فى مكان ما أو ركن ما على ظهر الباخرة الضخمة!

وفى الصباح ذهب «حسنين» إلى الإنجليزى المذكور، وكان قد فاق من سكره وقال له أمام أصحابه إنه أخطأ مرتين :

أولاً : أخطأ لأنه ألح على سيدة ما.

وثانياً : أخطأ لأن هذه السيدة ليست ملكة مصر ـ كما يعتقد ـ بل هى السيدة المرافقة لجلالة ملكة مصر.

واعتذر الرجل، وعرض أن يقدم اعتذاره لملكة مصر وللسيدة، ولكن «حسنين» اكتفى بقبول الاعتذار بالنيابة عنهما.

وعاد «حسنين» وأبلغ «فاروق» بالنتيجة.. وغضب فاروق وصاح فى «حسنين» :

ـ كان لازم تضربه قلمين؟!

ـ وأجاب «حسنين» قائلاً : وهل كان يسكت على القلمين؟! أبداً كان ضربنى بوكس! وكنت ضربته بوكس ووقعنا فى خناقة وفضيحة على ظهر الباخرة! وكان الخبر طار

باللاسلكي إلى صحف أوروبا وأمريكا.. والحكاية كبرت.. والإشاعات كثرت عن سبب الخناقة.. وكانت ألف حكاية وحكاية خرجت تتحدث وتروى ماحدث ومالم يحدث عن الرجل السكران وحكايته مع ملكة مصر !!». وكانت هذه هي العلامة الثانية !!

✪✪✪

حسب رؤية التابعي فقد كان «حسنين» طول هذه الرحلة حريصاً على مقامه واحترامه في نفس فاروق، وحريصاً في نفس الوقت على تقوية قبضته على «نازلى» الملكة وأم فاروق:

وذات يوم قررت الأميرات الشقيقات أن يتعلمن الزحلقة بالقبقاب .. وسرعان ما انضمت لهن الملكة نازلى نفسها !!

وهنا جاءت العلامة الثالثة لما كان بين «نازلى» و«حسنين» !!

يقول «التابعي»: «وذات يوم نزلت الملكة نازلى نفسها تريد أن تتعلم هي أيضاً، وأمسك المدرب بذراعها.. وأحاط خصرها بيده.. وراح يعلمها كيف تنقل قدميها والقبقاب فوق الجليد، وصاحبة الجلالة تتثنى وتتمايل، والمصورون يلتقطون لها الصور في هذه الأوضاع!

ووقف «حسنين» على درج السلم الخشبي الموصل بين الشرفة وساحة الزحلقة.. ومضت دقائق والملكة «نازلى» تحاول أن تتعلم وتمشي بالقبقاب .. وتحفظ توازنها.. وتضحك، وأخيراً عادت أدراجها وخلعت قبقابها!!

كل هذا وحسنين واقف ينتظر وعلى عينيه نظارة تحمي البصر من وهج الثلج!»

وأقبلت «نازلى»، وانفجر «حسنين»، ولكن صوته - حسب شهادة التابعي - لم يزد عن طبقته العادية وقال:

- لا . لا مش كده ياست !! مش كده أبداً. بكرة راح نسمع كلام فارغ كتير بسببك !!

ولم تزد - نازلى - عن أن تبتسم في وجه «حسنين» وهي تصعد إليه درجات السلم الخشبي.. حتى إذا وصلت أخذت بذراعه وهي تقول: طيب خلاص .. مرة وفاتت!

وعجبت لهذه اللهجة - يقول التابعي - التي يخاطب بها موظف القصر، صاحبة الجلالة الملكة وأم ملك مصر.. وعجبت أكثر وأكثر لخضوع صاحبة الجلالة الملكة! فهي لم تغضب بل اعتذرت وتابت !!»

ونشرت صحف مصر بعض هذه الصور التي ظهرت فيها الملكة نازلى وهي تتزحلق على الجليد!! وقامت مظاهرة من طلبة الأزهر الشريف وتعالت فيها أصوات الاحتجاج.

وبادر رئيس مجلس الوصاية وولي العهد الأمير «محمد علي توفيق» وأرسل إلى «حسنين باشا» خطابا شديد اللهجة يوبخه فيه بقسوة على سماحه للمصورين بالتقاط هذه الصور.. وعلى سماحه لملكة مصر بالزحلقة على الجليد.. وعلى.. وعلى.

وهز «فاروق» كتفيه وقهقه ضاحكا.. أما نازلى فقد غضبت وثارت وعلا صوتها وهي تصيح: كفاية بقى.. كفاية سبعتاشر سنة وأنا محبوسة!! خدوا الكورونا (التاج) من على رأسي.. مش عاوزاها..!!

وأخذت «نازلى» تدعو الله أن يصيب «البرنس محمد على» بعشرات الأمراض.

ولزمت صاحبة الجلالة جناحها الخاص بالفندق يومين غاضبة وانقطعت عن تلقى دروسها فى الزحلقة على الجليد، وشكا جميع من كانوا معها من «عصبيتها» وحدة لسانها!!

ولم تعد الابتسامة إلى شفتى «نازلى» إلا بعد أن عرفت أن «الأمير محمد على» قد أصيب فى مصر بذبحة صدرية وأن حالته خطرة، وابتسمت نازلى وقالت لمن حولها:

- أبواب السما كانت مفتوحة لما دعيت عليه! دنا دعاياماينزلش الأرض»!

✪✪✪

من يوم ليوم ومن بلد لبلد كان يتأكد لمحمد التابعى وباقى الحاشية الملكية أن العلاقة بين «نازلى» و«حسنين» تزداد رسوخاً وقوة!!

وغادرت الحاشية «سان مورتيز» ووصلت إلى «جنيف» صباح ٢٧ مارس ١٩٣٧.

وفى جنيف ظهرت علامات جديدة فى قصة الحب التى تزداد غراماً!

فى جنيف لاحظ التابعى ومن معه كثرة خروج «أحمد حسنين» مع الملكة نازلى وحدهما وأحيانا معهما السيدة الجليلة زينب ذو الفقار.

ثم فوجئنا بخبر سفر حسين صبرى باشا خال فاروق مع السيدة الكريمة زوجته عائدين إلى مصر مع أنه كان مقرراً أنهما سيلازمان الملك والملكة طول الرحلة فى أوروبا.

ودار همس خفى بأنهما سافرا لأنهما غير راضيين عن سلوك الملكة نازلى معهما.!!

وكان أبرز مايلفت النظر طوال فترة الإقامة فى جنيف هو: كان أحمد حسنين يخرج مع الملكة «نازلى». والقائمقام «عمر فتحى» يخرج مع الملك!!

ولم يخرج الأربعة معاً إلا فيما ندر.

✪✪✪

وتركت الحاشية الملكية جنيف وصلت إلى مدينة «برن»!!

واستأذن التابعى من الملك فاروق فى السفر إلى مدينة «مونتريه» ليوافى جريدة «المصرى» بأخبار مؤتمر إلغاء الامتيازات الأجنبية، حيث يغيب لمدة عشرة أيام.

وانتهت مأمورية «التابعى» فى مونتريه ولحق بفاروق وحاشيته إلى زيوريخ وبعد أيام وصلوا إلى باريس التى كانت نازلى - كما يؤكد التابعى - تشتهى أن تزورها قبل أن تموت!!

وأخيراً يقول التابعى: «وكنا جميعاً قد انتهينا إلى تقرير أمرين حقيقين هما:

فاروق يحب صافيناز(!!) ونازلى تحب حسنين(!!)

وفى سان مورتيز أيضاً كان أهم مايلفت الانتباه ويثير الدهشة هو حرص «أحمد حسنين» على إثارة غيرة «نازلى» بأى شكل!! فى بعض الظروف لا كل الظروف!!

يحكى التابعى عن بعض هذه الظروف فيقول:

«لاحظت أن «حسنين» كان يحرص على التودد والتظرف والتحدث مع كل سيدة أو آنسة جميلة يلقاها فى قاعة الفندق.. إذا كانت الملكة نازلى موجودة!!

بل كان يطلب منا إذا رأى مع أحدنا فتاة جميلة من المقيمات بالفندق.. أن نقدمه إليها.. ثم يدعوهالتناول شراب ما!

كل هذا إذا كانت الملكة «نازلى» موجودة.. ترى وتسجل وتنقر بأصابعها على المائدة الصغيرة أو على ذراعى المقعد بغضب وعصبية!

أما إذا لم تكن موجودة فإن «حسنين» كان قليل الاكتراث بالسيدات والآنسات.. وكان لا يتحرك لدخول أية جميلة مهما كان جمالها يبهر الأبصار أو يلفت الأنظار»!!

وحدث مرة أن قام «حسنين» مع فتاة ألمانية كنت أعرفها ـ أى التابعى ـ واسمها «جوى جيجل» وكانت معدودة يومئذ من أبطال التنس فى ألمانيا.

والفتاة الألمانية طويلة القامة هيفاء العود!

ـ وطالت صحبة الاثنين!

وانتفضت الملكة نازلى واقفة.. ونادت بصوت ينم عن الغضب:

ـ حسنين!!

وأرخى «حسنين» على الفور ذراعه التى كانت تطوق خصر الفتاة وأسرع إلى الملكة نازلى:

ـ أفندم ماجستيه!!

(أى أفندم ياصاحبة الجلالة). وخرجت «ماجستيه» من القاعة، ووراءها «أحمد حسنين»! وتبادل بعضنا النظرات!!

أما «فاروق» فكان ساعتئذ مع «شهيرة هانم» زوجة خاله حسين صبرى باشا ولعله لم يلاحظ شيئاً!!

ويؤكد التابعى بقوله: «وأكبر ظنى أن فاروق لم يكن يومئذ يخامره أى شك فى سلوك أمه أو فى حقيقة علاقتها بـ أحمد حسنين»!!

كان «فاروق» يومئذ لايزال يحسن الظن بأمه.. ويحسن الظن برائده «أحمد حسنين».

ومن ناحيته كان «حسنين» رجلاً ثقيلاً يجيد تماماً إخفاء مشاعره ونواياه!!

لكن الأهم من ذلك كله بالنسبة لـ حسنين أنه كان رجلاً حريصاً على وجود المسافة الملائمة والمناسبة بينه وبين الآخرين عامة وبينه وبين «نازلى» خاصة!!

«كل إشارة» بحساب!! كل كلمة بحساب!! كل نظرة بحساب وفى وقتها المناسب تماماً!!.

ويؤكد «التابعى» على كل تلك المعانى السابقة فيقول إن حسنين كان يعامل نازلى أمام الجميع ـ ومن ضمنهم التابعى الكاتب الصحفى ـ معاملة الموظف المرءوس لصاحبة الجلالة، أى بكل الاحترام والطاعة والأدب.

ورغم ذلك ـ يقول التابعي ـ كانت تبدو منه ـ ربما عفواً ـ بعض الإشارات أو العبارات التى وإن كانت تتنافى مع الاحترام والأدب إلا أنها كانت تنم بكل تأكيد عن القوة أو السيطرة، وأنه هو قوى، وأن كلمته هى التى يجب أن تنفذ ! !

دخلت عليه ـ أى التابعي ـ ذات صباح فى غرفته بفندق «بلاتزا اتنيه» حيث كان ينزل الملك والملكة والأميرات والحاشية، وكان «حسنين» مسترخياً فى فراشه يتناول قهوة الصباح، وجلست، وراح يحدثنى عن أيام شبابه وذكرياته فى باريس بعد أن عدل عن الدراسة فى أوكسفورد وقرر أن يدرس فن الرسم فى الحى اللاتينى.. إلخ.

ودق جرس التليفون الموضوع بجانب السرير واعتدل «حسنين» فى فراشه وقال :

ـ صباح الخير ماجستيه ! !

وأدركت أن التى تكلمه هى الملكة نازلى، ووقفت أريد الانسحاب ولكنه ـ أى حسنين ـ أشار بيده أن أجلس وجلست، وكان صوت الملكة «نازلى» مسموعاً وواضحاً تماماً وكانت جلالتها تريد أن تذهب مع «البنات» ـ كما كانت تسمى الأميرات إلى ملهى لونابارك وقال حسنين: مستحيل ماجستيه ! !

ومضى (حسنين) يقول (لها) إن اليوم يوم أحد وأن لونابارك سيكون مزدحماً بمختلف طبقات الشعب وكل من هب ودب، فكيف تذهب ملكة مصر وصاحبات السمو الملكى شقيقات ملك مصر إلى ملهى شعبى كهذا ؟

وسمعت الملكة تضحك وهى تقول : يظهر إنك عجزت خلاص ياحسنين ؟ !

وألحت «نازلى» فى الذهاب، وأصر هو على الرفض وكان له ما أراد، وعدلت «نازلى» عن الذهاب إلى لونابارك ! !»

فى تحليل «التابعى» لرفض «حسنين» لرغبة الملكة نازلى أنه كان مجرد فرصة أو مناسبة يقول فيها لا، ويرغم ملكة مصر على أن تخضع وتقول له نعم، كان اعتراض حسنين ببساطة من باب «ترويض» الملكة ! !

ولكن «نازلى» كانت فى أحيان كثيرة تضيق وتثور بمعارضة «حسنين» وهنا فقط يرخى لها الزمام حتى لا تنفجر ! !

يقول التابعى مؤكداً :

«وهكذا رأيت «حسنين» الذى عارض ذهاب الملكة إلى لونابارك، رأيته يصحبها إلى سهرات أو حانات الليل أشر بكثير من لونابارك مثل «ماخورة» اسمها «سفنكس».

✪✪✪

كان مايبعث به التابعى للنشر فى «المصرى» شيئاً، وما كان يرسله فى خطابات خاصة لأخيه شيئاً آخر تماماً، ومن «سان مورتيز» وبتاريخ ٧ مارس ١٩٣٧ كتب التابعى لشقيقه «حسين وهبة» يقول :

وقتى مشغول جداً بالذهاب وراء الملك فى كل ناحية وجلالته دائم الحركة، وقد قدمنى اليوم فقط «حسنين» باشا لجلالة الملك وكنا ساعتها فى الهول فى الفندق وقال : ليسمح لى مولانا أقدم له الأستاذ التابعى».

وكان الملك طبعاً قد عرفنى وعرف وجهى أثناء هذا الأسبوع فمد جلالته لى يده وصافحنى بشدة وابتسم وقال : أشكرك على «النزاكة» التى أظهرتها ياأستاذ.. ده لطف كبير منكم ! !

وجلالة الملكة (نازلى) تعرفنى الآن وأول مرة رأتنى همست فى أذنها بهيرة هانم شيئاً فنظرت إلىّ وابتسمت فأحنيت رأسى وصافحتنى هى بيدها ولعل جلالتها تذكرت بعض ماكتبناه فى «آخر ساعة».

وأرجوكم عدم كتابة أى شىء فى آخر ساعة عن الملكة أو الملك مهما كان المصدر، وقد تقع بين أيديكم صحف أجنبية فيها أخبار أو صور للملكة فلا تنشروها، وتحت يدى صور مدهشة للملكة وهى تتزحلق على الثلج ولم أرسلها للمصرى، بل أرسلت فقط صور الملك والأميرات وهذا بناء على رغبة مولانا».

أما مستر «فورد» الذى رافق الملك كمدرس له فقد كتب فى تقريره يقول كشاهد عيان :

«بالرغم من أن الذين خططوا للرحلة قد أعلنوا عنها ووصفوها على أساس أنها رحلة تثقيفية حتى يبلغ الملك السن القانونية فإن الجميع كان ماضياً فى الاهتمام بنفسه أو مداهنة الملك ! !

وكان «أحمد حسنين» مشغولاً هذه الرحلة بالملكة «نازلى» أكثر من أى شىء آخر.. فقد كان يتبعها أينما ذهبت بينما كانت نازلى منغمسة فى مغامراتها الخاصة، تشترى الشامبانيا وتضرب أرضية البار بكعبيها فى الليل المتأخر ! !»

ولعل أخطر ماسجله فورد هو قول «نازلى» له ذات مساء إنها لم تكنّ لزوجها الملك «فؤاد» أية مشاعر. وأضافت : «عندما تزوجت كنت فقط ألد، كنت أماً لأطفال فؤاد ! !

وفجأة سألته نازلى : سيد فورد هل تعتقد أننى سأعرف كيف أحب أى رجل ؟ !

أجابها فورد : أتمنى ذلك !

ويعترف فورد بأنه انسحب سريعاً إلى غرفته فقد كانت الإجابة الحقيقية لسؤال نازلى هو «حسنين» ! !

ثم يقول فورد : أدخلت نازلى نفسها فى مغامرات سيئة مع صاحب لقب فرنسى، وكانت تعانى مشاكل كبيرة من آلام فى أذنيها، لكنها رفضت الذهاب إلى طبيب متخصص فى زيوريخ للاستشارة ثم ذهب الركب كله بعد ذلك بقطار إلى جنيف من أجل أن تتسوق «نازلى» معطفاً ! !

وعندما وصل الموكب الملكى إلى إنجلترا يسجل «فورد» ماجرى هناك فيقول :

«ميز وصولهم إلى إنجلترا تقلب أطوار الملكة، إنها شغوفة بأن تجعل أول ظهور لها على المسرح الإنجليزى ناجحاً جداً، تكبدت الآلام لأن تبدو ذكية، أنيقة وأوروبية، وقامت بعمل مسح على كل الصحف اليومية التى أعقبت ظهورها لترى إذا ماكانت أحدثت التأثير الذى ناضلت لأجله، وطردت نازلى أى أفكار لارتداء زى شرقى معتم فضفاض وحجاب !!

ولم يمض وقت حتى وقعت عيناها على قصاصة من الديلى إكسبريس بعنوان «تبرج الملكة يكشف عن طلاء شفتيها». وجاء فى المقال أن المصريين اجتمعوا فى فيكتوريا مندهشين لرؤية وجه ملكتهم لأول مرة، إذ إنه كان مخفياً عن أعينهم فى مصر. وكانت ترتدى معطفاً أنيقاً من الفرو الثمين مع قبعة «ماى فير» على شعر مموج أحمر.

لكن نازلى غضبت من المقال ولزمت الفراش مريضة، وبعث «أحمد حسنين» باحتجاج إلى قصر باكنجهام».

وعبر حوار فورد مع الملكة نازلى يقول: «لم تهتم بمستقبل فاروق العلمى قدر اهتمامها بمستقبله العاطفى، والملكة فى غاية الاستعجال لأن تجد لـفاروق صاحبة أو أكثر».

✪✪✪

وفى مصر انزعج «مصطفى النحاس» من القصص والروايات التى تناثرت عما كان يحدث خارج مصر، وكتب فى مذكراته بتاريخ ١٦ مارس ١٩٣٧ يقول:

ـ «بدأ الذين عادوا من أوروبا يهمسون بأن الملكة نازلى تحررت أكثر من اللازم وأنها تحضر حفلات ماجنة وأن أحمد حسنين يأخذ «فاروق» إلى بعض الكباريهات ويصحب الملكة إلى حفلات غير لائقة.

خاطبنى الأمير «محمد على» بهذا الخصوص وقال: هذه فرصة نرفع فيها سن الرشد ونترك الملك يقيم فى إنجلترا حتى ينضج، وقبل أن يستفحل الخطب فرفضت مرة أخرى هذا الإجراء للأسباب التى سبق أن أقنعت بها نفسى وقلت: ليس فى الشر خيار».

وطغت أخبار «نازلى» على كل ماعداها !!

الجبروت نازلي

ومـرت أيـام الـرحلة الملكيـة سريعـاً ، وبـدأ الاستعـداد للعـودة إلـى مصـر .

كـانت مـصر كلهـا تنتظـر وصـول الملك الشاب فـاروق ، والفـرح كله يلفـهـا . . أما السعـادة فكـانـت بلا حدود ! !

وتحـركت البـاخـرة «النيل» فى طريقـهـا إلى أرض الوطن ، وكـان مما لفت انتبـاه الكاتب الصحفى «محمد التابعى» تلك الدردشة التى دارت مع «أحمد حسنين» وقـال له فى نهايتها :

«لقد كنا فى أوربا محيطين بالملك ، وكان هو يعمل برأينا ويصغى لمشورتنا ، ولكننا نعود الآن إلى مصر ، والمتآمرون هناك كثيرون ، ولن نستطيع أن «نحلق» على «مولانا» كما كنا نفعل ونحن فى أوربا ، ولن يمكننا أن نمنعه من الاتصال بهذا أو ذاك ، كذلك لن نستطيع أن نمنع هؤلاء المتآمرين عن مقابلته . . »

ثم دخل «حسنين» باشا مباشرة وبصراحة إلى مايطلبه من التابعى فقال :

«أرجو منك وقد أصبحت واحداً منا أن تساعدنى عند أصحابك الوفديين وأن تقنعهم بأن «فاروق» غير «فؤاد» وأن سياسة الشدة والعنف مع فاروق لاتنفع لأنه عنيد وذو كبرياء وقد لمست أنت هذا بنفسك ! !»

وربما فى تلك اللحظة تذكر التابعى ذلك الحديث المثير الذى جرى بينه وبين مكرم عبيد قبل أسابيع عندما قال «حسنين» لـ مكرم عبيد إنه يرجو من الوفد فى شخص مكرم أن ينسى الماضى وما كان فيه من خصومات وأن يبدأ مع الملك والقصر ورجال القصر عهداً جديداً يقوم على التعاون فى خدمة مصر ، واحترام ماللشعب من حقوق وما للملك من حقوق ! !

كان مكرم عبيد مندهشاً من حديث «حسنين» ، وبدد «التابعى» دهشته وقال له إن حسنين الآن رائد الملك وأقرب رجال القصر إليه .. بل هو صاحب النفوذ الأول فى القصر !

وهنا عاد مكرم عبيد وأطلق ضحكته القصيرة التى اشتهر بها وقال وهو يضغط على ذراع التابعى : والملكة نازلى .. هيه ! !

وقال التابعى له : نعم والحكاية معروفة . . وحسنين باشا صاحب النفوذ الأول عند الملكة «نازلى» ! !

✪✪✪

ووصل الجميع يوم ٢٥ يوليو ١٩٣٧ بعد غيبة خمسة شهور فى أوربا ! !

عاد «فاروق» ليصبح ملكاً، كما عاد وفى قلبه قصة حب سرعان ما سوف تنتهى بالزواج من الآنسة «فريدة ذو الفقار»!

وعادت نازلى بقصة حب من طرف واحد لرائد ابنها «حسنين» والذى يتأهب ليلعب أخطر وأعمق أدواره السياسية !

وعاد «حسنين» إلى مصر ـ وهو صاحب النفوذ الأول على «نازلى» وابنها.. «فاروق» وكانت الشائعات قد ملأت مصر حول ماجرى فى تلك الرحلة بين «نازلى» و«حسنين» واستطاع المتآمرون أن يتبرعوا بتوصيل ذلك كله إلى زوجته السيدة «لطفية» التى ثارت وهاجت وغضبت وانفجرت وجنّت، واشتعلت داخلها ثورة عاصفة مجنونة ضد الملكة «نازلى» بل وضد كل من يمت إليها بصلة ما، حتى ولو كان ابنها الملك فاروق نفسه!!

وأيقنت زوجة «حسنين» أنها كانت محقة فى كل هواجسها منذ عودة زوجها بصحبة فاروق فى مايو ١٩٣٦، حيث ترامى إلى سمعها إشاعات وأخبار وروايات وحكايات عما بين ملكة مصر «نازلى» وبين زوجها «أحمد حسنين»!!

وعندما تقرر سفر «فاروق» وأمه وشقيقاته إلى أوربا لمدة خمسة أشهر قامت ثورة عاتية فى بيت «حسنين».

يروى «محمد التابعى» تفاصيل هذه الثورة الزوجية العاتية فيقول:

«طلبت» لطفية من حسنين أن تسافر معه فى هذه الرحلة، ووعدها «حسنين» بعرض الأمر على «فاروق»، ولكنه لم يعرض الأمر على «فاروق»!!

بل تحدث فيه مع «نازلى».. ورفضت «نازلى» طبعاً!!

وعاد «حسنين» وأبلغ زوجته أن جلالة الملك لايوافق على سفرها لأن الرحلة شبه رسمية ولا مكان فيها لزوجات الموظفين من رجال الحاشية..

ولكن «لطفية» زوجته لم تقتنع وذهبت تسأل وتستقصى إلى أن علمت وتأكدت أن زوجها «حسنين» لم يحدث فاروق فى أمرها، وأن «فاروق» خالى الذهن تماماً من هذا الموضوع وأدركت أن «نازلى» هى التى تعارض فى سفرها!! أو لعله هو ـ حسنين ـ الذى لايريدها أن تسافر معه مراعاة لخاطر الملكة.

والإشاعات إذن صحيحة.. ونشبت الثورة.. وعلا الصراخ والبكاء فى بيت «حسنين» وانفجرت الزوجة الرقيقة الطيبة القلب.

وكان «حسنين» يحب زوجته لطفية جداً.. وكما قال للتابعى»: «إن لطفية كريمة رقيقة حنون تستحق كل حب وهى أم مثالية، ولقد أحببتها بعد الزواج كما لم أحب امرأة أخرى».

إن «حسنين» يوم تزوج من لطفية كما يقول التابعى ـ لم يكن يحبها، لقد استطاع أن يفتنها ويخلب لبها ويوقعها فى حبه، أما قلبه هو فكان خالياً من أى حب لها، صحيح أنه لم يكن يكرهها.. ولكنه لم يكن يحبها يوم خطبها ويوم تزوج منها.. وبعد الزواج ـ لا قبله ـ وبعد المعاشرة أو «العشرة» وبعد أن أنجبت له أولاده أحبها حسنين.

كان زواج «حسنين» من لطفية «كريمة صاحبة السمو الأميرة «شويكار» مطلقة الملك أحمد فؤاد وأم ابنته صاحبة السمو الملكى «الأميرة فوقية - خطة أو خطوة ليعزز «حسنين» مركزه، ويثبت أقدامه على أولى درجات السلطة في دنيا المناصب والنفوذ والجاه.. إن حسنين باشا لم يكن الرجل الذى يلبى نداء قلبه ويعرض عن حكم العقل.. كلا، كان العقل عنده دائما مقدماً على القلب.

والخطة التى درسها ورسم خيوطها لابد أن تنجح ولو كان الثمن على حساب حبه وحب زوجته. ومن أجل أن تنجح هذه الخطة كان لابد أن تبقى زوجته لطفية فى مصر.. بل لو أن الملكة «نازلى» نفسها كانت طلبت من «حسنين» أن تصحبه زوجته فى هذه الرحلة ولو من باب التعمية وذر الرماد فى العيون لكان «حسنين» رفض طلب «نازلى» وأصر على أن تبقى زوجته فى مصر.

كان «حسنين» يعرف زوجته «لطفية» حق المعرفة، ويعرف مقدار حبها له وغيرتها عليه وأنها - هى ابنة الأميرة شويكار ومن أفراد البيت المالك - لن تبالى إذا اضطرمت نار غيرتها أن تقذف الاتهام فى وجه «نازلى» ملكة مصر..

ثم من تكون «نازلى» هذه؟!

ابنة «عبد الرحيم باشا صبرى» المدير السابق لمديرية المنوفية، أما هى «لطفية» فإنها ابنة «شويكار» وحفيدة «محمد على».. وهذا كلام سبق أن سمعه «حسنين» من فم زوجته!!

ماذا يحدث إذن لو أن «حسنين» سمح لها بالسفر معه إلى أوربا!! ولاحظت هى بإحساس الغيرة المرهف، وعينى الزوجة المفتوحتين - ماذا يحدث لو لاحظت ماهنالك - أو بعض ماهنالك - بين «نازلى وحسنين»؟!

سوف تكون فضيحة ومشهداً مثيراً وتفشل الخطة التى رسمها حسنين ليحقق مطامعه وهى أن يصبح الرجل الأول فى الدولة بعد الملك، وأن يسيطر على الملك فاروق عن طريق أمه «نازلى»!!

.. وكان لابد أن تبقى «لطفية» فى مصر!

.. وسافر «حسنين» وحده بدون زوجته!!

ظلت «لطفية» فى مصر ثائرة، هائجة، غاضبة، مجنونة، تسب، تشتم، تهدد، تتوعد، بأنها لن تسكت على نازلى.. ولا ألف مثل «نازلى»!!

.. وبدأت قصص «نازلى» و«حسنين» تصل إلى مصر!!

كان «مراد محسن باشا» ناظر الخاصة الملكية قد سافر إلى فيشى لمقابلة «فاروق» بشأن حل مشكلة حفل مبايعة «فاروق» بعد عودته، وعاد «مراد محسن» إلى مصر بعد أن نجح فى حل المشكلة،.. وذهب إلى «مصطفى النحاس» ليخبره بأنه نجح فى مهمته عند فاروق.. ثم يروى بين أقاربه وأصهاره ومعارفه - وجميعهم من أصدقاء السيدة «لطفية» زوجة أحمد حسنين - وراح يحكي ما رآه وسمعه!!

وحسب رواية «محمد التابعى» فقد كان بين مارآه وسمعه شىء كثير وكلام أكثر عن الملكة نازلى وأحمد حسنين وكيف توثقت العلاقة بينهما .. وكيف.. و.. و

ووصلت كل تلك القصص والحكايات إلى مسامع زوجة حسنين!!

واشتعلت فى صدرها نيران الغيرة ولهيبها!

وفى نفس الوقت تأكد لها أن كل زوجات أفراد الحاشية قد سافرن دون أن يعترض الملك فاروق أو الملكة نازلى ماعدا هى.. ومع ذلك فإنها أكبر مقاماً من زوجات رجال الحاشية، وزوجها أحمد حسنين-أكبر مقاماً ونفوذاً من جميع أفراد الحاشية .

إذن لابد أن يكون الاعتراض على سفرها.. إما من زوجها نفسه أو من الملكة «نازلى»!!

وعلى كل حال فإن «نازلى صبرى» هى السبب!!

وانطلقت السيدة لطفية تسب وتشتم وتطلق لسانها فى كل مجلس ومنتدى ضد صاحبة الجلالة «نازلى» ملكة مصر، وضد ابنها فاروق، وتروى عن نازلى أو «العجوز المتصابية» كما أسمتها - تروى عنها القصص والحكايات.

وذات يوم كانت «لطفية» زوجة حسنين تزور سيدة من الأسرة «اليكنية»، وانتهزت الفرصة وراحت تطعن فى الملكة «نازلى» وفى سلوكها، وتروى القصص والحكايات ومنها قصة زواجها بالملك أحمد فؤاد، وكيف هربت نازلى «وكيف خطبوها» إلى آخره.. والإشاعات التى أحاطت بالزواج المذكور.. ثم الإشاعات التى انتشرت بعد مولد فاروق..

واشترك فى الحديث محام شاب وقال إن أديباً اسمه «بيرم التونسى» كان قد سجل هذه الإشاعات فى أزجال رددتها شوارع الإسكندرية والقاهرة وتغنت بها إبان ثورة ١٩١٩، وأن الأديب المذكور نفى خارج البلاد بسبب هذه الأزجال.

وكادت «لطفية» تقفز فرحاً، وطلبت من هذا المحامى الشاب - بل وألحت فى الرجاء - أن يحصل لها على نصوص الأزجال المذكورة التى أشار إليها.

واستطاع المحامى بالفعل أن يعثر على الأزجال وسلمها للسيدة «لطفية» والتى قامت على الفور بطبع آلاف النسخ منها فى شكل نشرة صغيرة وعملت على توزيعها يوم عودة فاروق وأمه نازلى من رحلتها إلى أوربا..

وهكذا عاد «حسنين» إلى مصر ليجد زوجته قد أشعلت عشرات الحرائق!!

وكان «حسنين» قد اشترى لها هدية من باريس دفع فيها ثمانمائة جنيه، وكانت الهدية عبارة عن «بارورر» وهو طقم مكون من حلق وأسورة وخاتم، وعندما قدم لزوجته هذه الهدية رمت بها على الأرض وصاحت فى وجهه:

-- جايب لى هدية من «نازلى»!! أنا عارفة إنك فقير.. يبقى مين اللى دفع الثمن واشتراها.. لازم «نازلى» عايزة تشترينى وتشترى سكوتى؟! والا أنت عايز تعمينى بالهدية وتفهمنى إنك لسه بتحبنى؟!

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، ولم يلبث أن عرف حسنين بأن الملكة «نازلى» قد سمعت هى أيضاً بمطاعن السيدة «لطفية» ضدها وبالنشرات التى طبعتها ووزعتها، وأن «نازلى» ذهبت وأبلغت الأمر كله إلى ابنها الملك «فاروق»!!

ولم يلبث الملك فاروق أن استدعى «أحمد حسنين» وقال له:

ـ «مراتك اتجننت ياحسنين!! شوف لك طريقة معاها!! وبسرعة!!»

وذهب «حسنين» إلى زوجته وقال لها إنها ارتكبت جريمة العيب فى الذات الملكية وإنها عابت فى ذوات ملوك ثلاثة..

عابت فى ذات الملك أحمد فؤاد وعابت فى ذات الملكة نازلى!!

وعابت فى ذات الملك فاروق!!

وأن أقل مايجب أن تفعله الآن إنقاذاً للموقف وللمظاهر هو أن تلتمس مقابلة الملكة نازلى وتنكر أمامها كل ماهو منسوب إليها.. وتؤكد إخلاصها وولاءها لها ولجلالة الملك..

ولكن «لطفية» لم تترك زوجها حسنين يتم حديثه بل صاحت فيه قائلة..

ـ أنا!! أنا أروح لنازلى؟!

واندفعت تسب وتشتم فى نازلى وتقول:

ـ وإذا كنت عايزنى أروح لها.. أنا مستعدة أروح.. بس راح أقول لها كل الكلام اللى قلته عنها فى غيابها!!

ورفضت «لطفية» رفضاً قاطعاً أن تنكر التهمة وتنفى ما نسب إليها، كما رفضت أن تعتذر لنازلى!!

ويلخص «محمد التابعى» الموقف المأساوى كله وهو الذى اقترب من حسنين طوال اثنى عشر عاماً.. إن حسنين لم يكن أمامه سوى أن يطلق زوجته.. وقد فعل وفى حلقه غصة وفى عينيه دمعة حائرة!! لقد كان يحب زوجته شريكة حياته وأم أولاده.. ولكن حبه لمطامعه كان أكبر وأعمق.. ولقد كان «حسنين» يلبى دائماً نداء العقل، ويصم أذنيه عن صراخ القلب والعاطفة مهما كانت الظروف.. وكان عقله حليف مطامعه.. ولأسابيع طويلة ظل طلاق حسنين لزوجته سراً لا يعرفه أحد، وبالصدفة علم التابعى بهذا الأمر عندما كان فى زيارة لحسنين!!

✪✪✪

وأخيراً جاء اليوم الذى ينتظره كل الناس فى مصر، وهو يوم جلوس الملك الشاب على عرش مصر، ولم يكن هناك شك فى أن سعادة «نازلى» كانت سعادتين، فها هو «حسنين» يصبح مطلقاً، واستراحت واطمأن قلبها بطلاقه لزوجته لطفية، ثم سعادتها بتولى ابنها عرش مصر.. وفى سطور تنطق بالكثير وصف ذلك د. محمد حسين هيكل باشا فيقول فى مذكراته:

«وكانت والدته صاحبة الجلالة الملكة نازلى أشد الناس شوقاً إلى ذلك اليوم، لفرحتها به فرحة أم تشعر فى أعماق قلبها بأنها مقبلة على أسعد أيام حياتها، ولعلها كانت مع فرحتها فرحة لا حدود لها، مشفقة على ولدها من حسد الحاسد فكانت تلتمس له «الُرقى» ترد عنه العين وتستفتح بها لمستقبل سعيد».

وقد بدت عنايتها فى هذا الأمر وحرصها عليه يوم الاحتفال بتوليه سلطته الدستورية، إذ شهد الناس سرباً من الحمام الأبيض يطير فوق العربة الملكية تجرها الجياد المطهمة من قصر عابدين إلى دار البرلمان.. وتحدثوا يومئذ بأن الملكة الوالدة هى التى دربت هذا الحمام على ملازمة العربة، ليكون فأل يمن، وطالع سعد لهذا العهد الذى يمثل تاج حياتها وزينة ملكها المديد السعيد .

وبعد الاحتفال بتتويج فاروق ملكا على مصر، جاء الحديث عن أمر زواجه..

وذات يوم قال الملك لصافيناز إنه يريد أن يستشيرها فى مسألة هامة، وأن هناك فتاة يحبها ويريد أن يطلب يدها.. فماذا يفعل؟!

لم تجب صافيناز، ولكنها فهمت الرسالة الخفية فى مغزى كلام فاروق، وذهبت إلى والدها تسأله رأيه وقال لها:

«لاتتزوجيه.. هناك مليون سبب.. أنت حرة فى أن تفعلى ماتشائين إنما أنا علىّ أن أنصحك..» وعندما قالت له: ولكنه - فاروق - ظريف ومؤدب ولطيف معى!!

قال الأب لها : لا أستطيع أن أقول شيئاً إلا أننى لا أريد أن أتحمل وزر هذا الزواج أمام الله، لاتتزوجيه فأنت مازلت صغيرة، ولايزال هو صغيراً!!

وحسب شهادة «مصطفى أمين» فقد حزم يوسف ذو الفقار حقائبه وغادر الإسكندرية بالباخرة فى طريقه إلى لبنان!!

وفي مساء نفس اليوم توجه «فاروق» ومعه ياوره الخاص «عمر فتحى» إلى بيت «يوسف ذو الفقار» فى حى جاناكليس بالإسكندرية وكان سعيداً ومنتشياً وقال لياوره:

- أنا ذاهب الآن إلى أهم مشوار فى حياتى..

استقبل الملك فاروق على الباب خادم نوبى، وعلم أن لا أحد بالمنزل، فـ«يوسف» مسافر والست الكبيرة غير موجودة، وسأل فاروق الخادم النوبى: وهل صافيناز هنا!!

أجاب الخادم بنعم، فطلب منه «الملك» أن يخبرها أن الملك يريد أن يراها فوراً!!

ويقول «مصطفى أمين»: كانت «صافيناز» وقتئذ تقرأ دروسها، فنزلت بسرعة إلى الدور الأول، ووقف فاروق وحياها (إزيك) قالت صافيناز (الحمد لله) وسكت فاروق وسكتت صافيناز ومرت دقيقة ثم رفع عينيه إليها وقال فجأة: قبلى تتجوزينى؟!

وخفضت «صافيناز» رأسها إلى الأرض ولم تجب وقال فاروق:

- ما تجاوبى.. ردى.. قولى حاجة؟!

فرفعت صافيناز رأسها «وقد صعد الدم كله إلى وجهها» وقالت :

ـ هذا شرف عظيم يامولانا !

قال الملك : مفيش حاجة اسمها مولانا .. أنا عاوز رد ؟ ! !

قالت «صافيناز» : أنا موافقة.. لكن ؟ !

قال فاروق : لكن .. لكن إيه ؟ !

قالت : اسأل بابا وماما أولاً.

سألها : فين بابا ؟ !

قالت «صافيناز» للملك: سافر اليوم إلى لبنان ! وماما تتناول العشاء فى منزل حسين صبرى باشا !

وطلب الملك من ياوره «عمر فتحى» أن يذهب فوراً إلى دار «حسين صبرى» لإحضار «زينب هانم والدة صافيناز». وذهب الياور كما أمره الملك إلى بيت شقيق «زينب هانم» الذى كان يقيم حفلة ساهرة، وكانت أم كلثوم تغنى ليلتها : إفرح ياقلبى لك نصيب ! !

كانت «أم كلثوم» لا تزال تغنى، عندما دخل الياور وانحنى يهمس فى أذن والدة «صافيناز» وحاولت أن تفهم من «عمر فتحى» الحكاية لكنه لم يفتح فمه، ووصلت إلى بيتها، فوجدت الملك لايزال جالساً مع «صافيناز» ووقف الملك وسألته «زينب» : لماذا قبض عليّ «عمر فتحى» ؟ !

قال فاروق لها : عندك مانع تعطينى «صافيناز» ؟ !

قالت الأم : «هذه نعمة وشرف كبير يامولانا ! !»

ورأت «صافيناز» القبول في عين الأم، فقامت وعانقتها وقبلتها، وخان «زينب» اللفظ وانعقد لسانها لحظات، وأخيراً استطاعت أن تقول فى صوت أضعفته العاطفة الجياشة : هذا شرف عظيم، ولكن يوسف ليس هنا، إنه سافر إلى لبنان ! !

وعندما قالت والدة «صافيناز» للملك إنه سيعود بعد أسبوعين أو ثلاثة قال الملك : أنا لا أنتظر أسبوعين أو ثلاثة، ويجب أن أعرف الرد حالاً ! !

وقالت له «زينب هانم» :

ـ البنت موافقة وأنا موافقة، وممكن نرسل له برقية بأن يعود من الشام فوراً ! !

لكن الملك فاروق قال لها :

ـ «يجب أن نبحث عن طريقة نوقف بها الباخرة لتعود إلى الإسكندرية».

وعن طريق البوليس تم إحضار «يوسف ذو الفقار» ووصل إلى منزله، وروت له زوجته كل ماجرى فى غيابه بدءاً من زيارة الملك وطلبه يد «صافيناز» حتى استدعائه وقالت له : لقد وافقت على الزواج، وبقى رأيك أنت ؟ !

قال لها يوسف : لقد قلت لكم رأيى قبل أن أسافر ؟ !

ودق جرس التليفون من قصر المنتزة، بأن الملك ينتظر يوسف فى القصر ويجب أن يحضر فوراً. ووصل يوسف إلى القصر بعد لحظات ودخل مكتب فاروق الذى بدأ الكلام قائلاً: لقد قلبنا عليك الدنيا، بحثاً عنك فى كل مكان فلم نجدك، ولهذا رأيت أن أستعين بالبوليس ولو أدى الأمر إلى القبض عليك!

ثم قال الملك: الأمر وما فيه أننى طلبتك لأننى أطلب منك يد صافيناز؟!

قال «يوسف» هذا شرف عظيم!

قال فاروق : وأريد أن يتم الزواج حالاً!!

رد يوسف: إن هذا يستدعي ترتيبات واستعدادات، وزواج الملوك لايتم بين يوم وليلة!!

سأل فاروق: يعنى تقصد أن نتزوج متى؟!

رد يوسف: فى العام المقبل!!

قال فاروق: «لا.. لا مستحيل! وعلى كل حال سنتكلم فى هذا فى وقت آخر!!»

كانت وجهة نظر الأب أن تكون الخطبة طويلة وأن يتاح للخطيبين أن يعرف كل منهما الآخر جيداً، وأن يكون «فاروق» قد كبر، لأنه كان لايؤمن بزواج شاب فى السابعة عشرة من عمره، وكان يرى أن ابنته «صافيناز» أصغر من أن تتزوج فى هذه السن المبكرة» وحتى تلك اللحظة لم تكن الملكة «نازلى» تدرى بما فعله «فاروق»!

وفى ساعة متأخرة من الليل ذهب «فاروق» إلى قصر المنتزة، وصعد إلى جناح أمه التى كانت نائمة منذ ساعات، فأيقظها من النوم وفاجأها بقوله:

لقد خطبت «صافيناز» ووافقت!!

كانت «نازلى» آخر من تعلم، واستغربت وتعجبت واندهشت وقالت لابنها:

ـ ولماذا هذه السرعة؟! إننى أحب «صافيناز» ولكنى كنت أفضل أن تتزوج عندما تبلغ الثلاثين من عمرك!!

واندهش «فاروق» من كلام الملكة «نازلى» ومضت تقول له:

اسمع يافاروق.. صافيناز بنت عظيمة وهى أحسن منك ألف مرة!!

ـ وقال لها «فاروق» متسائلاً وربما مندهشاً:

ـ إذن لماذا تعارضين فى الزواج؟!

وحسب ماقالته الملكة نازلى لـ« مصطفى أمين» فقد راحت الملكة تشرح لابنها الأسباب وهى:

ـ «أنا لا أعارض فى شخص «صافيناز»، أنا أعارض أن تتزوج وعمرك ١٧ سنة، إنك لا تصلح للزواج، وقد تكون ملكاً أمام الناس، ولكنك مازلت طفلاً صغيراً أمامى. والزواج هو نهاية حياة الشاب، وبداية الرجل وأنت لست رجلاً، وليست لك أى خبرة ولهذا لا أوافق على أن تتزوج ثم ترمى هذه البنت المسكينة وتخرج على كيفك!! ماذنب هذه المسكينة؟!

ورد «فاروق» على أمه «نازلى» بقوله :

«ومن قال لك إننى سأخرج على كيفى؟! إننى قررت أن أتزوجها وأن أخلص لها طول حياتى، وأنا أريد أن أعيش حياة صالحة، ولهذا فإن رجالى نصحونى بأن أسرع بالزواج»!!

وعادت «نازلى» تقول لفاروق :

ـ «رجالك لايعرفونك كما أعرفك! إنك لم ترشيئاً من الدنيا، لقد كنت محبوساً فى القصر طوال حياتك!! لم تر الأهرام إلا فى العام الماضى!! والآن وقد انطلقت من السجن فلن تمكث فى بيتك، ولن تستقر على امرأة واحدة، وإن قلبى يقول إن هذا الزواج فاشل»!!

ورد «فاروق» على كل ما أثارته «نازلى» أمه بقوله :

ـ مادام ليس هناك اعتراض على شخص «صافيناز» فمعنى ذلك إنك موافقة على الشخص. أما مسألة الزواج نفسها فالبلد كلها موافقة وتريدنى أن أتزوج !

وعادت «نازلى» تقول لفاروق ابنها :

ـ البلد تريد فرح تهيص فيه، ولكننى كأمك أقول لك إنى أفضل أن تمكث خمس سنوات قبل أن تتزوج.. خمس سنوات على الأقل!!

سأل «فاروق» بلهفة : وإذا تزوجت صافيناز؟!!

قالت نازلى كمن تطمئنه : صافيناز الآن عمرها ١٦ سنة، ولن تتزوج قبل أن تبلغ الثانية والعشرين من عمرها، وأنا أقول لك إننى أستطيع إقناعها بأن تنتظر خمس سنوات!!

وقال «فاروق» : لا أنتظر أنا خمس دقائق، إن كل الناس يريدون أن أتزوج ماعدا أنت «وحسنين»؟!!..

كانت هذه أول مرة يذكر فيها الملك الشاب اسم «حسنين» فى الحوار بأكمله. قالت «نازلى»: إن حسنين قال لى إنه نصحك بعدم الإسراع فى الزواج، وإنه قال لك إنه من سن السابعة عشرة تتغير كل عام نظرة الشاب إلى المرأة، ولا يستطيع الشاب أن يستقر على امرأة معينة إلا فى سن الثلاثين!!

وبسرعة جاء رد «فاروق» :

ـ حسنين مغفل!! أنا خلاص قررت الزواج، وطلبت يدها ووافقت ولن أتراجع!!

✪✪✪

وقالت «فريدة» فى مذكراتها بعد سنوات :

«فوجئنا بحضور الملك إلى قصرنا بالإسكندرية يطلب يدى لأكون زوجة له، وفرحت بل وسعدت لأن فاروق جاء يطلب يدى وسأكون ملكة مصر، وكذلك كانت والدتى أكثرنا سعادة، لأن زواجى من فاروق سيزيد من صداقتها مع الملكة «نازلى» والأسرة الملكية الحاكمة!

أما والدى فقد كان ينظر إلىّ بأنى مازلت طفلة صغيرة، عمرى وقتها ستة عشر عاما وفاروق أيضاً كان عمره فى هذا الوقت ثمانية عشر عاماً هو الآخر.. وقال أبى لأمى:

ـ ده لعب عيال !

«وبعد إلحاح وافق على الخطبة على أن تمتد الخطبة لسنوات ويكون الزواج بعد ذلك، ولكن فاروق كان تصميمه على أن يتم الزواج بسرعة وأن ستة شهور كافية للإعداد للزواج وبعدها يتم عقد القران وكان له ما أراد ..»!!

ومنذ الليلة الأولى لزواج «فاروق» و«فريدة» بدأت متاعب ومشاكل «فريدة» مع حماتها «نازلى»!!

بعد سنوات طويلة اعترفت الملكة «فريدة» قائلة:

«كان عمرى يوم تزوجت فاروق ١٧ عاماً» وكانت «نازلى» فى ذلك الوقت تبلغ أربعين عاماً، امرأة مجربة لها اسلوبها ولها حاشيتها وأتباعها!!

وقرر «فاروق» أن تعيش أمه معنا فى قصر واحد.. ولم أعترض بل كنت سعيدة بهذا، فهى التى اختارتنى وهى فى نفس الوقت صديقة لأمى!!

وبعد الزواج بفترة اكتشفت أن كلاً منا يختلف عن الآخر فى الطباع وفى أسلوب الحياة!!

أنا أميل للهدوء وللحياة الأسرية والنوم مبكراً، وأن تكون صديقاتى بنفس طباعى، وأن يكون القصر لإدارة شئون الدولة واستقبال الرسميين والحفلات الرسمية.

والملكة نازلى تحب حياة الليل والسهر والحفلات الصاخبة والسفر، فحولت القصر الهادىء إلى قصر صاخب مشغول بحفلاتها وسهراتها .. وغضبت «نازلى» منى وأعلنت الحرب علىّ لأنى عارضت حفلات اللهو داخل القصور!!

ويبدو لى أنها ـ أى نازلى ـ أرادت أن تفك القيود وتتحرر منها وتنتقم من سنوات الحرمان والانغلاق فأنطلقت وأطلقت العنان لكل ما حرمت منه وأصبح القصر مسرحاً للحفلات والسهرات وانقلبت حياة القصر الوديعة الوقورة إلى مباذل ومفاسد وألقت بكرامة ووقار الأسرة المالكة فى الوحل، وتحولت بالقصر إلى مرتع للفساد والإفساد، وتحول الهدوء إلى صراع، وماج القصر بالدسائس.

فالملك فاروق جعل أمه الملكة نازلى تعيش معنا وتشاركنا حياتنا وتتدخل فى أخص خصوصيات حياتنا.. وكنت فى أول زواجى سعيدة بالملكة نازلى، فرحة بوجودها وأحس أنها مثل أمى، أبثها شكواى وأسمع نصائحها .. وكانت فترة سلام لم تدم طويلاً، وانقضت الأيام الجميلة وانقلب الحال وتبدلت الأيام وبدأ الصراع لحكمة لا أعلمها .. وبشراسة وبدون رحمة أو خُلق!»

«والغريب والعجيب .. ولاتزال الملكة فريدة تتكلم ـ أن «الملكة نازلى» كانت تبعث بوصيفات القصر إلى بأخبار عجيبة منها أن الملك كان أمس مع السيدة فلانة« ! !» أو أن السيدة « . . . . » حامل من الملك ! ! فكانت «نازلى» مصدر كثير من الشائعات عن ابنها «فاروق» حيث كان كل مايهمها أن تجعلنى دائماً في ثورة وفى حالة عصبية وكان لها ما أرادت ! ! والعجيب أنها «نازلى» كانت فى بعض الأحيان تقف معى ضد تصرفات «فاروق» وتنصرنى عليه وتمدحنى وترعانى وتعطينى خبرتها وتجربتها .. وكنت حقيقة سعيدة بهذا الود وتلك الصداقة خاصة أنها كانت الصديقة لأمى، ولكن لحكمة لا أعلمها أعلنت علىّ حرباً شعواء .. كانت أمى هى الصديقة الحميمة للملكة نازلى، بل كانت أمى هى الوصيفة الأولى للملكة نازلى .. وكانت هذه الصداقة لنازلى هى سبب سعادتى وشقائى ! !

«والعجيب والغريب أن الملك فاروق كان ضعيفاً أمام رغبات أمه وجبروتها ولايستطيع أن يرد لها طلباً».

✪✪✪

ربما كان الشيء الوحيد الذى شاركت فيه «نازلى» زوجها الراحل الملك «أحمد فؤاد» هو إيمانها بالخرافات والخزعبلات ! !

وعانت فريدة من مكائد نازلى معاناة شديدة بسبب لجوء الملكة إلى أعمال الشعوذة، وتقول الملكة فريدة : كنت أعلم أن الملكة نازلى شغوفة بهذه الخرافات وكنت أحكى هذا لفاروق، وكان يعلم بذلك ولكنه لم يكن يملك لها شيئاً، فأمه كانت متغطرسة ومسيطرة وتنظر إلى فاروق على أنه لايزال الطفل المدلل قليل الخبرة والذى لا يعرف مصلحته !

ومن أغرب الأشياء التى كانت ترسلها «نازلى» إلى فريدة ـ حسب اعترافها ـ «طرود على شكل هدايا .. وعندما كانت تفتحها تجد بداخلها ضفادع وعصافير مذبوحة ! !» باختصار شديد كان الملك فاروق معذباً بين مشاعره تجاه أمه، وعواطفه تجاه زوجته ! !

كان يخشى أمه ويتقى غضبها ويعمل لها ألف حساب، وكانت كلمتها عنده لاترد ، هنا مكمن المأساة من الألف إلى الياء ! !

وللدلالة على تلك المشاعر كلها بما فيها من تناقض وغرابة يحكى «التابعى» هذا الموقف :

رأيته بعينى يبكى فى دار أحد رجال حاشيته فى رمل الإسكندرية ، كان يبكى ـ أى فاروق ـ لأن أمه الملكة «نازلى» أمضت سهرتها أمس فى مطعم بالمكس ! ! ولم تكن سهرة بريئة ! !

رأيته يبكى وينتحب وجسمه يهتز من الصراع العنيف المكبوت فى صدره ! !

وكانت أول نتيجة لهذا الصراع هى هوسه بالسرعة وقيادة سيارته بسرعة جنونية .. ولم تتوقف الأمور عند هذا الحد فقط ! ! بل ماخفى كان أعظم ! !

الملك يصفع زوجته
ونازلي تصفع فاروق!

قبل ثلاثة أيام بالضبط من عقد قران الملك «فاروق» على «فريدة» أصدر الملك أغرب وأعجب أمر ملكى!!

كان هذا الأمر الملكى يتعلق بالملكة «نازلى».. والدته!!

وصل الأمر الملكى الذى صدر بتاريخ ١٦ يناير ١٩٣٨ إلى رئيس الوزراء مصطفى النحاس باشا وإلى رئيس الديوان الملكى على ماهر باشا وذلك لتنفيذه فوراً!

بين الحيرة والدهشة والارتباك مضى كل من النحاس باشا وعلى ماهر باشا يطالع كلمات الأمر الملكى والذى يحمل توقيع فاروق ويقول فيه:

«نحن فاروق الأول ملك مصر

نظراً لما نكنه لحضرة صاحبة الجلالة الملكة والدتنا العزيزة من عواطف الإجلال والإكرام، ولما نراه فى اقتران اسمها الكريم بلقبها العظيم من تمجيد ذكراها فوق ما لها من عظيم المكانة وجليل الاعتبار أمرنا بما هو آت: يكون لقب حضرة صاحبة الجلالة الملكة والدتنا العزيزة منذ الآن مقترناً باسمها الكريم «حضرة صاحبة الجلالة الملكة نازلى». على رئيس مجلس وزرائنا ورئيس ديواننا تنفيذ أمرنا هذا»!

كان معنى هذا الأمر الملكى ببساطة أن مصر يوجد بها ملكتان لا ملكة واحدة!!

وكان يترتب على هذا الوضع الشاذ وغير الطبيعى أن يحدث تنافس وصراع لا نهاية له بين الملكة الزوجة والأم.

تعترف الملكة فريدة (فى مذكراتها) بأن الملك فاروق كان ضعيفاً أمام رغبات أمه وجبروتها ولايستطيع أن يرد لها طلباً. وأكبر دليل على ذلك هو الأمر الملكى الذى أصدره!!

ولكن لايكتمل فهم دلالة هذا الأمر الملكى إلا بالاقتراب المباشر من أحد الذين عاشوا داخل دهاليز القصر!!

قال عادل ثابت: «وكانت والدته ابنة خالة الملكة نازلى»:

كانت صراعات فاروق قد بدأت الآن بهمة، إذ أنه بالإضافة إلى المسرح السياسى المعقد والمضطرب باستمرار، كانت هناك معركة كبرى يجرى إعدادها أكثر قرباً من بيته. كان طرفا هذه المعركة «نازلى» و«فريدة»، «كانت نازلى امرأة شابة وقد عاشت حياة مليئة بالإحباط، حيث كانت حبيسة نوعاً ما خلال فترة حكم الملك فؤاد ثم برزت الآن فجأة إلى نوع مختلف

من الوجود أصبح لها فيه حرية كلية ، وفى استطاعتها الآن أن تفعل ماتشاء ! وتتمتع بطاقة كبيرة ، وهى تستعد لبدء أول أدوارها السياسية ، وتوجيه ابنها خلال شلالات المسرح السياسى المصرى ومياهه الضحلة اوكان على فاروق أن يتحمل ثقل وطأة هذه المشكلات ، وكانت المواجهة بين الملكتين تحمل تضمينات سياسية ، فقد كانت الملكة نازلى باعتبارها الأكثر علماً واطلاعا وحكمة بين الاثنتين تؤيد سياسة تقارب بين زعامة الوفديين الوطنيين والملك . إذ كانت تعتقد أن ابنها يستطيع أن يجد صديقاً ومؤيداً مخلصاً فى زعيم الوفد النحاس باشا الذى كانت زوجته زينب الوكيل صديقة شخصية لها .

وكانت «نازلى» تعرف تماما عدم خبرة فاروق ، وحساسة للغاية لمكائد دار المندوب السامى التى تهدف إلى الإبقاء على التباعد بين الملك وزعامة حزب الوفد ، وكان فاروق أصغر من أن يمارس نوع اللعبة التى كان والده بارعاً فيها ، وعقد الهدنة مع الحزب لمن يكون له ، فقد كان «النحاس باشا» نفسه مستعداً لعقد صداقة مع الملك الشاب ، ويمكن الاعتماد عليه لإيجاد ولاء معين للقضية الملكية .

وكان مفهوم الملكة نازلى عن الحماة هو كما يلى بالضبط : إنها كأم للملك والتى خططت ونفذت زواجه لها حق الأسبقية على الفتاة الشابة التى هى زوجة ابنها ، ووفقاً للعرف الإسلامى كان هذا موقفاً يمكن فهمه تماما وقبوله ، ولكن الدستور المصرى كان مأخوذاً عن الدستور البلجيكى الذى يجعل وضع الملكة الأم ثانوياً بالنسبة لوضع زوجة الملك الحاكم ، وهكذا فإن زوجة «فاروق» كان يجب بشكل طبيعى أن تأتى قبل أمه ، غير أن قوة الملكة نازلى وشخصيتها جعلتا فى الواقع من المستحيل على الملكة «فريدة» أن تسيطر على أى مجتمع أو جماعة تكون حماتها فيها أيضاً ! ! فى اليوم التالى مباشرة لزفاف الملك فاروق وفريدة تلقت نازلى أغرب وأعجب مكالمة تليفونية ! ! جاءت المكالمة من والدة فريدة . . السيدة زينب هانم ذو الفقار تلح عليها فى مقابلتها لأمر هام وعاجل ولايحتمل التأجيل ! !

كان صوت «والدة فريدة» مليئاً بالحزن والأسى والهلع أيضاً ، وتسلل الخوف والدهشة والقلق إلى الملكة نازلى ، فقالت لها :

ـ تعالى فوراً ! ! وصلت والدة فريدة إلى قصر «نازلى» ، وكان الوجوم والذهول باديين على وجهها ، فطلبت منها «نازلى» أن تهدأ قليلاً وتتمالك نفسها ! ! ثم طلبت منها معرفة ماذا جرى وما سر بكائها وحزنها ! ! وراحت والدة فريدة تروى لها ماسمعته من ابنتها الملكة «فريدة» منذ ساعات قائلة :

ـ صباح اليوم اتصلت تليفونياً بابنتى «فريدة» لكى أطمئن عليها وعلى صحتها شأنى شأن كل أم تفعل ذلك مع ابنتها وهى على أبواب دنيا جديدة ! !

قالت الملكة نازلى معلقة : معك كل الحق . . ولكن ماذا جرى ؟ !

قالت والدة فريدة من وسط دموعها :

ـ فوجئت ياجلالة الملكة بفريدة تبكى بكاءً مراً ! !

أصاب نازلى الذهول والدهشة وسألت :

ـ فريدة تبكى صباح يوم زفافها إلى ابنى فاروق .. هل هذا معقول ؟ !

قالت أم فريدة :

ـ شكت لى «فريدة» أن الملك زوجها ضربها ليلة الزفاف أمس ! !

كان من الطبيعى أن تندهش الملكة لهذا التصرف الغريب من ابنها الملك، ولم تعلق بحرف واحد على ماسمعته، لكنها ارتدت ملابسها، وذهبت إلى ابنها الملك فاروق الذى فوجىء بها وهى غاضبة، ولم تبادره السلام بل سألته على الفور :

ـ هل صحيح أنك ضربت «فريدة» أمس وفى ليلة زفافها ؟ !

قال فاروق بهدوء وبرود وبساطة أيضا :

ـ أيوه .. ضربتها ! !

استولت الدهشة على الملكة «نازلى» وقالت له :

ـ ولكن لماذا ضربتها ؟ ! ماذا بدر منها حتى تضربها ؟ ! !

وسمعت الملكة أغرب جواب لم يخطر لها على بال حين قال لها فاروق :

ـ لكى أثبت لها أنى «حمش وراجل» ! !

فى تلك اللحظة أدركت «نازلى» أن هذه العبارة ليست عبارة ابنها فاروق صاحب الثمانية عشر عاماً لكنها بالقطع عبارة الخدم أو لعلها نصيحة أفراد الحاشية له .. وفوجىء الملك فاروق بوالدته الملكة «نازلى» تنادى على الملكة فريدة، والأكثر من هذا أنها طلبت من ابنها أن يعتذر لها علناً وأمام جميع من سمعوا بحكاية ضربه لها !

وسألته عن مصدر هذه المشورة الغالية فأبلغها فاروق بأسماء هؤلاء الخدم جميعاً.

واستدعت نازلى كل هؤلاء وكان حاضراً الملك وزوجته فريدة، وفوجىء الكل بأغرب مشهد يمكن أن يتصوره أحد، فقد خلعت الملكة نازلى حذاءها وأخذت تضرب هؤلاء الخدم على وجوههم ! !

لكن الأغرب أن الملكة نازلى طلبت من هؤلاء الخدم أن يحضروا فى اليوم التالى ومعهم زوجاتهم، وفعل الجميع ذلك ماعدا أحد الخدم الذى طلق زوجته بمجرد وصوله إلى البيت ! ! وجاءت الزوجات ووقفن فى حديقة القصر وبجوار كل زوجة وقف زوجها الخادم ووصلت الملكة نازلى وفاروق وفريدة ! !

وطلبت نازلى من كل زوجة أن تصفع زوجها بالقلم، وعندما تردد البعض قالت فى حسم : هذا أمر ملكى والزوجة التى سترفض تنفيذه سيرفت زوجها من العمل حالا ! !

كانت المفاجأة أن الأزواج أنفسهم هم الذين أخذوا يتوسلون إلى زوجاتهم بأن يقمن بضربهن حتى لا يفصلوا من العمل ! !

وكانت بعض الزوجات فى غاية السعادة وهن يصفعن أزواجهن بناء على أمر الملكة !! ثم غادر الخدم وزوجاتهم القصر !!

ولم تنطق الملكة نازلى بكلمة واحدة، فقد كان الدرس الذى لقنته لابنها أمام زوجته كافياً جداً، فقد شاهد أصحاب النصيحة وهم يتلقون الصفعات !!

وفى الحفلة الخاصة التى أقيمت فى القصر احتفاء بتسليم الملك فاروق عرشه، وحضرها أمراء البيت المالك وأصدقاء الأسرة المالكة - وحسب شهادة مرتضى المراغى باشا - وقف الأمير محمد على بعد انتهاء العشاء ورفع كأسه طالباً من المدعوين أن يشربوا نخب الملك متمنياً له التوفيق فى أداء مهمة الملك الصعبة والشاقة !

فوقف الجميع بمن فيهم الملكة نازلى يرفعون كؤوسهم !!

وبقى الملك فاروق جالساً ينظر إلى الأمير محمد على نظرة سخرية، ولما جلس المدعوون توجه فاروق بنظره إلى الأمير محمد على وكان فى جواره وقال له بصوت مسموع :

- يبدو ياسمو الأمير أن مهمة الملك تبدو صعبة لك لأنى صغير السن !! ولكن هل تكون المهمة أسهل لو أنى أحمل لحية بيضاء طويلة ؟! (وكانت للأمير لحية بيضاء طويلة) . وقد بادرت الملكة نازلى التى كانت فى جوار الأمير محمد على إلى الاعتذار له عن تصرفات ابنها !!

ويؤكد «المراغى» أيضاً :

«كان فاروق مع أمه يقبل يدها ولا يجلس إلا إذا جلست، وكانت كثيراً ماتؤنبه وتوبخه بعبارات شديدة يتقبلها بأدب جم» !!

وحسب شهادة محمد حسنين هيكل .. (ملفات السويس) كانت نازلى واحدة من أهم ثلاث نساء أدرن خيوط السياسة المصرية، أو كما قال هيكل بنفسه :

«الواقع أن مصر فى فترة الحرب (١٩٣٩ - ١٩٤٥) كانت واقعة تحت تأثير نفوذ ثلاث من السيدات، كل منهن لها شخصيتها القوية، ولها مكانتها ولها دورها، ولها مجال جذبها . كانت أولاهن السيدة ميلاف قرينة السير مايلز لامبسون - الليدى كيلرن فيما بعد - وكانت السفارة البريطانية مجالها وكان تأثيرها على زوجها الذى يكبرها بأكثر من ثلاثين سنة محسوساً ونافذاً .

نفس الشىء بالنسبة للملكة «نازلى» والدة الملك فاروق والتى تزوجت بعقد عرفى من رئيس ديوانه أحمد محمد حسنين باشا وقد تمكن حسنين من إقناع الملك بهذا الزواج لأن الملكة فى حاجة إلى رجل يشكمها، ومع ذلك فلم يكن هناك فى القصر من هو قادر على شكم ملكة مصر الأم ! وأخيراً فقد كانت السيدة زينب الوكيل قرينة «النحاس» باشا ذات شخصية طاغية فى الوفد، خصوصاً بعد أن تخلص «النحاس» باشا من سكرتير عام الوفد القوى مكرم عبيد باشا وقد كان هو منافسها العتيد فى التأثير على زعيم الوفد الصلب

والعنيد. ولم يكن هناك ـ حسب تحليل هيكل ـ بين الرجال الذين يقودون الآن على الساحة من يستطيع أن يؤدى الدور الذى كان يؤديه هذا الثلاثى النسائى الخطير من وراء الستار فى حكم مصر.

فجأة وصلت الملكة نازلى وبناتها الأميرات إلى الأقصر!!

كان السبب المعلن وقتها هو رغبة الملكة فى قضاء الشتاء تحت شمس الأقصر الدافئة!! كان ذلك السبب هو نصف الحقيقة، فقد كانت الملكة تنوى بالفعل السفر إلى الأقصر ولكن ليس فى هذا التوقيت بل بعد عدة أسابيع!!

أما الحقيقة وراء سفرها وكما كانت تلوكها ألسنة البيوتات الراقية وأولاد الذوات ووصلت إلى مسامع مصطفى النحاس باشا وسجلها فى مذكراته فهى:

إن الملكة نازلى ضاقت بتصرفات ولدها وأنها أخذت بناتها الأميرات وسارعت بالسفر إلى الأقصر لقضاء الشتاء قبل الموعد الذى كانت قد حددته من قبل وهو بعد مضى أعياد الميلاد».

«تجددت الأحاديث والشائعات عن ضيق الملكة فريدة وإصرارها على طلب الطلاق لأن المباذل التى يرتكبها الملك ـ ويشجعه عليها الأميرة شويكار وبوللى ومحمد حسن وحلمى حسين وبقية الحاشية ـ انكشفت وأصبحت حديث المجالس».

وسافر النحاس باشا بالقطار من القاهرة إلى الأقصر، ورغم البرودة الشديدة فقد حرص الناس على استقباله بحفاوة بالغة!!

وعلمت بالأمر السلطانة «ملك» (حرم السلطان حسين كامل) فأوفدت سكرتيرها الخاص ليهنىء النحاس بسلامة الوصول وتمنت له طيب الإقامة فى هذا المشتى الهادىء بعيداً عن ضوضاء الحرب وضجتها وحمل النحاس باشا السكرتير شكره الخاص لعظمة السلطانة ووعد بأن يمر عليها بنفسه ليشكرها.. وقد كان!!

ويقول النحاس: «مررت فى الصباح على قصر السلطانة «ملك» القريب من الفندق وتركت بطاقة شكر لها على تفضلها بإيفاد سكرتيرها لتهنئتى بالوصول إلى الأقصر، ولكن السكرتير سارع قبل أن أبارح القصر وقال إن عظمتها تود أن تراك!!

فدخلت إليها فاستقبلتنى استقبالا كريماً وجلست تحدثنى فى وقار وحشمة وهدوء وتؤدة وقد دار بيننا الحديث حول الحرب وآثارها ونتائجها، ومن ياترى سيكون الكاسب ومن سيكون الخاسر؟!

ثم عرجت (السلطانة ملك) على فاروق ومباذله وقالت لـ النحاس:

ـ إن الناس حتى المنحرفين منهم إذا حلت مصيبة أو وقعت لهم كارثة أقلعوا عن غيهم واتجهوا إلى ربهم، وهذا الفتى المسكين (فاروق) لايعتبر بالحرب ومايسمعه من أنبائها السيئة وماينتظر أن تنكب به بلاده لو جاءت جيوش المحور واحتلتها، ألا يفكر فى مصيره

ومصير أمته التى ولاه الله عليها. وكانت (السلطانة) تتحدث والتأثر باد عليها فخففت من حدتها وكلمتها فى هدوء بأن:

ـ الملك شاب صغير لم يجد من يوجهه وأن بطانة السوء هى التى أضرت به!!

وتدخلت الأميرة سميحة فى الحديث وقالت:

ـ إن الأوساط المحيطة به (بفاروق) تقول إنه يصارح أخصاءه بأن أمه هي السبب فى انحرافه، وأنه لما رآها لا تبالى فى تصرفاتها فقد الثقة فى كل شىء، وخصوصاً بعدما دخل عليها منزل أحمد حسنين فوجدها عنده وفاجأته بأنها تزوجته!!

يضيف النحاس قائلاً بعدما سمع كلام الأميرة «سميحة»: رددت على هذا بأنه سواء كانت أمه هى السبب فى انحرافه أو كانت حاشيته هى التى سولت له ذلك فالنتيجة واحدة!

وقالت السلطانة (ملك):

«أنا متألمة كل الألم لحالة الملكة الصغيرة فريدة وليتها ظلت صافيناز يوسف ذو الفقار ولم تتزوج هذا الولد الطائش وتلقب بملكة البلاد بعد أن تلد له بنات كالزهرات يهجرها وراء نزواته، ويذهب كل ليلة إلى مكان يقضى فيه الليل كله ويعود فى آخره لينام». وقضى النحاس وقتاً طويلاً فى الحديث مع السلطانة «ملك» ثم قام بوداعها، وخرجت معه حتى باب الغرفة ثم قام سكرتيرها «محمد عفيفى» باصطحاب النحاس حتى باب القصر!

وصل النحاس باشا إلى الفندق ورأى حركة غير عادية وتغييراً فى بعض الحجرات وعندما سأل قيل له: إن الملك سيحضر بعد ثلاثة أيام، وقد طلب الملك أن يعدوا له سريراً كبيراً يتسع له حتى ينام مستريحاً!! ويعترف النحاس: «رأيت من المناسب أن أسافر إلى أسوان بعد يومين قبل مجيئه (أى الملك) حتى لا أراه ولا يرانى».

وهكذا سافر النحاس إلى أسوان، وتوافد الناس للترحيب به، وكان النحاس يستقبلهم فى ردهة الفندق، ثم يروى النحاس هذه الواقعة الغريبة التى قام بها الملك فاروق ثم حاولت إصلاحها أو التخفيف من وقعها الملكة نازلى!!

يقول «النحاس» فى مذكراته:

«أخذت أتمشى فى الردهة فصادفنى الدكتور نجيب محفوظ باشا الطبيب المعروف فى القاهرة (وهو صهر مكرم عبيد) والدكتور حافظ عفيفى باشا أحد أعضاء الوفد السابقين الذين خرجوا من الوفد فى حياة المغفور له سعد زغلول باشا وبينما نحن نتحدث فى ناحية من الردهة، وقد وقفنا بعيداً عن بعض النزلاء إذا بالملك (فاروق) يمر فجأة، ولما لمحنا واقفين وقف فصافح «حافظ عفيفى باشا ثم نجيب محفوظ باشا، ولما رآنى أعرض وأعطانى ظهره وانصرف دون أن يحيينى أو يسلم علىّ، فتعجب الواقفان معى، واندهش الذين رأوا هذا المنظر الصبيانى!!». ويضيف النحاس وهو يصف مشاعره بعد هذا الموقف الغريب من الملك فيقول: «وطبعاً تأثرت من هذا التصرف الذى إن دل على شىء فإنما يدل على أن أمر

هذا البلد يتصرف فيه طفل أهوج طائش لا يصلح لأن يحكم نفسه فضلا عن حكم شعب بأسره».

وحاول جميع من كانوا حول النحاس التلطيف من هذه الواقعة السخيفة وأكد النحاس لهم أنه لا يهتم بمثل هذه التفاهات «فالعداوة بيننا وبين الملك وقصره وعهده كله معروفة للجميع وليس بمستغرب عليه أن يفعل هذا وأكثر منه، ولقد كشف (الملك) عن أدبه وسوء تربيته بفعلته هذه». ثم يضيف النحاس في مذكراته ماجرى بعد ذلك فيقول:

«وحين حل موعد الغداء قصدنا إلى صالة الطعام، وكان الفندق قد شطرها شطرين، شطراً خصصه للملك وحاشيته ووالدته الملكة نازلى والأميرات، والشطر الثانى للنزلاء وأقام حاجزاً بين المكانين!

وقد نبهت (أى النحاس) إدارة الفندق أن تغيير موعد تناولنا الغداء بعد أو قبل الموعد الذى يريده الملك حتى لا ألتقى به مرة أخرى من قريب أو من بعيد، لكنهم أخبرونى أنه ليس له موعد محدد، وأنه تارة يتناول الغداء فى المكان المعد له، وأخرى فى جناحه الخاص، ولكن الملكة والأميرات هُنَّ اللاتى ينزلن دائما إلى القاعة للطعام فى موعد محدد غالباً مايكون الموعد العادى للنزلاء!!

«وبعد أن تناولنا الغداء جاء سكريتر الملكة نازلى محمد بك عفيفى وأسر إلىّ أن جلالة الملكة نازلى تحييك وترجو ألا تغضب من تصرف الملك معك، وهى آسفة شديد الأسف فشكرتها وحملته تحيتى واحترامى، لكنى عجبت كيف سرى النبأ بهذه السرعة؟!» ولم تكتف الملكة نازلى بالرسالة التى أرسلتها مع سكرتيرها إلى النحـــاس، لكنها صالحت النحاس بطريقة لم يخطىء مغزاها كل من كان فى صالة الطعام حيث كتب النحاس يقول:

«وعند خروجى لمحت الملكة واقفة وهى تحيينى برفع يديها ومعها الأميرات وظلت تكرر التحية وتعيدها ويتبعها الأميرات إلى أن خرجن من قاعة الطعام. وقد اعتبرت هذا شبه اعتذار عن ذنب لم تجنه بل جناه ابنها!».

وذات يوم فوجىء الملك «فاروق» بأمه جلالة الملكة نازلى تصفعه بالقلم!!

ولم تكتف نازلى بهذه الصفعة القوية على وجه ابنها الملك، بل أهانته وشتمته وطردته من قصرها! اجرى ذلك كله وسط ذهول الملكة فريدة زوجته وابنتها الصغيرة «فريال»! اوجرى فاروق مسرعاً إلى قصر الأمير محمد على ولى العهد الذى كان ساهراً رغم الوقت المتأخر والذى فوجىء تماماً بزيارة الملك له، وتوقع أن تكون هناك كارثة سياسية!!

ارتدى محمد على عباءة فوق ملابس النوم ونزل لمقابلة الملك فاروق وبادره قائلا فى دهشة:

ـ ماذا جرى؟!

قال الملك فاروق: الملكة نازلى ضربتنى!!

ووسط دهشة محمد على الكاملة راح فاروق يروى له تفاصيل مثيرة حول القلم الساخن الذى أخذه على خده ! !

روى «مصطفى أمين» تلك القصة على النحو التالى فكتب يقول :

«كان ذلك فى يوم الإثنين ٩ يناير ١٩٣٩ ، وكانت الملكة نازلى والأميرات فوزية وفايزة وفائقة وفتحية قد عدن من أوروبا على ظهر الباخرة ثم ركبن القطار الخاص إلى القاهرة. وازدانت محطة القاهرة بالأعلام والورود والرياحين والزهور واصطف رجال البوليس على الجانبين ووقف على الرصيف الأمراء محمد على ومحمد عبدالمنعم ويوسف كمال والنبلاء عباس حليم ومنصور داوود وسليمان داوود وشريف صبرى (خال فاروق وشقيق نازلى) ومحمد محمود رئيس الوزراء، ومحمد محمود خليل رئيس الشيوخ، وبهى الدين بركات رئيس النواب، وعلى ماهر رئيس الديوان والوزراء والكبراء وكبار موظفى القصر، وأقبل القطار الملكى، وإذا بمراد محسن باشا ناظر الخاصة الملكية يقفز من القطار قبل أن يقف وإذ به يتجه نحو سعيد ذوالفقار كبير الأمناء ويهمس فى أذنيه بكلمتين، فيصفر وجه كبير الأمناء ! ! !

وينتظر المستقبلون نزول الملكة نازلى فلا تنزل، وطال الانتظار .ثم صعد كبير الأمناء إلى القطار الملكي، وغاب داخله لفترة بينما المنتظرون فى دهشة مما حدث، وإذا بمأساة تحدث داخل القطار الملكى ! !

نعم لقد كان ماحدث بالفعل مأساة كاملة ! !

يقول مصطفى أمين فى روايته إن الملكة نازلى سألت مراد محسن ناظرالخاصة الملكية بمجرد أن صعد إلى القطار : هل ستجىء الملكة فريدة لاستقبالى فى المحطة ؟ ! !

رد مراد محسن : يا أفندم ، الملكة فريدة تعتذر وستنتظر فى سراى عابدين ! !

وعادت نازلى تساله : وفاروق ؟ !

قال مراد محسن بهدوء : مولانا سينتظر جلالتك فى سراى عابدين ! !

وبسرعة ردت نازلى قائلة :

ـ إذن أنا لن أذهب إلى سراى عابدين، وسأذهب إلى قصر القبة مباشرة ! !

وعندما همّ ناظر الخاصة الملكية «مراد محسن» بالكلام وقال : ولكن . . كانت نازلى قد حسمت الأمر كله فى كلمات محددة وقاطعة لا تقبل التأويل :

ـ لا . . مفيش ولكن، إننى لا أذهب إلى فريدة وفاروق، إن هذه قلة أدب لا أقبلها ! !

كان كلام الملكة واضحاً وقاطعاً، ومع ذلك قال لها مراد محسن :

ـ ولكن الترتيبات أعدت لجلالتك فى قصر عابدين ؟ ! !

بحسم قاطع قالت نازلى : أنا لا يهمنى الترتيبات، وإذا سارت السيارة الملكية إلى قصر عابدين فسأقفز منها، وستكون فضيحة ! !

وحاول مراد محسن باشا إقناع الملكة بالذهاب إلى قصر عابدين لكنه فشل، ولهذا قفز من القطار وهمس فى أذن كبير الأمناء بموقف الملكة واستنجد به ليحل هذه المشكلة ويحول دون وقوع فضيحة أو كارثة!!

وهكذا صعد سعيد ذوالفقار إلى القطار الملكى وسط دهشة الحاضرين الذين لا يعلمون ماذا يجرى بالضبط فى داخله، وقام سعيد ذو الفقار بتقبيل يد الملكة نازلى وهنأها بسلامة الوصول، وتصور أنه يستطيع بدهائه وذكائه أن يقنع نازلى بالعدول عن العناد، ولكن نازلى الأكثر عناداً.. انفجرت فيه غاضبة وقائلة:

- أسمع ياسعيد باشا أنا أريد أن ألقى على فاروق درساً فى الأدب(!!) وكان يجب أن يجىء لاستقبالى هو وفريدة فى المحطة، ومادام لم يجىء فسأكسر رأسه!!

حاول كبير الأمناء سعيد ذو الفقار أن يجد تبريراً لعدم مجىء فاروق وفريدة فقال:

- يافندم، الملكة فريدة وضعت منذ بضعة أسابيع الأميرة فريال، وهى لاتزال متعبة!!

ورغم صحة كلام سعيد ذوالفقار، فقد كانت فريدة قد ولدت فريال.. إلا أن الملكة نازلى ركبت رأسها أكثر وازدادت عناداً وقالت له:

- أنا لا يهمنى فريدة، إنها ليست ابنتى، ولكن يهمنى فاروق ومادام هو أراد أن يهزئنى أمام الناس ولايحضر لاستقبالى فإنى لن أتردد فى تهزيئه أمام الناس! اوهكذا نزلت نازلى من القطار وهى فى قمة الغضب ولاحظ المستقبلون أنها صافحتهم بعصبية شديدة ثم سارت مسرعة إلى السيارة التى تنتظرها.

تقدم أحد الكبراء لينقذ الموقف لكنه فوجىء بنازلى تدفعه بيدها وهى تقول: - أنا كنت فاكرة إنك تعرف ترتب أحسن من كده!! وتقدم سعيد ذو الفقار مكرراً نفس الشىء، لكن نازلى نهرته بقولها: اسكت أنت!!

ودخلت نازلى إلى السيارة الملكية وقالت للسائق بغضب:

- إلى سراى القبة!!

لكن سعيد ذو الفقار قال للسائق:

- إلى قصر عابدين! اوجنت نازلى وصاحت فى السائق بصوت عال:

- أنا قلت القبة يعنى القبة!! إذا لم تتجه السيارة نحو القبة فسأقفز منها أمام الناس!!

كانت الجماهير محتشدة على جانبى الطريق لرؤية الموكب الملكى، وسارت الموتوسيكلات تتقدم السيارة الملكية إلى قصر عابدين، وفجأة شاهد الناس مشهداً غريباً فقد كانت الموتوسيكلات تسير تتقدمها صفارات البوليس مفسحة لها الطريق ولكن لا أحد يسير وراءها!! وعندما وصلت السيارة إلى ميدان المحطة وأراد السائق أن يسير إلى عابدين، فوجىء الرجل بالملكة نازلى تمسكه من ملابسه وقالت له مهددة:

- حذار أن تسير إلى عابدين!!

وهكذا قاد السائق السيارة الملكية وبداخلها نازلى إلى قصر القبة بينما كانت موتوسيكلات الحرس الملكي تسير وحدها إلى عابدين ! !

وأسرع كبير الأمناء سعيد ذو الفقار إلى داخل قصر عابدين حيث وجد الملك فاروق والملكة فريدة وفريال الصغيرة يستعدون لاستقبال الملكة الوالدة نازلى.

كان كبير الأمناء فى حالة ارتباك ودهشة وحيرة وبادره الملك بسؤال :

ـ أين الملكة نازلى ؟ !

رد كبير الأمناء قائلا : رفضت الحضور إلى القصر، وهددت بأنها ستقفز من السيارة إذا جاءت بها إلى عابدين، لأن جلالتك لم تحضر لاستقبالها ! ! دهش فاروق لما يسمعه وعاد يسأل كبير الأمناء : ولكن ألم تخبرها أن الترتيبات أعدت بذلك ! !

رد كبير الأمناء سعيد ذو الفقار قائلا : أخبرتها بذلك، فسبت الأولين والآخرين ! !

وسأله فاروق مستوضحاً : بس؟

أجاب : وجلالتك طبعاً ! !

دار هذا الحوار كله والملكة فريدة واقفة مذهولة ! !

وهنا وصل على ماهر رئيس الديوان ونصح فاروق أن يأخذ فريدة وفريال ويذهبوا جميعاً إلى قصر القبة لتحية الملكة نازلى وبذلك يتم حل هذه الأزمة ! ! واستجاب فاروق لهذا الاقتراح من على ماهر، وركب سيارته ومعه الملكة فريدة تحمل فريال التى لم تكن الملكة نازلى قد رأتها حتى هذه الساعة، وربما كانت رؤية نازلى للأميرة الصغيرة فريال عنصراً مخففاً وملطفاً ومهدئاً للأزمة، لكن ماحدث كان العكس تماماً ! !

ووصل الجميع إلى قصر القبة ! ! دخلت فريدة وفريال أولا صافحتهما نازلى ببرود شديد ! ! ثم دخل فاروق بعدهما، وما كادت نازلى تراه حتى أدارت وجهها، وعندما اقترب منها فاروق بدأت بينهما مناقشة عاصفة وغاضبة انتهت بأن رفعت نازلى يدها وصفعت ابنها الملك فاروق على وجهه وقالت له : اخرج من هنا ! !

وكررت الملكة هذه العبارة مرتين، وخرج فاروق مسرعاً وترك فريدة وفريال فى القصر وأخذ سيارته وذهب للأمير محمد على وكان الوقت متأخراً جداً ليقول له :

ـ لقد ضربتنى الملكة نازلى وشتمتنى وطردتنى من قصر القبة ! !

وبعد أن روى فاروق له كل التفاصيل السابقة أبدى الأمير محمد على دهشته وقال لـ فاروق :

ـ لقد كنت فى المحطة ولم يخبرنى أحد بما حدث، ولو أن رجال القصر أخبرونى لأمسكت الملكة نازلى من يدها ووضعتها فى سيارة بالقوة وأخذتها إلى قصر عابدين.

ثم نظر الأمير محمد على إلى ساعته وقال لـ فاروق :

ـ إن الوقت متأخر وسأذهب غداً لجلالة الملكة نازلى وأقول لها إنه لايجوز أن تضرب ابنها وتشتمه وتطرده أمام الناس ! ! وفى صباح اليوم التالى ـ عشرة يناير ١٩٣٩ ـ ذهب الأمير

محمد على كما وعد فاروق إلى قصر القبة، فقال له كبار رجال القصر إن المسألة سويت، ولا داعى لمقابلة الملكة نازلى !!

وبالفعل فقد استطاع كبار رجال القصر حسب شهادة مصطفى أمين أن يعقدوا صلحاً بين فاروق ونازلى فى الساعة الثالثة من صباح ذلك اليوم !!

باختصار شديد: أقنعوا فاروق بأن أمه مجنونة !!

وأقنعوا نازلى بأن ابنها مجنون ..

وكان كلاهما مقتنعاً تماماً بهذا الرأى !! وطوال وجود الملك فؤاد كانت نازلى امرأة على الورق !! وملكة على الورق، وأنثى على الورق، لكن الوضع تغير تماما، فقد مات الملك، والحياة مازالت أمامها ممتدة عريضة !!

كانت أم الملك امرأة طموحة قوية الإرادة، سرعان ما أدركت أن فريدة الشابة ليست تلك البنت الصغيرة التابعة والتى هى على استعداد لأن تتبع طريق حماتها وتظهر إعجاباً كاملاً باتجاهها وتقبل أن تحجب شخصيتها.. على العكس فإن فريدة اتجهت إلى أن تقوم بدور الملكة وهنا كانت تكمن بذور النزاع!

لم تكن الملكة نازلى بطبيعة الحال مستعدة للسكوت على ذلك، واستطاعت أن تحدث موقفاً غريباً للغاية فى مصر، إن الدستور المصرى لايتضمن أى نص يتعلق بالملكة الأم، وكانت الملكة الأم ينظر إليها باعتبارها ملكة سابقة، والملكات اللواتى حكمن فى ظل ملوك أقوياء انتهى حكمهم كن يشعرن عادة بالسعادة باتخاذ مقعد خلفى والعيش فى قصر مريح بقية حياتهن، ولكن ذلك لن يكون أسلوب الملكة نازلى، وهكذا فإنها بجذب الخيوط المناسبة استطاعت أن تعدل الدستور المصرى بحيث سجلت فيه وجود ملكة ثانية، الملكة الأم التى احتفظت بكل الامتيازات الملكية، وبدا أنها احتلت مركزاً مسيطراً داخل الأسرة المالكة دون أن يحدد ذلك بالضبط !!»

وفجأة يوافق مجلس الوزراء على إعفاء الواردات التى تكون باسم صاحبة الجلالة الملكة نازلى من الرسوم الجمركية، وكان هذا الإعفاء مقتصراً من قبل على الواردات التى تكون باسم صاحب الجلالة الملك فاروق والملكة فريدة !!

نازلي وحسنين والطريق المسدود

لم تكره «نــازلى» رجــلاً قــدر كـراهيتهــا لـ«أحمـد فؤاد»! ولـم تعشــق «نــازلى» رجـلاً قدر عشقها لـ«أحمد حسنين»!!

كان «أحمد فؤاد» هو الماضى الذى مات وشبع موتاً، أما «أحمد حسنين» فهو المستقبل الذى لن تشبع منه «نازلى» أبداً!!

كان أحمد حسنين - من زاوية نازلى» - رجلاً خارج المنافسة والمقارنة، كان حالة استثنائية من الرجولة والكبرياء والزهو والفروسية!!

من يوم ليوم، ومن لحظة لأخرى كانت «نازلى» تشتعل غراماً وحباً ورغبة فى «أحمد حسنين»، وكرهت كل لحظة وثانية عاشتها مع «الملك فؤاد».

لقد عاش «فؤاد» حياته بالطول والعرض ولم تكن سمعته فوق مستوى الشبهات!!

كانت وقاحته وقلة أدبه لا حدود لها، وكان الكل عارفاً وعالماً بتصرفات «أحمد فؤاد» المخزية دائماً!!

ذات يوم قابل امرأة ليست فوق مستوى الشبهات رغم كونها زوجة لرجل مهم، وقال لها بوقاحة وسفالة: لماذا تستسلمين للآخرين وترفضينني(؟!!)

ورغم أن السيدة كانت سيئة السمعة إلا أن وجهها احمرّ خجلاً من سفالة سؤال صاحب العظمة السلطان!!

لكن «حسنين» كان على النقيض تماماً، فنازلى هى التى طاردته، وجرت وراءه فى كل مكان، وصرحت لكل من تعرفه بأنها غارقة فى حبه، وهو غير عابىء أو مهتم بها على وجه الإطلاق!!

لم يكن «مراد محسن باشا» ناظراً للخاصة الملكية فقط، بل كان شاهداً على تفاصيل قصة حب «نازلى» و«حسنين»!!

لم يسمع «مراد محسن باشا» بتفاصيل القصة من الشائعات والتقارير، بل سمعها من فم الملكة «نازلى»» نفسها!!

روى ناظر الخاصة الملكية «مراد محسن باشا» التفاصيل المذهلة لقصة الحب لواحد من أصدقائه المقربين والذى عاد بدوره فرواها للكاتب الكبير «محمد التابعى».

قال مراد محسن باشا بالحرف الواحد:

«أنا لا أنسى يوم جاءتنى الملكة «نازلى» تقول إنها تحب «حسنين» ولا تستطيع الحياة بدونه.. وإنها تعسة لأن «حسنين» صارحها بأنه لا يستطيع أن يقربها لأنه لايحب الحرام!!»

ثم قالت الملكة «نازلى» (لـ مراد محسن باشا) إنها كانت قد أوفدت إلى «حسنين» إحدى وصيفاتها لتسأله عن سر بروده مع صاحبة الجلالة؟!

فقال حسنين للوصيفة: إنه يتعذب، وإنه يمسك بعواطفه لأنه يحبها ـ أى الملكة نازلى ـ ولكنه لايستطيع أن يفعل شيئاً يغضب الله!!

ومضت «نازلى» تقول لناظر الخاصة الملكية:

ـ يعنى أعمل إيه أنا؟! لا هو يسمح لى أن أعرف رجلاً سواه.. ولا هو يريد أن «يأخذنى»!!

✪✪✪

كان «مراد محسن باشا» يستمع للملكة «نازلى» وهو يكتم دهشته وذهوله، فقد كان رأيه «أن حسنين باشا «أخطر رجل فى مصر، وهو ممثل يجيد التمثيل خيراً من يوسف وهبى، ولقد دهشت من هذا التصرف من حسنين، فأنا أعرفه جيداً وأعرف أنه فى حياته الخاصة وسلوكه الشخصى ليس بريئاً، ولكن «حسنين» كان يمثل دوراً، وكانت النتيجة أن ازداد وجد الملكة «نازلى» وتضاعف هواها وحبها له، وأصبحت تعتقد أنه رجل غريب، يجد ملكة بين يديه ويرفض أن يقربها!!

وذات يوم ـ وكان الكيل قد فاض بـ نازلى ـ قالت لـ حسنين:

ـ أنا أعطيك إنذاراً نهائياً، إما أن تعاملنى كامرأة، وإما سأقطع كل علاقة بيننا وأصبح حرة أفعل ما أشاء!!

تظاهر«حسنين» بالبكاء وقال للملكة إنه لايستطيع أن يقربها إلا إذا تزوجها على شرع الله وسنة رسوله!!

وسكت «حسنين» لحظات عاد ليقول بعدها ـ وغير معقول أن أتزوج الملكة؟!!

وهنا صاحت الملكة نازلى: طظ فى لقب الملكة!!

كتم «حسنين» دهشته وعاد ليقول لـ نازلى بنفس الهدوء والبرود:

ـ معنى هذا أن جلالة الملك سيطردنى، وأنا أفقر من أن أستطيع العيش على معاشى لأن الديون تأخذ جانباً كبيراً منه!!

وكانت إجابة نازلى حاضرة وجاهزة، فقد قالت له:

ـ أنا مستعدة لأن أضع ثروتى كلها بين يديك!

ورد «حسنين» بنفس البرود القاتل: ولكنى لاأستطيع أن أعيش على حساب زوجتى، وسوف أشعر بمرارة أنك دفعت لى ثمن هذا الزواج!

وهنا لم تتمالك الملكة «نازلى» نفسها من الغضب وانفجرت صارخة فى وجه «حسنين»:

ـ يعنى عايزنى أعمل إيه؟! زوجة لأ؟! رفيقة لا !! عاوزنى أبقى إيه؟!

قال حسنين ببساطة: عاوز ملكة!

عادت نازلى للصراخ قائلة: يعنى قطعة جماد، طوب، حجارة، لا ياسيدى أنا بشر.. أنا دم ولحم.. أنا امرأة.. أنا حرمت كل حياتى من الحياة.. سيبنى أعيش!!

عاد «حسنين» يرد عليها بصوت يتهدج:

ـ أنا خايف على سمعتك وسمعة السراى، وإلا لتركتك تفعلين ماتشائين!!

وانفجرت نازلى. ومن وسط صراخها وجنونها وثورتها قالت «لحسنين»:

ـ طيب.. سأبهدل سمعة السراى! أنا أخذت إيه من السرايات غير المرض والبؤس والشقاء.. أنا عشت ١٨ سنة فى ثلاجة!!

ولم تفلح ثورة نازلى ولا كلماتها فى تغيير موقف «حسنين» الذى عاد ليؤكد لها أنه يخشى الله ولا يستطيع أن يفعل شيئاً يغضب الله. وأخيراً عادت نازلى لتقول:

ـ إذن سأذهب إلى «فاروق» وأقول له إننى سأتزوجك؟!!

بلا مبالاة رد عليها «حسنين» بقوله: اذهبى.. ولكنه سيرفض!!

✪✪✪

وذهبت الملكة «نازلى» إلى ابنها الملك فاروق.. وكانت مقابلة عاصفة بين الأم وابنها بعد أن اعترفت لفاروق بأنها تحب «حسنين» باشا وتريد أن تتزوجه..

وقال فاروق لأمه الملكة: صاحبيه أحسن(!!!) وقالت «نازلى» لابنها:

وحسب رواية «مراد محسن باشا» التى نشرها «محمد التابعى» فقد كان رد الملك فاروق على كلام نازلى هو قوله: سأصدر إليه أمراً ملكياً بذلك!!

ولم يجرؤ الملك «فاروق» على أن يفاتح «حسنين» فى هذا الأمر، وكان من الطبيعى أن يثور ويغضب، وربما فكر فى طرده من السراى، لكن شيئاً من ذلك لم يحدث!!

لكن المؤكد أن شيئاً ما «انكسر» وتبعثر وتفتت داخل الملك الشاب من طلب أمه الغريب!!

لابد أن الصدمة والذهول والوجوم هى أقل ما أصيب به «فاروق» وأمه تقول له: إنها من لحم ودم، وإنها قدمت نفسها لـ حسنين لكنه هو الذى يرفض كل ذلك!!

ولعل «فاروق» تذكر تلك الواقعة التى جرت عندما كانت الرحلة الملكية فى لندن، عندما أرادت أمه أن تذهب إلى أحد النوادى الليلية، فقال لها «حسنين»:

ـ إذا فعلت ذلك، فسوف أضعك هنا فى مستشفى المجاذيب!!

وذهبت نازلى تشكو لـ فاروق من تهديد حسنين لها بوضعها فى مستشفى المجانين، لكن فاروق ابتسم ولم يفعل شيئاً، بل لم يقل شيئاً لـ حسنين!!

كان فاروق يحب أمه، ولم يكن يفوق حبه سوى احترامه لها.. وكان يخشاها ويتقى غضبها ويعمل لها حساباً، وكانت كلمتها عنده لاترد!! وكان الملك الشاب دائماً يطيعها ويخضع لها، ولا يرى غضاضة أو بأساً ـ وهو الملك ـ فى أن ينزل عند إرادتها مثل أى طفل صغير!!

لكن كل هذا شىء، وماتطلبه «نازلى» شىء آخر مختلف، ولم يحدث أن طلبت أى «أم» من ابنها مثل الذى طلبته «نازلى» من «فاروق»!!

كانت«نازلى» ذكية شديدة الذكاء، لكن «أحمد حسنين» كان أكثر ذكاء!!

كان الكل يؤكد على دهاء ومكر «نازلى»، لكن أحمد حسنين.. تفوق على دهائها ومكرها!!

كانت «نازلى» تظن نفسها أنها «أستاذة» فى مادة «الذكاء» لكن الأيام أثبتت أن «حسنين» هو مؤلف مادة «الذكاء»!!

استدعت «نازلى» ذات يوم ناظر الخاصة الملكية «مراد محسن» ـ وكان أيضاً وكيلا لأعمالها ـ وقالت له إنها قررت أن تهب «حسنين» باشا خمسمائة فدان، وطلبت منه أن يعد العقود الخاصة بهذه الهبة ونقل الملكية!!

حاول مراد محسن جاهداً أن يراجع نازلى فى هذا القرار الغريب، لكنها أصرت عليه، ولم يجد ناظر الخاصة الملكية مفراً من الذهاب إلى الملك فاروق وإخباره بالقصة كلها، وما إن سمع «فاروق» بقرار أمه «نازلى» حتى هاج وثار وقال لـ مراد محسن:

ـ إن هذه الخمسمائة فدان بتاعتى أنا.. لأننى أنا الذى أرث الملكة!!

ـ المحير فى الأمر أن «فاروق» لم يفعل شيئاً!! ولم يتحدث مع أمه الملكة، ولم يتكلم مع «حسنين» فى هذا الأمر، لكنه اكتفى بأن طلب من ناظر الخاصة أن يذهب إلى خاله شريف صبرى.ـ شقيق الملكة ـ ويروى له الحكاية!!

ومما يدعو للدهشة أيضاً أن «شريف صبرى» لم يفعل شيئاً على الإطلاق!! ويقول ناظر الخاصة الملكية فى شهادته لـ «التابعى»:

ـ وبينما أنا فى حيرة ماذا أفعل؟! اتصل بى «حسنين» باشا ليقول لى إنه يرفض هذه الخمسمائة فدان!!

وبعد ذلك بقليل اتصلت بى الملكة نازلى وقالت لى: إن حسنين باشا شتمها وقال لها:

«إنت عاوزة تهزئينى أمام رجال السراى؟! إنت عاوزة تنتقمى منى؟! كيف تتصورين أن آخذ منك أنا فدادين؟! أنت امرأة مجنونة».

ومضى «مراد محسن» فى حديثه مع «التابعى» يحلل الموقف السابق بقوله:

«وهكذا استطاع «حسنين» باشا ـ برفضه هذه الهبة الكبيرة ـ أن يزيد فى قوته ومقامه فى عين «الملكة نازلى» وأن يشعرها بأنه لا يمكن رشوته!! وأنا أعتقد أن سياسته أو هدفه الذى

يسعى إليه في آخر الأمر هو أن يحمل الملك فاروق على أن يرجوه بنفسه أن يتزوج أمه الملكة نازلى زواجاً عرفياً .. وعندئذ ينحنى أمام رغبة «مولانا» ويصدع بالأمر بحجة أنه إنما يخدم الملك والأسرة بهذا الزواج»!

✪✪✪

كان الملك «فؤاد» يكره ابن أخيه الأمير «محمد على توفيق» كراهية لاحدود لها!!

وشاركت «نازلى» زوجها فى كراهيته للأمير«محمد على».. وجاء «فاروق» ليشارك والده ووالدته في هذه الكراهية، بل تعمقت داخله، وخاصة أن «محمد على» كان قد أصبح رئيس مجلس الوصاية وولى العهد!!

وكان «محمد على» دائم الانتقاد والهجوم والسخرية من أسرة الملك فؤاد، وعندما نشرت الصحف في مصر صوراً للملكة نازلى وهى تتزحلق على الجليد أرسل خطاباً شديد اللهجة يوبخ فيه «أحمد حسنين» باشا لأنه سمح للمصورين بالتقاط هذه الصور. ويومها غضبت «نازلى» وراحت تشتم وتسب وتلعن الأمير «محمد على»!!

ووصلت حكايات وقصص الغرام بين «نازلى» و«حسنين» إلى مسامع الأمير «محمد على»!!

وتصور الأمير أن الفرصة الذهبية قد واتته لينتقم من أسرة «الملك فؤاد»!

وذهب الوصى على العرش «محمد على» لمقابلة «على ماهر» باشا رئيس الديوان وقال له إن سمعة الملكة «نازلى» زفت ! بسبب علاقتها بـ حسنين!!

وطلب «محمد على» من «على ماهر» ضرورة إبعاد «أحمد حسنين» عن السراى!!

مالم يعرفه الأمير «محمد على» أن رئيس الديوان «على ماهر» كان أخبث وأذكى وأحرص من أن يقحم نفسه في مسألة شائكة وحساسة كهذه!!

وهكذا خاب أمل «محمد على» فى «على ماهر»!

وذهب «محمد على» لمقابلة الملك «فاروق» نفسه ليشكو له من تصرفات الملكة «نازلى» وكيف أن سيرتها مع حسنين باشا قد أصبحت على كل لسان!

وحسب مارواه الأستاذ محمد التابعى فقد قال فاروق له:

- أنا سمعت الإشاعة.. وحققت فيها بنفسى وتأكدت أنها غير صحيحة!!

ولكن الأمير «محمد على» أصر على الاتهام وقال لفاروق:

- «أنا واثق أن بين «حسنين» والملكة «نازلى»علاقات غير شريفة!!»

ولم يذكر «محمد التابعى» ماذا كان رد «فاروق» على الأمير «محمد على» لكنه يروى لنا كيف كان تصرف أحمد حسنين .. بعد معرفته بلقاء فاروق ومحمد على.

كتب «محمد التابعى» يقول: سمع «حسنين» - رحمه الله - بهذه المقابلة وبالحديث الذى دار فيها، فأرسل إلى الأمير «محمد على» يقول له:

ـ أنا آسف إذ أراني مضطراً لأن أنسى أني موظف في السراى وأنك ولى العهد ولهذا فإني أدعوك للمبارزة كما يفعل أى رجل وأترك لك حرية اختيار السلاح وشهودك ! !

ولم يكد الأمير «محمد على» يتلقى رسالة «حسنين» حتى فزع واستنجد بالأمير «عمر طوسون» ! !

واتصل الأمير «عمر طوسون» بـ حسنين باشا وسأله :

ـ كيف يجوز للأمين الأول لجلالة الملك أن يبارز ابن عمه وولى عهده ؟ !

وقال حسنين : إن هذا الأمر ليست له حقيقة سابقة في البروتوكول .. ولكن لم يسبق كذلك لولى عهد أى بلد أن قال كلاماً كاذباً في حق رجل آخر دون أن يتحمل مسئوليته ! !

ومضى حسنين يشرح لـ عمر طوسون ما انتواه فقال :

ـ إنه رغبة في عدم إحراج أحد ، فقد رفع إلى جلالة الملك الخطاب التالى :

«ولما كان ولى عهدك قد أهانني،ولما كنت لا أقبل هذه الإهانة ، فإنني أقدم استقالتي من منصبي لكى أستطيع أن أعامل ولى العهد معاملة رجل حر لرجل حر ..»

وقال الأمير عمر طوسون لـ حسنين : ولكن ولى العهد يرفض المبارزة ! !

وأجابه حسنين قائلاً : «في هذه الحالة سوف أنتهز فرصة وجوده في نادى محمد على وألطمه على وجهه وأعتبر الحادث منتهياً ! !»

وكان من الطبيعي أن ينزعج الأمير «عمر طوسون» من كلام حسنين الذى كان يحمل في طياته تهديداً ووعيداً وتنفيذ مايريده ، وكان لابد من حل لهذا المأزق الغريب ! !

يقول محمد التابعي في شهادته :

«اتصل الأمير عمر طوسون بالملك فاروق ورجاه أن يتوسط في الأمر ، ولكن «فاروق» أجابه بأن «حسنين» قد استقال من منصبه ولم يعد في خدمته(! !)

وكان فاروق يضحك ويريد أن يسخر من ابن عمه «محمد على توفيق» ثم يرى إلى أى مدى سوف يدفعه جبنه وخوفه ! !

وعندئذ اتصل «عمر طوسون» بالأمير «محمد على» وقال له :

«إن «حسنين» مصمم على مبارزتك ، وهو قد استقال من منصبه في السراى ، ولم يعد في خدمة الملك ، ولقد وسطت الملك ولكنه اعتذر عن الوساطة لهذا السبب» ! !

وهنا ركب الأمير «محمد على» سيارته وقصد إلى دار «حسنين» باشا وكان يسكن وقتئذ في مصر الجديدة . ودخل سموه على «حسنين» باشا يقول إنه جاء لكى يقدم اعتذاره . وقال «حسنين» :

ـ إن هذا لايكفي ! ! ويجب أن يذهب سموه ويقدم اعتذاره لجلالة الملكة نازلى مع التماسه مقابلتها ! !

ـ وخرج الأمير «محمد على» وذهب بسيارته إلى قصر القبة واستقبلته إحدى الوصيفات .. وقدم اعتذاره، ورجا من الوصيفة أن تبلغ اعتذاره هذا لجلالة الملكة نازلى مع التماسه مقابلتها.

وعادت الوصيفة تقول له: إن جلالة الملكة ترفض مقابلته!!

وازداد الأمير «محمد على» رعباً وخوفاً فعاد وزار «حسنين» مرة أخرى، وسأله أن يتوسط لدى الملكة «نازلى» لكى ترضى بمقابلته ولكنها أصرت على الرفض.

بعد ذلك تقابل الأمير محمد على مع الملكة نازلى عند الأميرة نعمت مختار .. وانتهزت «نازلى» الفرصة لكى تهزأ منه فقالت له:

ـ إن حسنين باشا ليس صاحبى كما تقول لا لأننى لا أريد أن أكون صاحبته بل لأنه هو الذى يرفض!!

وراح صاحب السمو الملكى يعتذر، ويعتذر وينحنى أمام الملكة نازلى ويردد عبارات الأسف والندم والاعتذار.

وكان من نتائج هذا الدرس الذى أعطاه إياه حسنين باشا أن مكث الأمير «محمد على» ستة أشهر لايفتح فمه بكلمة واحدة عن السراى ومايجرى فى السراى، بل عن أى شخص كبير أو صغير فى السراى!!

ومع أن الأمراء كانوا جميعاً يكرهون الأمير «محمد على» بسبب بخله الشديد وتزمته واستعلائه عليهم، إلا أن الأمير «عمر طوسون» انتهز مع ذلك أول فرصة تقابل فيها مع «حسنين» باشا ليقول له:

«إن الأمراء زعلانين.. إذ كيف يجرؤ مصرى على أن يطلب أميراً أو ولياً للعهد للمبارزة؟!!»

أما فاروق نفسه ـ كما يقول التابعى فإنه لم يذكر لـ حسنين شيئاً عن غضب وزعل الأمراء منه، وكان كل ماقاله له: ألا تعرف ياحسنين أن القانون يحمى ولى العهد وأن ذاته مصونة لا تمس؟!

وأجاب «حسنين»:

ـ أعرف هذا يا مولانا.. ولكن عندما يشتم ولى العهد الناس، فإنه بذلك يتنازل عن مركزه وحصانته ويصبح من حقى أن أرد عليه شتائمه، وأن أعامله كأى فرد مساوٍ لى فى الحقوق»..

✪✪✪

ويقول «أمين فهيم» السكرتير السابق للملك «فاروق»:

ـ «فى وقت من الأوقات كان للمرحوم أحمد حسنين حظوة لدى فاروق لم يتمتع بها أى إنسان غيره، إلى حد أن «فاروق» أمر بإعداد جناح بقصر القبة ليقيم به «أحمد حسنين»،

وكان ذلك أيضاً بإيحاء خفى من جانب الملكة الوالدة «نازلى»(!!) ولكن سرعان مابدأ خدم القصر يتهامسون عن تردد «نازلى» على جناح «حسنين»، وسرعان ما وصل تهامسهم إلى أذن الملك فاروق !!

وذات يوم وصل «حسنين» إلى قصر القبة وهو مرهق من عمل اليوم فى قصر عابدين، وما إن اقترب من باب جناحه حتى فوجىء بما لم يكن يتوقعه .. رأى ملابسه وكتبه مبعثرة بالردهة أمام باب حجرته ـ وكان موصداً ـ وإلى جانبها ثلاثة أجهزة تليفونية بأسلاكها مقطوعة !!

كان حسنين بطلاً عالمياً فى رياضة السلاح (الشيش) فكان من طبعه أن يتلقى الهزيمة بنفس الروح التى يتلقى بها النصر !

وأمام هذا المنظر، ابتسم حسنين ابتسامة مريرة، وانحنى يلتقط من الأرض كتبه الخاصة ووضعها تحت إبطه وانصرف فى هدوء، وذهب ليعتكف فى حلوان !!

وكانت الصدمة أشد وقعاً على «نازلى» ولم تتردد فى أن تتحدى ابنها «فاروق» فلم تنقطع عن زيارة «حسنين» فى حلوان، وقيل إنها عرضت عليه مبلغاً من المال عندما علمت بأنه امتنع عن تسلم مرتبه، وأبى حسنين فى كبرياء وعزة نفس !!

وربما لا يعرف الكثيرون أن أمين فهيم .. كان المصرى الوحيد الذى قرأ مذكرات الملك فاروق التى كتبها بعد خروجه من مصر، وحذف منها كل كلام فاروق عن «والدته وأحمد حسنين».

كان الصحفى الإنجليزى نورمان برايس قد نجح فى إقناع فاروق بذلك ثم طلب فاروق من سكرتيره أمين فهيم أن يقرأ ماكتبه، ويقول أمين فهيم :

ـ «وقعت عينى على عبارة تقول بلسان الملك : كنت أمشى فى ردهات قصر القبة ومسدسى فى يدى لعلى أعثر على أمى وأحمد حسنين معاً وأقتلهما.»

ويقول سكرتير الملك : «إنه وضع خطاً بالقلم الأحمر تحت العبارة السابقة وطلب من الملك ضرورة شطبها من المذكرات لأنه لايجوز أن يشهر أى إنسان بأمه مهما كانت على هذا النحو المشين» !!

✪✪✪

وقررت «نازلى» أن تغيظ ابنها الملك ومن قبله «حسنين» لعل وعسى !!

لعل فاروق يصدر أوامره إلى حسنين بأن يتزوج نازلى !!

وانطلقت نازلى.. تسهر، وتروح وتجىء، وتناست مكانها ومكانتها.. وحسب شهادة التابعى فقد وقع اختيارها على تشريفاتى بالقصر كان ملحقاً بحاشيتها !!

وبدأت الإشاعات والحكايات تخرج من القصر ودوائر القصر إلى الأندية والقصور !!

الملكة نازلى ماشية مع «ح» التشريفاتى !!

الملكة «نازلى» أمضت ليلة أمس فى الزمالك فى شقة فلان صديق «ح» الذى كان موجوداً.. إلى آخره!!

كان هدف نازلى الحقيقى من كل تلك المغامرات والمناورات الفاضحة هو إثارة «أحمد حسنين» لعله يثور أو يغضب .. أو .. أو.

لكن شيئاً من ذلك لم يحدث، بل عرف «حسنين» كيف يسكت ويصبر، بل ويبتسم رثاء لها إذا ما قابلها فى إحدى حفلات السراى!!

وكان فاروق ـ حسب كلام التابعى ـ هو الذى غضب وثار. وكان لسان حاله يقول، لم يبق إلا التشريفاتية وصغار الموظفين، تقرن أسماؤهم باسم أمه الملكة .. إلخ.

وتقابل فاروق ذات صباح مع التشريفاتى المذكور (ح) فى إحدى ردهات القصر، فاستوقفه ثم صاح فيه:

ـ حضرتك عامل إيه فى حواجبك؟! ناتف شعرها زى الستات؟! وكمان يظهر إنك بتحط بودرة وأحمر؟!

وأصدر الملك أمراً ملكياً بنقله إلى إحدى وظائف وزارة الخارجية، وخشى التشريفاتى عاقبة لهوه مع الملكة نازلى فانقطع عنها!!

ورأت الملكة نازلى أن فاروق يضيق الخناق عليها، وأن «حسنين» لايحس ولا يشعر بها، فقررت أن تسافر إلى أوربا!!

ونشرت الصحف فى أكتوبر عام ١٩٣٨ تحت عنوان «جلالة الملكة نازلى فى باريس» مايلي وبالحرف الواحد:

«قابلت الملكة نازلى بعد ظهر اليوم ـ ٤ أكتوبر ـ وزير إيران المفوض فى باريس وقد قدمه لجلالتها «محمود فخرى» باشا، وقد علمت أن من الأسباب الخاصة التى من أجلها مدت إقامتها فى باريس هو إعداد جهاز الأميرة فوزية!!»

ورغم انشغالها فى الإعداد لجهاز ابنتها، فقد كان قلب «نازلى» مشغولاً هو الآخر!!

✪✪✪

ولم تقف مغامرات «نازلى» عند هذا الحد!!

فى بودابست ـ المجر ـ بدأت الملكة «نازلى» مغامرة جديدة مثيرة!

كانت «نازلى» فى زيارة إلى «فيينا» و«بودابست»، وفى بودابست تعرفت الملكة إلى شاب جميل فى مقتبل العمر هو ابن الأميرال «هورنى» الوصى على عرش المجر!!

وطالت إقامة الملكة فى بودابست، بعد أن وجدت فيها الرجل الذى رضى أن يعاملها كامرأة من لحم ودم!!

وعندما عادت «نازلى» إلى مصر لم تكن بمفردها، بل لحق بها الشاب «هورنى» ونزل فى فندق شبرد!

ولم تعد لقاءات «نازلى» و«هورنى» خافية على أحد!!

كانت حكايتها مكشوفة وعلنية، ولم تحرص على إخفائها.. وكان الملك الشاب«فاروق» ابنها على رأس من عرفوا بتفاصيل هذه العلاقة، وكذلك «أحمد حسنين باشا»!! وفى سبيل وضع حد لهذه العلاقة بين جلالة الملكة و«هورنى» صاح فاروق: الحقونى بـ حسنين!!

وحسب رواية «محمد التابعى» فقد أصدر صاحب الجلالة أمره الملكى إلى «حسنين» «أن يشوف له طريقة مع جلالة الملكة «نازلى» ويضع حداً لحكايتها مع الشاب هورنى، لأن الحكاية أصبحت فضيحة مكشوفة» وصدع حسنين بالأمر .. ونزولاً على إرادة «مولانا»، ذهب حسنين واسترضى الملكة نازلى .. وتصالح معها.

وبعد أيام من عقد الصلح أحس الشاب «هورنى» ابن الوصى على عرش المجر أن بقاءه فى القاهرة أصبح أمراً غير مرغوب فيه من الملكة «نازلى» نفسها .. ومن سلطات مصر العليا، فغادر مصر عائداً إلى بلاده!!

واجتمع الشمل .. وكثرت الحفلات والسهرات التى كان يقيمها أصدقاء الملكة «نازلى» أو أصدقاء «حسنين» لكى يجتمع فيها الحبيبان «نازلى» و«أحمد حسنين»!!

ووصلت العلاقة بين فاروق وأمه إلى طريق مسدود تماماً!! وصرحت «نازلى» لزوجة السفير البريطانى «لورد كيلرن» بهذا التغيير واعترفت بأن وجود أحمد حسنين بجوار الملك كان عنصراً مهما فى تحسن العلاقة مع ابنها، لكن الحال لم يستمر طويلاً فقد كانت نازلى غير متحمسة تماماً لخطبة ابنتها من ابن شاه إيران!

وكان الملك فاروق متحمساً بلا حدود لزواج شقيقته الأميرة فوزية من إمبراطور إيران الشاه. كان هدف «فاروق» من زواج شقيقته فوزية بالشاه أن يعقد حلفا يضم إيران والبلاد العربية ويتزعمه «فاروق»، وكان الشاه يرى أنه فى حالة قيام هذا الحلف فإن الشاه هو من يصلح لزعامة هذا الحلف!!

كانت الملكة «نازلى» أول من اعترض على هذا «الزواج السياسى»، وبعد سنوات من بداية ونهاية هذا الزواج روت نازلى لـ مصطفى أمين أنها كانت تعتقد أن ابنتها فوزية.. ستكون شقية بهذا الزواج!

لكن الملك فاروق غضب وصاح فى الملكة «نازلى» : هذه هى مصلحة الدولة!!

واندهشت «نازلى» وقالت لابنها الملك : وماهى مصلحة الدولة هذه..؟!

قال «فاروق» بكل بساطة: أن أكون خليفة للمسلمين!!

وقالت «نازلى» للملك: إنها مصلحتك أنت، لا مصلحة الدولة!! إنك تضحى بأختك وترسلها إلى بلد كإيران لكى تضع على رأسك تاجاً أكبر من الذى تحمله الآن!!

ومضت نازلى تقول للملك - ابنها - فى صراحة مذهلة:

ـ إنك تكاد تسقط تاج مصر وحدها !! فماذا يحدث لك لو وضعت فوق هذا التاج خلافة المسلمين !!

وعلا صوت الملك وهو يقول لأمه غاضباً: اسكتى، أنت لاتفهمين فى السياسة.

قالت «نازلى» له: أنا أفهم فى العواطف .. وهذا هو الشىء الذى لاتفهم أنت فيه !! إننى أقول لك إن أى زواج يقوم على مصلحة سياسية لايمكن أن يعيش، وسترى !! إن قلبى يحدثنى بأن هذا الزواج لن يدوم !!

وأحرج الملك فاروق أمام كلام «نازلى» واستدعى شقيقته الأميرة فوزية وسألها أمام أمها عن رأيها فى أمر زواجها من الشاه !!

وخفضت «فوزية» رأسها وقالت لشقيقها إنها تفضل مايأمر به الملك !!

ابتسم الملك ونظر ناحية أمه الملكة وقال: «إذن يتم الزواج !! »

وتم الزواج على الرغم من أن الملكة «نازلى» كانت تؤكد أنه لن يدوم !!

وعندما حدث الطلاق وجرى ماجرى بدأ كل طرف يشكو الطرف الآخر، وكانت الملكة نازلى هى الحاضرة الغائبة فى كل الأحوال !!

كان شاه إيران يشكو للسفير المصرى فى إيران «عبد الفتاح عسل» تصرفات حماته الملكة نازلى. وكان مما قاله:

«بدأت «فوزية» حياتها الزوجية بأزمة عنيفة بسبب والدتها الملكة «نازلى» فقد غضب والدى ـ والد الشاه ـ لأن نازلى أقامت حفلة استعراضية فى طهران وشاركت فيها» !!

وفى مرة أخرى جاءت والدة الشاه تشكو لابنها الشاه من أن الملكة «نازلى» كانت تسىء معاملتها أثناء زيارتها لطهران وتنتقد كل شىء فى القصر .. كل شىء لايعجبها .. وكانت تتكلم عن الإيرانيين كأنهم شعب متأخر لايستحق الاحترام!

ولم تنته كل هذه الأزمات إلا بعد مغادرة «نازلى» طهران وعودتها إلى القاهرة، وكان أول ماقالته نازلى بعد عودتها: لقد تركت ابنتى فى مأساة !!

وكان تعليق «مصطفى النحاس» على خطبة ولى عهد إيران من الأميرة «فوزية» هو قوله حسب ماجاء فى مذكراته:

«سمعت من بعض المتصلين بالقصر الملكى أن ولى عهد إيران «شاهبور» قد خطب الأميرة فوزية أخت الملك «فاروق» وأن أمها «نازلى» تعارض هذه الخطبة. ولكن شقيقها «فاروق» يتحمس لها وأنها فى طريق الإعلان! ولو كنا فى بلد دستورى حقاً يعرف فيها الملك حدوده لاستشار حكومته قبل أن يبت فى هذا الزواج الذى يعتبر سياسياً أكثر منه عائلياً !!

ولكننا تعودنا منذ حياة «فؤاد» (الملك) أن نعرف أنباء القصر وأسراره من الأفواه».

ومما كتبه «النحاس باشا» أيضاً فى مذكراته:

«قيل فى الأوساط الخاصة إن الملك قبل هذه المصاهرة طمعاً فى أن يساعده شاه إيران على أن ينادى به «أمير المؤمنين» وحامى حمى الإسلام».

هروب نازلي وبناتها إلى القدس

.. وتزوجت «نازلى» من «أحمد حسنين» ! !

الحقيقة المؤكدة أن الزواج تم بين «نازلى» و«حسنين». أما غير المؤكد تماماً فهو توقيت ذلك الزواج؟ !

هناك ثلاث روايات عن توقيت زواج نازلى.. حسنين ! !

هناك رواية «مصطفى أمين التى يؤكد فيها أن الزواج تم فى عام ١٩٣٧.

وهناك رواية «مصطفى النحاس» بأن الزواج تم فى عام ١٩٤٠.

وأخيراً رواية «محمد التابعى» التى يؤكد فيها أن الزواج تم عام ١٩٤٣ بعد عودة نازلى من القدس ! !

وكما أصبح تاريخ وزمن زواج «نازلى» و«حسنين» لغزاً، حدث نفس الشىء بالنسبة لشهود الزواج نفسه ! !

يؤكد «مصطفى أمين» أن الشيخ مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر قام بعقد الزواج. وكان شاهدا العقد «أحمد لطفى السيد باشا» و«جعفر والى» الوزيرين السابقين ! !

ويؤكد «محمد التابعى» : كان أحد شهود عقد الزواج المرحوم «سليمان نجيب» مدير دار الأوبرا وكان حسنين يثق كل الثقة فى حذره وكتمانه، ومثله الملك فاروق، ولقد حاولت أن أعرف اسم الشاهد أو الشهود الآخرين، وكذلك اسم المحامى الشرعى الذى عقد هذا الزواج العرفى فلم أوفق، وربما كان الشاهد الآخر هو مراد محسن باشا ناظر الخاصة الملكية، أو لعله كان أحد خدم فاروق المقربين، ربما ولكنى لا أستطيع أن أقطع بقول» !

ووسط هذه الألغاز المحيرة كلها، تبقى الحقيقة المؤكدة وهى الزواج العرفى السرى بين نازلى وحسنين ! ! ولعل المثير بل الأكثر إثارة هو تلك التفاصيل التى سبقت الزواج ! !

لم يعد غرام «نازلى» و«حسنين» خافياً على أحد داخل أو خارج القصر ! !

وكان فى مقدمة من يعلم بهذه القصة «الملك فاروق» نفسه ! !

وذات يوم - وكان ذلك عام ١٩٣٩ - تلقى الملك فاروق تقريراً سرياً وهاماً جاء فيه أن جلالة الملكة «نازلى» تسهر كل ليلة حتى الصباح عند أحمد حسنين ! !

وقرر الملك أن يضبطهما معاً متلبسين، وأخذ معه خادمه الأرناءوطى «محمد عبد الله» وذهب إلى بيت «حسنين» وترك سيارته بعيداً ! !

ودخل الملك البيت من أحد النوافذ وعرف أن الملكة وحسنين فى الدور العلوى.. واعتقد أنهما فى حجرة النوم!! وصعد الملك السلم على أطراف أصابعه.. وهو يضع دائماً فى قدميه حذاء ذا نعل من «الكاوتش» لا يحدث صوتاً.. وتسلل إلى غرفة النوم.. وفتح بابها فوجدها خالية.. وفتح الغرفة التى بجوارها فرأى منظراً أذهله!!

رأى «حسنين» باشا جالساً على الأرض وأمامه الملكة «نازلى» كما تجلس التلميذة أمام أستاذها. وكان حسنين» يتلو عليها آى الذكر الحكيم من مصحف بين يديه!!

وذهل الملك من هول المفاجأة.. فلم يجد شيئاً يقوله!!

وأغلق عليها الباب وغادر الدار!!

لم يسكت الملك فاروق بل راح يروى قصة ما رآه لكل من يقابله!!

وعندما استمع «مراد محسن باشا» ناظر الخاصة الملكية إلى هذه القصة من الملك فاروق قال معلقاً: ازداد اعتقادى بأن هذا الرجل - حسنين - بهلوان!! وإلا فكيف استطاع أن يمثل دور الرجل الصوفى المتدين مع الملكة نازلى.. وأن يحملها على الجلوس أمامه تصغى إلى تلاوته للقرآن وهى التى لاتكاد تجلس فى مكان ما دقائق معدودات حتى تهب واقفة وهى تصيح:

- «أنا أختنق هنا.. تعالوا نبحث عن سهرة نرقص فيها».. إن جلالة الملك - والكلام لناظر الخاصة الملكية - يعتقد أن حسنين هو الرجل الوحيد الذى تخافه الملكة وتطيعه.. وهو الرجل الوحيد القادر على ترويض الملكة باعتباره مروض وحوش أو أنه إذا خرج «حسنين» من القصر فإن الملكة سوف تنفجر وتترك هى أيضاً السراى و«تمشى على حل شعرها». وفى مذكرات الزعيم «مصطفى النحاس» إشارة إلى واقعة «حسنين» و«نازلى» وكيف ضبطهما «فاروق» وكان حسنين يقرأ لها القرآن الكريم.

قال «مصطفى النحاس» باشا فى مذكراته:

«انتشرت الشائعات بأن الملك غضبان لأنه علم أن لأمه «صلة» بأحمد حسنين، وأنها تزوره فى منزله بين الوقت والآخر وأنه وضع رقابة شديدة عليها، ولما علم ذات ليلة أنها هناك قصد من فوره إلى دار «حسنين» ودخل بغير استئذان وفتح حجرة الصالون فرأى أمه جالسة على سجادة وفى يدها مصحف تقرأ فيه، وحسنين يجلس إلى جانبها!!

وبهتت الملكة ونظرت إلى ولدها فى غضب شديد وقالت له:

- أتتجسس على، وهل تظننى إحدى صاحباتك أو أحد رعاياك؟!

فقال لها: ما هذا الذى أراه؟!

قالت: ترى؟! ماذا ترى؟! سيدة جالسة على سجادة الصلاة تؤدى فرض الله وإلى جانبها زوجها!!

فصعق الملك من هذا الخبر وقال لها : زوجك ؟ ! ! ومتى تزوجت ؟ !

قالت : ما شأنك ؟ !

ـ فنظر إلى «حسنين» وسأله فقال له : إننا متزوجان زواجاً عرفياً على كتاب الله وسنة رسوله، ولكننا كتمناه حتى لانسيء إليك ولا نشمت فيك الخصوم والأعداء ! !

فخرج فاروق مطأطىء الرأس مسرع الخطى وترك أمه فى بيت «حسنين» !

ويقول «مصطفى النحاس» معلقاً على ماسمعه :

«لم أعلق على هذا النبأ إلا متمثلاً قول الشاعر العربى «إذا كان رب البيت بالدف» وليس عجيباً أن تقول الشائعات أيضاً إن الأميرات كل واحدة منهن مشغولة بسهراتها». ولم تتوقف دهشة النحاس باشا عند هذا الحد ! !

كانت «شائعة زواج نازلى وحسنين هى المسيطرة على تفكيره ومذكراته أيضاً . .

وكتب النحاس يقول بتاريخ ١٥ سبتمبر ١٩٤٠ .. أخبرنى حمدى سيف النصر أن «راسبوتين مصر» الشيخ المراغى كان فى زيارته وجرى الحديث بينهما حول شائعة زواج الملكة نازلى من أحمد حسنين فقال : إن الملك سأله عن الزواج العرفى ؟ !

فقال المراغى إنه مباح وإنه لايخالف الشرع ونصح الملك «ألا يتصرف تصرفاً يوخذ عليه فى هذا الخصوص لأن الملكة « أمه » وسوء سمعتها يؤثر على مركزه، وأحمد حسنين رجله وهمزة الوصل بينه وبين الإنجليز، والإساءة إليه وإغضابه خسارة كبيرة ! ! وأن الملك عندما سمع هذه النصيحة صمت ولم يرد !

وقال حمدى (للنحاس) إنه ناقش المراغى فى أن هذا حكم شرعى صحيح ؟ ! فأجابه بنعم. وأخذ يشرح له الزواج العرفى، وأن الأصل فيه الإيجاب والقبول والمهر، أما الوثائق التى يحررها المأذون فهى لحفظ الحق المدنى فقط، وأن عدم وجودها لا يحرم الزواج مادام الزوجان بالغين عاقلين يملكان التصرف، ومادام أن شاهدين شهدا على هذا الزواج وقالا إنهما حضرا العقد.

بل لقد قال المراغى له إن بعض المذاهب الإسلامية تكتفى فى الزواج بالإيجاب والقبول دون الحاجة إلى شهادة شهود، وعقب على هذا فقال :

ـ ومادامت الملكة نازلى بالغة رشيدة، وحسنين باشا رجلاً رشيداً وقد قالا إن شاهدين حضرا العقد فلا يوجد مانع شرعى يمنع هذا الزواج. وأن الملك سُر من نصيحته، وهدأت ثائرته بعض الشىء. إذن لم يعد أمر زواج الملكة نازلى من حسنين شائعة بل حقيقة واقعة ومؤكدة بـلسان «المراغى» نفسه شيخ الأزهر فى ذلك الوقت !

لكن دهشة النحاس باشا كانت شديدة ومتزايدة، وبعد عدة أيام وبينما كان النحاس يتأهب للصعود إلى الطابق العلوى فى منزله استعداداً للنوم جاء الخادم يخبره بأن شخصاً لم

يفصح عن اسمه يطلب مقابلته، ويقول إنه جار من جيرانه، وكان ذلك مساء ٢ أكتوبر ١٩٤٠. وهكذا وجد النحاس نفسه مرة أخرى يعود أدراجه لمقابلة هذا الجار والذى لم يكن سوى «مراد محسن باشا» ناظر الخاصة الملكية!!

عن هذه الزيارة ومادار فيها كتب «النحاس» فى مذكراته يقول:

«قصدت إلى الصالون فرأيت «مراد محسن باشا» ناظر الخاصة الملكية فتعانقنا وقال إنه آسف على الحضور فى ساعة متأخرة وإن عذره معروف لأنه لايحب أن يراه أحد عندى (عند النحاس) فيشى به عند الملك!!

ثم اعتذر (مراد محسن) لى عن أنه لم يأت قبل هذا للسلام علىّ بمناسبة عودتى من المصيف لأنه كان يجد المنزل غاصاً بالزائرين لوقت متأخر.

فشكرته على هذه الزيارة ثم دار الحديث عن فاروق ومباذله وعن العبث الذى يرتكبه كل ليلة!!

ثم سألته عن شائعة زواج الملكة نازلى «بأحمد حسنين» فقال إنها صحيحة وإن موظفى القصر جميعا يعرفون هذا وإنها هى شخصياً - أى نازلى - تجاهر بها، وإنها لاتكتفى بهذا بل لقد ضمت إلى حاشيتها عدداً من الشبان من أبناء الطبقة الراقية كما يطلقون على أنفسهم، وإن الوصيفات والموظفين يتحدثون عن فضائح مشينة تقع وإنها لاتعود إلى القصر إلا فى ساعة متأخرة من الليل وكثيراً مايكون بصحبتها أحد شبان التشريفات الذين اختارتهم بنفسها!!

وقد سمعت من مراد محسن أن شقيقها «حسين» تحدث معها حول هذا الموضوع من بعيد فثارت فى وجهه وقالت: «أنا حرة فى تصرفاتى وليس لأحد منكم أن يخاطبنى فى هذا الشأن»!!

واحتدت نازلى على أخيها وقالت له كلمات نابية عرضت ببعض بناته وبشقيقه «شريف» باشا وهددته بالمقاطعة التامة.

وقال مراد باشا: «إن أمثالنا من الرجال الطاعنين فى السن أصبحوا لا يحتملون مثل هذه المناظر المؤذية، وإننى أفكر جيداً فى اعتزال العمل والبقاء فى منزلى بعيداً عن هذا المشاكل المؤلمة!!»

ومضى النحاس باشا يقول فى مذكراته بعد كل ماسمعه من ناظر الخاصة الملكية مراد محسن باشا فأضاف: إن الملكة نازلى ليست فتاة طائشة بل هى امرأة كبيرة وهى ملكة وأم ملك أفلا يجوز أن هذه الشائعات مبالغ فيها؟!

فقال: لا.. إنها قليلة بالنسبة لما يقع!!

فأجبته:

- إن العيب ليس عيبها بل عيب ابنها لأنه بفجوره ومجونه فتح لها الباب على مصراعيه ! !

فقال مراد محسن إن الملك يقول لخاصته : إن ماجره إلى هذه الأعمال التى يرتكبها كل ليلة هو تصرف أمه المشين وأنه يئس من إصلاحها فألقى بنفسه فى أحضان النساء وموائد القمار ، ولسنا نعرف أيهما على حق وأيهما على باطل ، فقد اختلط الحابل بالنابل ، وأصبحت المسائل لاتحتمل ولا تطاق ، وأصارحك أن الملك «فؤاد» كان حاكم زوجته وصائنها عن هذا العبث ، أما ابنه - فاروق - فهو ولد طائش وشاب مفتون مخدوع ومن حوله من الطليان والمصريين وشويكار يزينون له عمله ويشجعونه على فسوقه ، وإننى أعتقد أن شويكار تنتقم لنفسها من ابن الزوج الذى طلقها ، ومن أمه التى تزوجها عليها ! ! يقول النحاس : لم أعلق على هذا بشىء إلا أننى أسفت وقلت لمراد باشا :

هذه أسرار القصور. والحمد لله الذى لم يجعلنا من أبناء القصور ، ولا من أبناء الأعيان والذوات بل جعلنا من أبناء الشعب المكافحين ! !

ثم نصحت له بخصوص اعتزاله العمل أن ينتظر . خاصة وأنه قارب سن الإحالة إلى المعاش فلا داعى لأن يعرض نفسه لسفاهة ولد مثل فاروق أو حاشيته !

فقال : «لك حق وسأظل فى مكانى على مضض حتى ينتهى الأمر» كان الكل غاضباً ويشتعل غضباً من تصرفات فاروق وأمه الملكة نازلى ! !

وكان غضب فاروق من أمه يتزايد يوماً بعد يوم ، وفى نفس الوقت كانت «نازلى» غاضبة من ابنها فاروق ! !

وفجأة .. وبدون مقدمات سافرت الملكة «نازلى» إلى فلسطين ! !

كان سفر الملكة فى ذلك الوقت - ديسمبر ١٩٤٢ - مفاجئاً وغريباً وباعثاً على الدهشة ! !

وكانت السطور القليلة التى نشرتها الصحف وقتها مما زاد من دهشة الناس لسفر الملكة ومعها بناتها الأميرات إلى القدس بالقطار ! !

كان الخبر المنشور وقتها كما يلى : «سافرت صاحبة الجلالة الملكة نازلى وصاحبات السمو الملكى الأميرات أمس الأول - ١١ ديسمبر ١٩٤٢ - بقطار الظهر إلى فلسطين لقضاء بضعة أيام للتريض(! ! !)

أعاد الله جلالتها وصاحبات السمو الأميرات فى سابغ من الصحة وموفور من العافية ..

انتهى الخبر ! ! ومضت الأيام ولم تعد نازلى وبناتها كما قالت الصحف ؟ !

وطالت غيبة نازلى وبناتها وبدأ الهمس والغمز واللمز والقيل والقال حول ما يحدث من نازلى وبناتها فى القدس ! !

ولم يكن صحيحاً ماقيل وقتها إن «نازلى» سافرت «للتريض» أو الفسحة أو حتى لتغيير الجو!!

كانت رائحة الحرب العالمية الثانية قد طالت «القدس» مثلما طالت عواصم الدنيا الكبرى وامتلات القدس بجنود وضابط إنجليز وكان لسان حالهم يقول «كثير من الحرب، قليل من اللهو!! وكانت نازلى وبناتها يرفعن شعار: بل كثير من اللهو»!!

وكتب «مصطفى النحاس» فى مذكراته يروى ملابسات ذهابه إلى القدس لإقناع الملكة نازلى بضرورة عودتها إلى مصر فقال:

«كان الصيف قد مضى ودخلنا فى الخريف، وكانت أخبار «روميل» فى الصحراء تشغل بال الجميع، ودعوت مجلس الوزراء للاجتماع حتى ننتهى من جدول أعمال مشحون بالمسائل. وإذا «بحسنين» باشا رئيس الديوان يطلبنى فى التليفون قائلاً: إنه يريد أن يقابلنى الآن فى مسألة خطيرة جداً !!

قلت (أى النحاس): تفضل !!

وحضر حسنين وعلى وجهه علامات غير عادية: وفى عينيه نظرات مضطربة واختليت به فقال: إن جلالة الملك يقصدك فى أمر خطير عاجل لايستطيع أحد أن يقضيه سواك!!

قلت: خير!!

قال حسنين: تعلم أن جلالة الملكة نازلى سافرت مع الأميرات إلى القدس للفسحة وتغيير الهواء بعيداً عن «الغارات» وقد طال مكوثها هناك، فكلمها جلالته فى العودة فأبت!!

وقالت الملكة له (للملك): إنك كرّهتنى فى مصر، وسأرحل إلى بلدى ولن أحضر إليها ثانية، لا أنا ولا الأميرات وسنتركها لك وحدك!!

ومضى «حسنين» يقول «للنحاس» باشا وحسب ماجاء فى المذكرات:

«وقد فكرنا - أى الملك وحسنين - مَن الذى يستطيع أن يؤثر عليها فلا ترفض رجاءه، فلم نجد سواك، ذلك لأنها أكثر من مرة وفى أكثر من مناسبة قالت إنها تجلك كثيراً وتحترمك كثيراً لأنك رجل واضح وصريح ووطنى مخلص!!

فكلفنى جلالة الملك أن أترك إليك أمر السفر إلى القدس ومقابلة الملكة لتقنعها بالعودة إلى مصر لأننا نخشى إذا طالت مدة إقامتها هناك أكثر من ذلك أو رحلت إلى بلد آخر غير مصر، أن يتخذ خصوم الملك وخصوم البلد الفرصة فيطلقوا ألسنتهم بالشائعات والاختلاقات. ثم أردف حسنين:

«وإننى شخصياً أضم رجائى إلى رجاء جلالته وأرجو أن تقدم هذه الخدمة»!!

كانت المفاجأة مذهلة وشديدة الوقع على النحاس باشا، ويقول فى مذكراته:

- وجمت عند سماع هذا الحديث وقالت لحسنين باشا:

إن الحالة خطيرة، وأخشى أن تقع مفاجأة غير منتظرة إذا تركت البلد فى هذه الظروف !!

قال حسنين:

- إنها رحلة لن تتجاوز بضعة أيام وكأنك فى الإسكندرية، وإذا جد مايستوجب عودتك تستطيع أن تعود بعد ساعات، وتكون قد قدمت خدمة كبرى!

قلت له: سأفكر وأرد عليك غداً!!

قال: أرجو ألا يطول تفكيرك وأن يكون الجواب بالإيجاب!!

قلت: إنشاء الله!!

وبعد أن انصرف حسنين من عند مصطفى النحاس قام النحاس باستشارة زملائه فأشاروا بأن يستجيب لهذه الرجاء واقترحوا على النحاس باشا أن يصحب معه السيدة حرمه لأن للسيدات أحاديثهن الخاصة»!!

ومضى مصطفى النحاس يقول فى مذكراته: «واتصلت برئيس الديوان - حسنين باشا - فى صباح الغد وأخبرته أننى سأسافر ومعى حرمي لمقابلة الملكة»!!

قال حسنين: أحسنت بمصاحبة السيدة.. لأن هذا يسهل المهمة.. وسافرت واصطحبت معى تشريفاتى الرياسة ومدير الصحافة، ووصلت إلى القدس، ونزلت فى فندق الملك داوود قريباً من جناح الملكة، وعلمت بوصولى فأرسلت تهنئنى بالسلامة واستقبلتنى أنا وحرمى وحدثتها فى الغرض الذى جئت من أجله فقالت بتأثر:

- إنك تحرجنى، فقد نويت ألا أعود إلى مصر.. فولدى الوحيد الذى كنت أرجوه، فى الدنيا واقع تحت تأثير شويكار.. و«على ماهر» و«المراغى» وغيرهم ولابد أنك سمعت وعرفت كثيراً من أشياء فلا داعى لذكرها ثانية، ولكن مجيئك والسيدة حرمك إلى القدس فى هذه الظروف من أجلى أضعف إصرارى، و ثبط من عزمى، فأنا لا أستطيع أن أرفض لك ولا للسيدة طلباً!!

ونادت (الملكة نازلى) الأميرات وقالت لهن:

- إن الباشا والهانم حضرا من مصر خصيصاً لكى يقنعانى بأن أعود إلى مصر وأنا لا أستطيع أن أرد لهما طلباً!!

وقالت (للنحاس): امكث معنا عدة أيام تتفرج فيها على المدينة وتستريح ونكون قد حددنا لك الموعد الذى نعود فيه إلى مصر.. وقضيت بضعة أيام تجولنا فيها فى المدينة وشاهدنا معالمها وآثارها وزرنا ثالث الحرمين، وصليت فيه ودعوت الله أن ينجى مصر وجميع الناس من ويلات الحرب. وعدت مسروراً مستريحاً لأننى وفقت فى المهمة التى سافرت من أجلها. ولم أكد أستأنف العمل حتى جاءنى مدير القسم السياسى وقدم لى تقريراً بأن المعارضة تشيع فى طول البلاد وعرضها أننى سافرت إلى القدس لتشترى زوجتى ذهباً من

هناك، وأنها استغلت مركزى وساومت حتى حصلت على مجوهرات وهدايا قيمة يبلغ ثمنها ألوف الجنيهات (!!)

وجاء سكرتير مجلس الوزراء ومدير الصحافة وطلبا أن ينشرا بيانا فى الصحف يكذب هذه الشائعات ويخرس الألسنة، فرفضت وظل هذا الخبر سراً مكتوماً.

وعادت الملكة والأميرات إلى مصر بعد عدة أيام..

انتهى ماكتبه النحاس عن وساطته لعودة نازلى !!

ربما عن عمد أو عن سهو لم يذكر «النحاس» باشا الكثير من التفاصيل الهامة !!

لم يعلق النحاس على السبب الذى ساقته «نازلى» لعدم عودتها إلى مصر وهو أن ابنها «الوحيد» الذى كنت أرجوه من الدنيا واقع تحت تأثير «شويكار» و«على ماهر» و«المراغى» !!

سافرت «نازلى» غاضبة وثائرة وهائجة وحائرة من سلوك وتصرفات شخص واحد فقط اسمه أحمد حسنين !!

وطالت غيبة «نازلى» عن مصر التى كانت قد غادرتها أواخر عام ١٩٤٢ . ويقول الكاتب الصحفى «ناصر الدين النشاشيبى» نقلا عن موظفة التليفون فى فندق الملك داود»:

إن «الملكة نازلى تلعب قماراً مع المحامى اليهودى «ليفشتز» حتى الساعة السادسة صباحاً.. ومرافق الأميرة «فايزة» الإنجليزى الشاب قد وقع فى غرام الأميرة ووقعت الأميرة المصرية الحلوة فى هوى المرافق» !

ويقول «صلاح الشاهد» مدير المراسم برئاسة مجلس الوزراء: إنه «نمى إلى علم الملك فاروق بعض التصرفات غير اللائقة بها» !

وقيل إن المخابرات البريطانية قامت بتنظيم حفلة راقصة كانت نجمتها «نازلى» التى رقصت بحرارة زائدة مع الضباط، وقامت الوكالة اليهودية والمخابرات البريطانية بتصويرها وأرسلت هذه الصور عن طريق وسيط إلى مصر ووصلت للملك فاروق !! كما وصلت أيضاً إلى أحمد حسنين !!

وكانت كارثة على كافة المستويات !!

وحسب شهادة «على سلامة» - أحد الرموز الوفدية القديمة - فإن «الملكة نازلى أثناء رحلة القدس كانت قد أتت من التصرفات والأفعال ماينذى له الجبين ومالا يتفق ومكانتها مما أساء إليها وإلى ابنها وإلى أسرتها بل وإلى مصر وشعب مصر، الأمر الذى أثار عليها سخطاً عارماً على الألسنة !!

وعبثاً حاول ابنها فاروق إقناعها بالعودة إلى مصر، واضطر آخر الأمر أن يلجأ إلى النحاس باشا طالباً مساعدته فى إقناع الملكة الأم بالعودة إلى مصر لأنه يعلم علم اليقين أنها

لن تستجيب إلا لنداء رفعته، لما تكن له من احترام وود وتقدير كبير لموقفه من الأمير «محمد علي» لعدم موافقته على مد فترة الوصاية على الملك حتى بلوغ الملك سن ٢١ سنة!

وسافر الزعيم وحرمه - السيدة زينب الوكيل - إلى القدس وتم اللقاء بين الزعيم وحرمه والملكة نازلى واستطاع الزعيم أن يحصل على موافقة الملكة الأم بالعودة إلى مصر مشترطة أن يكون الملك فى استقبالها على محطة الوصول، فوعدها النحاس بتحقيق ذلك قائلاً: سيكون ذلك دون طلب منك، إنه ابنك ومحال أن يكون له موقف غير ذلك!!

قالت الملكة: أنا عارفاه لن يوافق!

رد النحاس قائلاً: «إذا لم يوافق فسأتصل بك وستكونين فى حل من وعدك لى بالعودة» وتم الاتفاق على ذلك، وعاد النحاس وحرمه إلى مصر ونقل الصورة كاملة إلى الملك، وأعلن الملك غضبه ورفضه بشدة لطلب الملكة وأن يكون فى استقبالها، وعبثا حاول الزعيم إقناع الملك بتنفيذ رغبة والدته، وأصر الملك على الرفض مما اضطر النحاس باشا أن يقول له غاضباً: أنا سأتصل بها لتكون في حل من وعدها لى بالعودة!

وهنا أسقط فى يد الملك وأعلن موافقته وتحقق للملكة ما أرادت واستقبلت استقبالا رسمياً وكان ابنها الملك فاروق فى مقدمة كبار مستقبليها من رجال حاشيته والوزراء!!

ويتفق «صلاح الشاهد» فى روايته مع نفس الرواية السابقة تقريباً!

إن رواية «على سلامة» و«صلاح الشاهد» تخلوان تماماً من اسم «حسنين» وهو بشهادة النحاس باشا نفسه الذى ذهب للنحاس موفداً من قبل الملك للقيام بهذه المهمة!!

كما أن شهادة النحاس تخلو تماماً من السبب الحقيقى الذى سافر من أجله لإقناع نازلى بالحضور وهو حماقاتها وسلوكها الذى أثار غضب الجميع!!

لكن السؤال الذى يفرض نفسه ويبحث عن إجابة هو:

لماذا لم يسافر «أحمد حسنين» بنفسه لهذه المهمة وهو الأقرب إلى نازلى؟!

فى كل حماقة أو مغامرة عاطفية دخلتها «نازلى» كان ابنها الشاب الملك فاروق يصرخ «الحقونى بحسنين»!!

وكان حسنين فى الخدمة دائماً!! إلا هذه المرة بالتحديد!!

وعندما سافرت «نازلى» إلى القدس وطالت غيبتها استدعى «فاروق» رئيس الديوان «حسنين» وطلب منه أن يسافر إلى القدس ويعود ومعه الملكة لكن حسنين رفض!!

وعندما ذهب «حسنين» إلى النحاس باشا ليقوم بهذه المهمة الغريبة، لا أحد يعرف - غير مانشره النحاس.. ماذا جرى بالضبط من كلام وحديث بين «حسنين» والنحاس».

ونقترب الآن من شهادة «محمد التابعى» فى محاولة لمعرفة أسرار ماجرى بالضبط. وكان «حسنين» قد بدأ مغامرته الكبرى مع الفنانة «أسمهان»، لكنها سرعان ما تركت مصر وسافرت إلى القدس!!

وفى نفس الوقت كان «لحسنين» عدة مغامرات ونزوات وجد فيها الملك مادة يتشفى بها من أمه الملكة، وفاض الكأس بنازلى فسافرت غاضبة إلى فلسطين وأقامت فى القدس بفندق الملك داوود وكان هذا أواخر عام ١٩٤٢.

ويقول «محمد التابعى»: طالت غيبتها (نازلى) عن مصر، وبدأت الأخبار ترد إلى القصر، وكيف أن صاحبة الجلالة نازلى ملكة مصر أمضت السهرة فى رقص متواصل مع بعض الضباط الإنجليز.. وكنا فى زمن الحرب وكانت القدس مملوءة بالضباط الشبان الإنجليز!!

ومرة أخرى لجأ فاروق إلى حسنين وطلب منه أن ينقذ الموقف وأن يسافر إلى القدس ويعود ومعه الملكة نازلى، ولكن حسنين رفض هذه المرة أن يلبى نداء «مولاه» وينقذ الموقف، واعتذر عن السفر بأسباب شتى لم يكن من بينها السبب الصحيح. وكان السبب الصحيح لامتناعه عن السفر إلى القدس هو خوفه من أن يقابل «أسمهان» فى فندق الملك داود..

وكانت أسمهان قد عادت إلى زوجها حسن الأطرش وعقد قران الاثنين فى أغسطس ١٩٤١، وكانت أسمهان تضيق بالحياة مع زوجها ومن ثم كانت تقوم برحلات عديدة فى كل شهر تقريباً إلى القدس وبيروت، وخصوصاً القدس وكانت تختار الإقامة بفندق داود.. وكان حسنين يعرف هذا ومن هنا اعتذر!! وإلا فماذا يكون الموقف؟! أو ماذا يكون موقفه؟! وماذا يفعل إذا التقى بأسمهان؟! هل يتجاهلها؟! أو يحييها كما يجب أن يحيى الصديق صديقه؟! وماذا يكون موقفه إذا وجد نفسه فى إحدى قاعات الفندق أو فى قاعة الرقص مع «نازلى» ملكة مصر، وأسمهان أميرة جبل الدروز؟!

وكانت «أسمهان» ـ مازالت الشهادة للتابعى ـ إذا دار الشراب برأسها قادرة على عمل كل شىء.. جسورة جريئة لاتهاب أحداً ولا تبالى بشىء!!

وكان «حسنين» يعرف هذا، ومن هنا رفض أن يسافر لأنه خاف أن تنتهز «أسمهان» فرصة وجوده ووجود الملكة «نازلى» لكى تفتح محضر تحقيق مع «نازلى»، وتظهر الحقيقة ويقع «حسنين» بين مطرقة الملكة «نازلى» وسندان «أسمهان»!!

وهكذا اعتذر حسنين.. ولكنه اقترح على الملك فاروق أن يعهد بهذه المهمة إلى رفعة رئيس الوزراء مصطفى النحاس باشا».. وقال.. إن رفعته هو خير من يصلح للقيام بهذه المهمة لأن جلالة الملكة «نازلى» وفدية (هكذا) مثل المرحوم والدها «عبد الرحيم صبرى باشا» الذى كان من أخلص الوفديين وأصدقهم تأييداً للزعيم سعد زغلول.. ولأنها تحترم النحاس باشا وتكن له صداقة أكيدة.. ومن هنا لن ترفض لرفعته طلباً أو مشورة!!

وفوتح «مصطفى النحاس باشا» فى الأمر، وسُر سروراً كبيراً وقال: إنه يعد هذا التكليف من جانب الفاروق شرفاً وثقة يعتز بهما مدى الحياة!

وسافر «مصطفى النحاس» ومعه السيدة حرمه إلى القدس، ونجح في مهمته ، واستجابت الملكة «نازلى» فعلا لرجائه وعادت إلى مصر !! عادت ولكن على شرط .. ولا أعرف ما إذا كانت «نازلى» قد فاتحت النحاس باشا في موضوع «شرطها» هذا أو لم تفاتحة.. ولكنى - أى التابعي - أعرف أنها لم تكد تعود إلى مصر حتى فاتحت ابنها الملك فاروق في أمر زواجها برئيس ديوانه «أحمد حسنين» وطلبت منه أن يصدر أمره إلى حسنين بأن يتزوجها !!

ولم يشأ فاروق أن يتقهقر أمام أمه نازلى أو يسلم لها بطلبها دون قيد أو شرط لأنه وافق ولكن بشرط، وهذا الشرط أن تكتفى نازلى بعقد زواج عرفى !!.

وما كان يخشاه «حسنين» وقع بالفعل !! ففى فندق الملك داوود «تقابلت» الملكة نازلي و«اسمهان» !! كانت كل منهما تريد «حسنين» وحدها !! وكان «حسنين» موجوداً في القاهرة. لكن السؤال المهم، ليس ماذا جرى بين الملكة والمطربة !!

لكن السؤال: متى وكيف بدأت علاقة حسنين عاشق نازلى وزوجها بالفنانة أسمهان ؟!

نازلى وأسمهان.. والغيرة القاتلة

كانت أسمهان ـ بغير مبالغة ـ هى الضوء المسموع : والصوت المرئى !

كان صوتها ـ والتعبير لـ بشارة الخورى « الأخطل الصغير » وتراً من قيثارة ! !

كانت أسمهان ـ والوصف لـ مصطفى أمين ـ امرأة فاتنة فوق أنها مطربة عظيمة. كانت تنبض بالجمال، وكانت تمشى وكأنها تطير، وتتحدث وكأنها تغنى !

وأسمهان التى عرفها .. محمد التابعى وهام بها وكتب عنها أجمل وأوفى كتاب قال : «كانت جذابة، وكانت فيها أنوثة ولكن عينيها، كانتا كل شىء ! فى عينيها كان الجمال والعجب، لونهما أخضر داكن مشوب بزرقة تحميهما أهداب طويلة تكاد من فرط طولها أن تشتبك، وكانت أسمهان تعرف كيف تستعمل جمال عينيها عند اللزوم. وكانت ذات أنوثة طاغية.»

كانت أسمهان ـ بكل المعايير الأنثوية والصوتية والفنية ـ ظاهرة يندر أن تتكرر، ويصعب أن يفلت أحد من إسارها أو عواصفها أو عواطفها ! !

ويضيف لكل ما سبق ويكمل ملامح الصورة رأى الموسيقار محمد عبدالوهاب ومؤداه، أن أسمهان موهبة صوتية فذة، ومن يسمعها مرة لم يكن يقدر له أن ينساها بعد ذلك مطلقاً ! !

وهكذا شاءت الصدفة أن يلتقى حسنين وأسمهان ! !

ولم تكن الاهتمامات الفنية تنقص «حسنين» أو كانت بعيدة عنه، بل كان فى قلبها تماماً ! !

✪✪✪

وبعيداً عن السياسة كان هناك الوجه الآخر لـ أحمد حسنين الذى لا يعرفه أحد ! !

كان هناك أحمد حسنين العاشق للفن، المتذوق للنغمة الجميلة، والكلمة الشاعرة، والصوت العذب ! !

هذا الوجه بالتحديد، وجه الفنان هو الوجه إلى تسلل به أحمد حسنين إلى الفنانة أسمهان ! !

وهناك أكثر من شهادة هامة، ربما كانت إعادة قراءتها تكفى لإضاءة ملامح تلك العلاقة المعقدة بين المطربة ورئيس الديوان، بين أسمهان وأحمد حسنين لتنطلق بعدها «نار غيرة» نازلى ضد أسمهان وأحمد حسنين ! !

عن قرب شديد عرف شكرى راغب مدير الأوبرا أحمد حسنين، وعندما أصدر مذكراته «الباب الخلفى» عام ١٩٥٨ أى بعد ١٢ عاماً على مقتل «حسنين» رسم له صورة بالكلمات.

قال شكرى راغب عن أحمد حسنين الآخر يقول: لا أتكلم عن حسانين باشا (هكذا كتبها) الرجل السياسى الذى لعب دوراً كبيراً فى العهد الماضى، أو رائد الملك السابق فاروق أو رجل السراى الأول أو الرياضى أو مكتشف الواحات، ولكننى سأتكلم عن «حسانين» المخرج والناقد المسرحى(!!)

كان «أحمد حسنين» باشا يشاهد جميع تدريبات مسرحيات جمعية أنصار التمثيل والسينما باعتباره رئيسها، وكان يدخل من الباب الخلفى ليحضر بروفات الفرقة، ويطلع على كل صغيرة وكبيرة من شئون الدار.

ولم يقتصر نشاط أحمد حسنين على الإشراف على إخراج روايات جمعية أنصار التمثيل فحسب، بل كان يرى أنه لابد من أن يشاهد البرامج التى تعرض على فاروق قبل عرضها، لذلك كان يحضر التدريبات.

وأذكر أنه حضر يوماً بروفة رواية كليوباترا للفرقة المصرية، وكانت زينب صدقى تقوم بدور كليو باترا ملكة مصر، وبالرغم من تعمق زينب فى مظاهر الإبداع فى الإلقاء والحركة، وفى المظهر العام، فقد كان حسنين باشا يلفت نظرها إثر كل مشهد من مشاهد المسرحية المختلفة إلى بعض الملاحظات، شارحاً لها وجهة نظره، محاولا إقناعها بطريقة سلسة لطيفة حتى يأتى تمثيلها مطابقاً للحقيقة من حيث جلالة المُلك وعظمته!!

كان حسنين يحب المسرح وأهله. وكان يفضل عندما يأتى فى خدمة الملك السابق وفى معيته - أن يقضى سهرته، لا ليشاهد الرواية ككل أفراد المعية، ولكن ليقضى بعض الوقت مع الممثلين وهيئة المسرح، يتحدث إليهم فى التمثيل والرواية، حتى إذا مادنا موعد الرحيل وقف كعادته فى وداع الملك كما وقف فى استقباله.

وكم من مرة طلبنى لأتولى إعداد بعض حفلاته الخاصة التنكرية، فتارة كنت أعرض عليه ملابس عطيل أو القائد الفرنسى كليبر، ولم يكن يهتم باختيار ملابسه فقط، بل كان يكلف باختيار ما يناسب شخصيات أخرى تشترك فى الحفلة التنكرية.

وكان لا يصرح بأن هذه الملابس سوف يستعملها الملك والأمراء بل كان يطلب إلىّ أن أختار مايتناسب وشخصية جورج أبيض ويقصد شخصية فاروق «لأن جسم فاروق كان أقرب الأجسام إلى جسم جورج أبيض»

وتأتى شهادة الكاتب الكبير مصطفى أمين التى كتبها فى فبراير ١٩٥٢ فيقول:

..وكان مؤلفاً مسرحياً.. فإن جميع روايات الريحانى فى السنوات الأخيرة كانت تعرض عليه فكرة ثم موضوعاً ثم قصة.. ثم يذهب إلى البروفة ليحضرها..

وكان حسنين يضيف مشهداً أو يقترح نكتة.. لأنه كان يرى فى نجيب الريحانى فيلسوفاً يستطيع أن يوثر بهذه الروايات فى آراء الشعب وأفكاره!!

وكان يطلع على أغاني أم كلثوم قبل أن تلقيها، وكان يؤمن بأن أم كلثوم تستطيع بأغانيها أن تحرك الشعب أكثر مايفعل الزعماء!!

ملامح صورة أحمد حسنين بعيداً عن السياسة لاتكتمل إلا بشهادة صديقه الكاتب الكبير محمد التابعي!

يقول التابعي: كانت ثقافته واسعة متعددة الألوان، كان يستطيع أن يتحدث بسهولة وانطلاق، مثلا في الشعر العربي القديم والشعر العربي الحديث، وفي المسرح، والفرق بين المدرسة الإنجليزية في التمثيل وغيرها.

كان حسنين يجد راحة ومتعة مابعدهما راحة ومتعة في الجلوس ـ في غير كلفة ـ مع بنات الشعب من المغنيات!! وكان حديثه ممتعاً حقاً وهو يشرح لون الجمال أو «الحلاوة» في كل منهن!!

ما أجمل المطربة «.....» مثلا لو لبست «الملاية اللف وعقصت منديل الظرافة على جبينها فوق الحاجبين.. ودقات شبشبها مع رنة الخلخال!!»

ويحاول حسنين أن يقنع المطربة المذكورة بلبس الملاية اللف ومن تحتها القميص «التوللي».

باختصار شديد كان حسنين باشا فاهماً للفن، متذوقاً للكلمة، سميعاً كبيراً!!.

وكان من الطبيعي أن تكون أسمهان الصوت والصورة، المطربة والأنثى لها مكان ما داخل قلبه وعقله!!

وكان من الطبيعي أن تأكل الغيرة قلب وعقل الملكة نازلى زوجته!!

✪✪✪

حتى مساء الخميس ٨ فبراير عام ١٩٤٠ لم تكن أسمهان قد التقت حسنين باشا ولم يكن حسنين باشا قد التقاها!!

لكن المؤكد أن كليهما سمع عن الآخر جيداً!!

كانت أسمهان المطربة ملء السمع والبصر، ليس في مصر وحدها ولكن في كل العالم العربي مثلها مثل أم كلثوم!!

وكان أحمد حسنين رجل الملك فاروق ورائده.. و..و

وفي ٨ فبراير ١٩٤٠ أقام محمد التابعي في بيته حفلة احتفل فيها بأصدقاء له قدموا من لبنان رداً على دعوتهم له من قبل!!

كان من بين المدعوين أحمد حسنين باشا، ومحمد عبدالوهاب و.. وأسمهان!!

وغنى عبدالوهاب.. وغنت أسمهان.. وكان أول لقاء مباشر وجهاً لوجه بين أسمهان وأحمد حسنين!!

وكتب محمد التابعي يقول:

«بعد أيام من الحفلة أو هذه السهرة دعانا حسنين باشا لتناول الغداء، ثم إلى حفلة ساهرة في داره، وتوالت بعدها الحفلات والسهرات، عنده أو عند أصدقائنا . .

ومن هنا تعددت مقابلاته لـ أسمهان ! !

ودعتنى (أى أسمهان) مرة لتناول الشاى معها، وكانت لاتزال تقيم فى فندق مينا هاوس. وبينما نحن جالسون نتحدث دخل علينا حسنين باشا، وقالت هى بعد انصرافه إنها لم تدعه لتناول الشاى وإنه جاء على غير موعد.

ويعلق التابعى على عبارة أسمهان بقوله: «وقد تكون صادقة فى قولها هذا يومئذ» ! !

ثم يضيف التابعى مؤكداً:

كان أحمد حسنين أول رجل أو الرجل الوحيد - كما أعتقد اليوم - الذى عرف كيف ينساب فى كياسة وحذر إلى هذه الكبرياء النافرة ويجعلها تأنس إليه وتطمئن وتسلس له قيادها . . ولكن إلى حد ما ! !

لا عجب أن بهرت به أسمهان ! ولأول مرة أحست بما يشبه الحب ! !

فى ذلك الوقت - وعلى مسئولية التابعى - كانت أسمهان معه صريحة، تسأل عنه بالتليفون، وكان يسأل عنها بالتليفون، ومرة واحدة كل أسبوع - غالباً يوم الأحد - كانت تتناول عنده الغداء وكأى صديقين يتبادلان الكلام والأحاديث والأخبار، ولم تكن أسمهان تخفى شيئاً من أخبارها عن التابعى، حتى لو كانت هذه الأخبار مثلا أن «فلان باشا» يتودد إليها، أو أن فلاناً الوزير السابق دعاها لتناول العشاء معه ومع زوجته وأولاده وبينما هم حول المائدة مد يده من تحت غطاء المائدة يحاول أن يمسك يدها ! !

وروت أسمهان أيضاً لـ التابعى واقعة طريفة كان بطلها أحمد حسنين باشا نفسه ! !

كان حسنين باشا قد دعاها لتناول الغداء معه فى منزله، ثم تركها لدقائق وعاد بعد أن استبدل ملابسه التى كان يرتديها بملابس أخرى وقال لها:

- هذه سترة لركوب الخيل ! !

ثم ذهب وعاد وارتدى ملابس أخرى وقال لها:

- وهذه سترة للصيد ! !

وفعل حسنين ذلك عدة مرات مما أدهش أسمهان وقالت (وكانت تروى لـ التابعى ذلك):

- وأخيراً قمت أتفرج على خزائن ملابسه لكى أوفر عليه مشقة هذا الاستعراض ! ! ووجدت فيها عشرات السترات، وعشرات من رباطات العنق، وعشرات من القمصان . . ولكننى لم أجد منديلاً واحداً ذا قيمة . . وكل مناديله من القطن . . أو من التيل الرخيص ! !

وضحكت أسمهان وقالت لـ التابعى:

- وفى اليوم التالى أهديته أربعة وعشرين منديلا من «اللينو» ! !

ثم وجهت أسمهان كلامها لـ التابعى قائلة:

ـ آه لو تستطيع نشر هذه الأخبار.. إذن لعرفت مصر الكثير عن زعمائها وكبرائها المشهورين!!

ولم يفعل التابعى بالطبع!!

✪✪✪

فى ذلك الوقت كانت أسمهان تقيم بصفة دائمة بفندق «ميناهاوس»، وحسب شهادة التابعى ـ فقد كان حسنين يزورها فى هذا الفندق، فإذا لم يجدها كان يترك لها رسالة بخط يده!!

وعرف نزلاء الفندق والموظفون أن كبير رجال حاشية فاروق يتردد على المطربة الشابة!!

وكان طبيعياً أن يطير الخبر من «ميناهاوس» إلى أماكن أخرى، حتى استقر إلى القصر ومن فيه.. أى الملك فاروق.. وأمه نازلى زوجة حسنين!!

وكان الغريب فى الأمر كله ـ وهو نفسه ما أدهش الذين يعرفون حسنين ومبلغ حذره وحرصه وتكتمه ـ كيف كان لا مباليا وغير محتاط أو مهتم بأن يعرف الناس علاقته بأسمهان!!

وكان حسنين يقصد ذلك كله!!

✪✪✪

وكادت أسمهان برعونتها وتصرفاتها الهوجاء تسبب فضيحة كبرى لـ حسنين باشا مساء يوم الأحد ٣ مارس ١٩٤٠، أى بعد حوالى ثلاثة أسابيع فقط من بداية العلاقة مع أحمد حسنين باشا!!

كان محمد التابعى جالساً فى بيته فى ذلك اليوم يقرأ عندما دق جرس التليفون، وكانت الساعة حوالى العاشرة مساء وكان صوت أسمهان التى قالت له:

ـ هل يمكنك أن تستضيفنى يومين أو ثلاثة؟!

وظن التابعى أن أسمهان تمزح كعادتها دائما أو تسخر، وأحست أسمهان بأن التابعى لا يأخذ كلامها على محمل الجد فعادت تقول له:

ـ إن المسألة جد!! فهل يضايقك أن أنزل فى ضيافتك يومين أو ثلاثة!!

قال التابعى لها: أبداً.. ولكن لماذا؟!

قالت أسمهان: سأقص عليك السبب فيما بعد!!

وسألها التابعى: وأين أنت الآن؟!

قالت أسمهان ببساطة شديدة:

ـ فى دار حسنين أنا بكلمك من غرفة المكتب، وأنا الآن وحدى.. لأنه صعد إلى الطابق الأعلى.. وهو لا يعرف أننى أكلمك الآن!!

ورد التابعى قائلاً ـ وربما مستسلماً ومندهشاً:

ـ على الرحب والسعة وسوف أعد لك حجرة !!

وحسب رواية التابعي في كتابه «أسمهان تروى قصتها». فقد أعد لـ أسمهان حجرة الضيوف وظل ينتظرها حتى جاءت عند منتصف الليل، ومن نظرة واحدة إلى عينيها أدرك أنها كانت تبكى وذهبت أسمهان مباشرة إلى غرفة المائدة حيث أعدت لنفسها شراباً وراحت تحكى لـ التابعي كيف أن حياتها مع أمها وشقيقها فؤاد قد أصبحت لا تطاق، وأن فؤاد ضربها ـ اليوم ـ ضرباً مبرحاً وسجنها في غرفتها . و . . و

ولم ينقذ أسمهان من سجنها إلا تليفون حسنين باشا الذى تكلم ليسأل عنها ويذكرها بموعدها معه هذا المساء !!

وسأل فؤاد شقيقته أسمهان عن هذا الموعد ؟! فقالت له إن أحمد حسنين باشا يحيى فى داره حفلة هذا المساء وأنه دعاها لتغنى فى هذا الحفل !!

وهنا فقط وافق ورضى شقيقها أن يخرجها من سجنها، بل إنه أصر على توصيلها بنفسه إلى دار حسنين باشا ليتأكد بنفسه من أنها لم تكذب عليه !!

وعندما وصلت أسمهان إلى دار حسنين باشا روت له ماجرى لها على يد أخيها فؤاد وأنها لن تعود ثانية إلى بيتها لأن فؤاد سيعاود إهانتها وضربها وسجنها !!

وحسب شهادة التابعي فقد بكت أسمهان، كما بكى حسنين لبكائها !!

واقترح حسنين على أسمهان أن تقيم فى داره، وأن يدعو السيدة شقيقته لتقيم معها فى الدار قطعاً لألسنة السوء، لكنها شكرته ورفضت إشفاقاً على منصبه الكبير من تقولات الناس !!

وفى مفكرة جيب التابعي بتاريخ ٤ مارس كتب يقول :

لا تزال آمال ـ أسمهان ـ عندى ومازال أهلها يبحثون عنها وقد كلمتنى أمها اليوم بالتليفون لتسأل عنها فأنكرت علمى بأى شيء !!

وفى المساء دار حوار طويل بين التابعي وأسمهان .. قال لها التابعي فى نهايته : إن سر اختبائها عنده لابد أن ينكشف فماذا تنوى أن تفعل !!

وقالت له أسمهان : سأعود إلى جبل الدروز (فى بيروت) وأقبل قدمى حسن (زوجها السابق حسن الأطرش) لكى يردنى زوجة له، وإذا رفض توسلت إليه أن يبقينى خادمة عنده فى داره !!

وفى الغد سافرت أسمهان إلى الإسكندرية لتقيم عند صديقتها الممثلة إلهام حسين حتى تدبر أمر سفرها إلى بيروت !!

واتصل فؤاد شقيق أسمهان بـ التابعي يسأله هل يعرف مكانها وقال له: لا أعرف !!

وفى الصباح اتصل بـ التابعي اللواء سليم زكى باشا حكمدار العاصمة وسأله نفس السؤال، وعندما ردد التابعي نفس الإجابة السابقة، صاح اللواء سليم زكى فيه بحدة قائلاً :

ـ لا .. أنت تعرف هى فين والحكاية مش هزار ! دى ممكن تبقى فضيحة كبيرة ولا أستطيع أن أقول لك أكثر من هذا بالتليفون !!

ودعا التابعى اللواء سليم زكى لزيارته فى منزله، وعند منتصف الساعة الواحدة كان حكمدار العاصمة ومعه الأميرالاى أحمد طلعت فى بيت التابعى !!

وبدأ اللواء سليم زكى يروى لـ التابعى الفضيحة الكبيرة وهى أن شقيق أسمهان «فؤاد» ذهب إليه وأبلغه باختفاء أخته، وأنه كان قد أوصلها بنفسه إلى دار حسنين باشا منذ يومين ولما لم تعد إلى البيت، سأل عنها «حسنين باشا» بالتليفون فأجابه أن أسمهان «غادرت الدار وأنه لايعرف أين هى» !!

ثم ذهب فؤاد إلى اللواء سليم زكى يقول له :

ـ إذا كانت أختى «أسمهان» ماتت أو قتلت فعايز أعرف قبرها فين !! وأنا وصلتها بنفسى لباب بيت حسنين باشا وأنا راح أخرج من هنا وأروح أقدم بلاغ للنائب العمومى أروى فيه الحكاية وأطلب منه التحقيق، وأن يبدأ التحقيق بسؤال معالى رئيس الديوان «أحمد باشا حسنين» !!

وراح حكمدار العاصمة اللواء «سليم زكى» يروى لـ التابعى كيف أنه أخذ «فؤاد» تارة بالرجاء، وتارة بالتهديد حتى رضى أن ينتظر وألا يقدم بلاغه للنائب العمومى !!

ثم وجه الحكمدار كلامه لـ التابعى فقال :

ـ وأنت تعرف أى فضيحة بل أية أزمة كبيرة قد يثيرها تقديم هذا البلاغ وحسنين باشا صديقك .. إلى آخره !!

وما كان من التابعى إلا أن روى لـ «سليم زكى» كل ماجرى بينه وبين «أسمهان» ثم سفرها إلى الإسكندرية وأنها سوف تتكلم الآن !!

ودق جرس التليفون وكانت أسمهان هى المتحدثة وحياها التابعى ثم قال لها :

ـ هنا صديق يريد أن يحدثك ! (وكانت أسمهان بالفعل صديقة لأسرة سليم زكى وزوجته وكانا يعطفان عليها ويعاملانها كابنة لهما).

وأمسك سليم زكى بالسماعة وراح هو وأحمد طلعت يحدثانها، ووعدها سليم باشا بأنه والسيدة حرمه سوف يستقبلانها فى المحطة عند عودتها ويأخذانها معهما إلى دارهما حيث تنزل ضيفة عزيزة مكرمة إلى أن يتم صلحها مع شقيقها فؤاد !!

وفى النهاية يعلق التابعى قائلاً :

وهكذا أنقذ رئيس ديوان فاروق من فضيحة لم يكن له يد فيها ولا كان مسئولا عنها .

ومع ذلك فما خفى كان أعظم !!

وفى حكاية أحمد حسنين باشا مع أسمهان عشرات الحكايات والأسماء التى عمد وحرص التابعى على عدم الاقتراب منها ويتساءل التابعى :

هل أذكر مثلا أنه كان هناك كبير آخر يشغل هو أيضاً منصباً كبيراً من مناصب الدولة وهو مراد محسن باشا مدير الخاصة الملكية وقد أحب أسمهان، وأن الغيرة أو المنافسة قامت بين الرجلين الكبيرين.. وأن سير العمل فى ديوان فاروق كاد يتعطل بسبب هذه الغيرة بين الاثنين؟!

لو أننى كتبت - أى التابعى - لأدرك القراء ورأوا أن لـ أسمهان أثر أى أثر - وإن يكن عن غير قصد منها - فى سياسة مصر الداخلية وما كان يجرى بين الكواليس فى عام ١٩٤٠.

ويؤكد التابعى على أن حسنين أدرك أن حكايته مع أسمهان أو إعجابه بصوتها - كما كان يقول - لابد أن تكون قد وصلت إلى مسامع الملكة نازلى؟! فهل جزع أو اهتم؟! كلا!! بل استمر فى إعجابه وفى تردده على أسهمان!!

وليس لهذا التصرف من جانبه سوى تفسير واحد وهو «أنه كان يتعمد إثارة غيرة الملكة نازلى!! جرياً على سياسته معها وهى إثارتها وإثارة غيرتها ووجدها والتياعها إليه من وقت إلى آخر». إن كل الشواهد والدلائل تؤكد أن حسنين كان حريصاً على عدم سرية علاقته بـ أسمهان وكان يهمه فى الدرجة الأولى أن تصل أخبار تلك العلاقة إلى الملكة نازلى زوجته!!

وبقصد أو بغير قصد تطوع الملك فاروق بهذه المهمة الغريبة!!

وذات مساء حدثت واقعة مثيرة فى مكتب حسنين باشا بقصر عابدين وانطلق صوت أسمهان بإحدى أغنياتها المعروفة فى ذلك الوقت!! و.. ثم توالت المفاجآت!!

قال حسنين باشا يروى ماحدث لـ محمد التابعى فى ذلك المساء المثير مايلى:

- ظننت أن أحد أجهزة الراديو العديدة فى السراى هى مصدر الصوت وأنها تنقله من محطة الإذاعة!!

وانتهت الأغنية، وأعقبتها أغنية أخرى لـ أسمهان!! ثم أغنية ثالثة! عجبت وقلت: هل تذيع محطة الإذاعة هذه الليلة برنامجاً خاصاً لـ أسمهان؟!

ولكن عندما انطلق صوت أسمهان بأغنية رابعة وخامسة شككت فى الأمر، وقمت من أمام المكتب ومشيت إلى النافذة وأطللت منها فرأيت جلالة الملك واقفاً وأمامه على مائدة صغيرة جهاز «فونوغراف» وإلى جانبه أحد خدم القصر يحمل بضع أسطوانات.. ورفع الملك رأسه ورآنى وقهقه ضاحكاً وصاح: مبسوط ياحسنين؟!

لم يذكر لنا التابعى ماذا قال حسنين باشا عندما سمع الملك فاروق يسأله: مبسوط ياحسنين؟!

لكن بعد أيام جاء الخبر اليقين بأن نازلى قد شاطت وهاجت وماجت وثارت فى وجه حسنين!!

ذات يوم ذهبت أسمهان تشكو من حسنين باشا لـ محمد التابعى قائلة:

- إيه حكاية صاحبك ده؟!

استولت الدهشة تماماً على التابعي وقال لـ أسمهان. صاحبى مين؟!
قالت أسمهان بغضب: صاحبك اللى اسمه حسنين!
ضحك التابعي وقال لها:
- دلوقتي بقى اسمه صاحبى اللى اسمه حسنين، وعمل إيه صاحبى اللى اسمه حسنين؟!
وأخذت أسمهان تروى لـ التابعي ما «عمله» حسنين فقالت:
- كلمنى (أى حسنين) اليوم بالتليفون ومن غير «بونجور» أو سعيدة أو سلامات قال:
- قولى لى يامدام أطرش.. هل صحيح أننى أزورك فى بيتك؟!
وقبل أن أستطيع الرد أو سؤاله عن إيه الحكاية عاد حسنين يسألنى:
- وهل صحيح أنك بتزورينى فى بيتى؟!
وقبل أن أرد (أى أسمهان) مضى حسنين يجيب هو على نفسه ويقول:
- مش كده.. لا أنا أزورك(!!) ولا أنت تزورينى(!!) الحمدلله.. متشكر يا مدام أطرش!
واختتمت أسمهان الحكاية لـ التابعي بقولها: وأنهى حسنين المحادثة وأقفل التليفون؟!
يقول التابعي معلقاً.. وضحت أنا طويلا وقلت لها: ولم تفهمى إيه الحكاية؟!
قالت: لا.. لم أفهم!
قال التابعي لـ أسمهان:
- حسنين كان يكلمك، وإلى جانبه شخص آخر لابد أنه كان يحقق معه فى علاقتك به، ولقد أراد حسنين أن يبرىء نفسه من هذه التهمة، فطلبك فى التليفون ووجه إليك الأسئلة وتولى هو الإجابة عليها ولكن بطريقة يفهم منها الشخص المذكور أنها إجابتك أنت؟!
وصاحت أسمهان غاضبة: تهمة.. معرفتى تهمة؟!
وانطلقت أسمهان - حسب كلام التابعي - تسب وتشتم ثم سألت التابعي فجأة:
- ومن يكون هذا الشخص الذى يحقق مع حسنين؟!
قال التابعي: الملكة نازلى!!
ويقول التابعي: وفى الحال زال غضب أسمهان، وابتسمت غبطة وسروراً، فقد أرضى كبرياءها أن تكون غريمتها التى تغار منها هى صاحبة الجلالة الملكة نازلى!
كانت أسمهان فى قمة سعادتها من تحليل التابعي لمكالمة حسنين باشا!!
وأراح أسمهان أكثر أن علاقتها بـ حسنين جعلت الملكة نازلى لا تهدأ ولا تنام، بل تصطلى بنار الحقد والغيرة!!
ولعل أسمهان فى تلك اللحظة راحت تقارن بينها وبين نازلى، فإذا كانت نازلى ملكة فهى أميرة!!
لكن نازلى كانت تقترب من سن الخمسين، بينما أسمهان كانت لا تزال فى الثامنة والعشرين من عمرها!!

نازلي وأسمهان والصراع
على قلب حسنين

..وإذا كانت «أسمهان» قد استولت على «حسنين».. فقد نجحت أيضا فى أن تحوز ثقة وحب واحترام امرأتين من ألد أعداء نازلى وهما.. الأميرة شويكار الزوجة الأولى لفؤاد!! والسلطانة «ملك» زوجة السلطان «حسين كامل»!!

يقول الفنان فريد الأطرش فى مذكراته:

كانت «أسمهان» من أحب المطربات إلى الأسرة التى كانت تحكم مصر، وقدمتها أميرة إلى أميرة إلى سلطانة، وكانت أسمهان تجد فى هذا كله إشباعاً لكبريائها وتقول لى:

ـ هن أميرات وأنا أميرة.. والطيور على أشكالها تقع!!

مرة أخذتها الأميرة «شويكار» لتقدمها إلى السلطانة ملك التى كانت شغوفة بصوتها الحنون، وقالت لها قبل اللقاء:

ـ إن تقاليد الأسرة الملكية تقضى بالركوع نصف ركعة إذا صافحت الأميرة السلطانة ذات المقام الكبير!!

وقامت الأميرة شويكار وعلمت أسمهان كيف تفعل، ولكن أسمهان فى اللقاء ركبها العناد، وتملكها الغرور فصافحت السلطانة مصافحة الند للند وأحنت رأسها بأرستقراطية رفيعة وفى عينيها مضاء القوة وسنا العظمة!! وبدت خيبة الأمل على وجه الأميرة «شويكار» أما السلطانة «ملك» فقد قابلت الأمر بسعة صدر، وأسمهان.. لم يبد عليها أنها أتت أمراً شاذاً أو فعلا نكراً، فوقفت تتحدث وتضحك ببساطة وأنفة!!

ومن الحق أن أقول إن الأميرة «شويكار» كانت كريمة مع «أسمهان»، شديدة العطف عليها.. دعتنا ليلة لإحياء حفلة فى قصر «محمد على»، وكانت حفلة لها صبغة عائلية، وقد وقع الاختيار على أوبريت من أوبريتاتى التى أخذت صيتاً مدوياً وهى «شهر زاد وشهريار» وذهبنا ففوجئنا بوجود الملك «فاروق» بين المدعوين وقد غادر الحفلة حين أسدل الستار.

وبعد أن دارت أقداح القهوة إثر العشاء ـ وكانت الأقداح من الذهب الخالص ـ وتأهبنا للانصراف حين وقف بين المدعوين أحد ضباط القصر الملكى وقال:

«معذرة.. سأفتشكم جميعاً!! أحصينا أقداح القهوة الذهبية فوجدنا أن قدحاً قد اختفى. وقد غضبت الأميرة «شويكار» أن تدعوكم فتُسرق، معذرة لكم جميعا فهذا الكلام أعنى به السارق وحده».

ويقول فريد الأطرش: كان المقصود بالتفتيش كل من ليس من الأسرة الملكية، واقترب الضابط منى والدم يفور فى عروقى، وكدت أنشب أظافرى في عنقه لولا أننى وجدت «أسمهان» قد انخرطت فى البكاء أمام إحساس الإهانة وقالت بعصبية:

ـ نجىء لنغنى لكم فتتهموننا بالسرقة!! هل هذا رد الجميل وجزاء المعروف!!

وفتشها الضابط وهو يعتذر وهى تكاد تنشج بالبكاء وأقسمت «أسمهان» بأعلى صوتها أنها لن تغنى فى هذه القصور الملكية ولو نفوها إلى الجحيم.

وتقدمت أنا «فريد» لتهدئة ثائرتها فقد كنت أعرف أن لأسمهان حساداً وأعداء يتمنون لها زلة لسان تمكنهم من التخلص منها باعتبارها حاملة للجنسية السورية كزوجة للأمير «حسن الأطرش» الذى لم يكن قد أرسل ورقة الطلاق بعد!!

وأخذت الأميرة «شويكار» «أسمهان» من يدها إلى داخل القصر، فقد كنا طيلة الوقت فى حديقة القصر، وقبل أن تقول «شويكار» كلمة تطيب بها خاطر أسمهان دق جرس التليفون وأجابت الأميرة شويكار وسمعناها تقول: أى مقلب تعنى؟!

ثم استمعت «شويكار» للصوت المجلجل وقالت باستسلام:

ـ شربناه حقاً يا مولاى، يا صاحب الجلالة هل أرسل الطقم كله؟!!

وتبادلنا «فريد وأسمهان» نظرات الدهشة بعد أن عرفنا اللص الملكى «يقصد فاروق» واستمدت أسمهان من السرقة المفضوحة شجاعة وقالت للأميرة «شويكار»:

ـ لو السرقة تمت فى بيتى لما فتشت واحداً من المدعوين!! ولا أحد يعرف على وجه اليقين هل عرف أحمد حسنين بهذه الواقعة؟!

وهل روى «فاروق» لأمه الملكة نازلى هذه القصة؟!

وهل كانت الحكاية تقف وراءها «نازلى» لتهين أسمهان بعد كل ما تردد عنها وعن «حسنين»؟! لا إجابة ولا معلومات عند محمد التابعى أو عند مصطفى أمين!!

✪✪✪

حقيقة ما حدث بعد ذلك ـ ووفقاً لرواية التابعى نفسه ـ جرى كما يلى:

اضطر «حسنين» أن يقتصد فى إعجابه بأسمهان وأن يكف عن زيارتها فى دارها واستقبالها فى داره، وقابلت «أسمهان» هذا الفتور من جانب «حسنين» بعدم المبالاة. ومع ذلك فقد كان لا يمر شهر دون أن يتحدث الاثنان معاً بالتليفون.. وكان هذا الحديث بالتليفون يطول ساعات!!

كان «حسنين» يسمع لها مثلا أغنية جديدة من الإذاعة فيطلبها فى دارها بالتليفون ويبدى إعجابه بالأغنية أو يشرح لها ما فى الأغنية من قوة أو ضعف.. ويقترح عليها كذا وكيت. وقال لها مرة: إن صوتها هو أصلح صوت لغناء قصائد المرحوم القارىء «على محمود» بل إنها تغنى قصيدة «يا نسيم الصبا تحمّل سلامى» خيراً مما يغنيها «على محمود» نفسه!

وكانت أسمهان تلقاه مثلا فى حفلة ساهرة تغنى فيها ويكون هو من بين المدعوين إليها، ثم تلاحظ أنه غادر الحفلة قبل نهايتها.. فتعود إلى مسكنها وتطلبه بالتليفون لتعاتبه وتسأله: هل صوتها لم يعد يعجبه؟! وإلا فلماذا غادر الحفلة قبل أن يسمع الوصلة الأخيرة؟!

وهكذا.. ولكنهما كفا عن تبادل الزيارات!!

ويؤكد التابعى« ومع ذلك فإن الملكة «نازلى» لم تكن مطمئنة تماماً إلى وفاء «حسنين» ولم تكن غيرتها وشكوكها تهدأ يوماً إلا لتثور أياماً. ولأن «نازلى» لم تكن مطمئنة فقد لجأت إلى طرق أخرى لعلها تبعد «أسمهان» نهائيا عن طريق «أحمد حسنين»!!

كان فى مقدمة من لجأت إليهم «نازلى» أكثر من اسم سياسى لامع وبارز!!

ولجأت «نازلى» إلى «طلعت حرب» باشا زعيم النهضة الاقتصادية ومؤسس بنك مصر.. و.. و..وحسب ماجاء فى مذكرات فريد الأطرش فإن طلعت حرب أحاط فريد وأسمهان بالحنان و«عاملنا كأبناء له» وكان يدعونا إلى قصره كثيراً لأنه كان قد بدأ يستسلم للمرض وعناء السنين، وكان ثقيل الحركة لا ينتقل من مقعد إلى آخر إلا وهو يعتمد على «أسمهان» ورفض طلعت حرب أن يتدخل كما طلبت وألحت فى طلبها الملكة «نازلى»!!

وتطوع البعض بإخبار «نازلى» أن«حسنين»و «أسمهان» يتقابلان سراً فى بيت «أمينة البارودى» أصدق صديقات «أسمهان»!

وذهبت «نازلى» إلى «بيت «أمينة البارودى» وكانت وقتها ألمع وأشهر سيدات الطبقة الراقية فى مصر، وفوجئت أمينة البارودى بزيارة نازلى التى راحت تفتش كل غرف البيت وهى تصرخ بجنون: إطلع يا حسنين!!

وفى تلك الليلة لم يكن حسنين وأسمهان بالفعل موجودين عند أمينة البارودى!

لكن «نازلى» هددت أمينة البارودى إن عادت واستضافت عندها أسمهان وحسنين!

وجاء الحل عن طريق لم يخطر على بال «نازلى» تماما!!

انشغلت «أسمهان» بقصة حب جديدة.. وكان من عادة «أسمهان» أن تغرق تماما فى تفاصيل أية مغامرة تدخل فيها وتعيشها بالطول وبالعرض!!

وبدون مقدمات تزوجت أسمهان من المخرج السينمائى الكبير «أحمد بدرخان» وكان ذلك فى ١٠ مارس ١٩٤١، وبدون مقدمات أيضا جاء طلاقها من أحمد بدرخان فى ٣٠ أبريل ١٩٤١!! ثم سافرت أسمهان إلى القدس بعد عدة أسابيع فى مهمة غامضة كلفتها بها بريطانيا لتستعين بها على دخول سوريا ولبنان وطرد قوات حكومة فيشى التى كانت قد أسلمت زمامها للألمان!!

وعن هذه المهمة كتب فريد الأطرش فى مذكراته يقول:

«عرفنا أنها قامت بدور حتى تجنب جبل الدروز أن يكون ميدان معارك فى حرب لا ناقة له فيها ولا جمل. ولم تكن صحيفة لبنانية أو فلسطينية أو سورية تصل إلينا إلا ونجد فيها

أخباراً عن آسمهان سيدة المجتمع وزهرة كل لقاء فيه سادة أو ساسة أو فاتنات.. وحتى ليلة دعت ديجول إلى قصرها كللت الصحف بصورة لهما وهي ترتدي طرحة بيضاء عن زى الدروز، وهو «ديجول» في سترته العسكرية، وقبعته الفرنسية العالية..»

وفي سطور مقتضبة ودون تفصيلات يشير «فريد الأطرش» إلى اللقاء الذى جرى بين شقيقته «أسمهان» والملكة نازلي فيقول:

«احتدم الخلاف بين الملك فاروق والملكة نازلي لاعتراضه على بعض سلوكها فذهبت إلى القدس وطلبت جناحاً في فندق الملك داود، واعتذرت إدارة الفندق بأن الأجنحة مشغولة وبأن الذى تبقى بضع غرف متفرقة تحل الأزمة، وإن كانت لا تليق بالأميرات. وفجأة تم طلاق أسمهان وزوجها «حسن الأطرش»!!

لا أحد يعرف السر الحقيقي وراء هذا الطلاق وهل كان لتعاون «أسمهان» مع قوات الحلفاء في مهمتها الغامضة دخلٌ فيه أم لا؟! هل كان السبب في الطلاق هو وقوع قائد القوات البريطانية التى دخلت سوريا - الجنرال جون إيفيتس - في غرامها؟!

يقول فريد الأطرش: الأمير حسن طلقها لأنه لم يستطع الوفاء بمصروفاتها الكثيرة. أما «محمد التابعى» فيؤكد أن «أسمهان» ضاقت بحياة الزوجية وما تفرضه عليها من قيود، كما ضاقت بغيرة زوجها وبالحياة المملة الرتيبة في دار زوجها!!

وبعد الطلاق وزعت أسمهان أيامها بين القدس وبيروت ولم يلبث المال الذى كان بيدها أن تبدد كله، حتى جاء يوم عجزت فيه عن تسديد حساب الفندق.. و.. وحجزت إدارة الفندق على حقائب ثيابها.. و..

وفجأة جاء الحل الذى لم يخطر على بال «أسمهان» ولم تحلم بأن يتحقق!!

روى «التابعى» في كتابه الهام «أسمهان تروى قصتها» يقول:

وبينما هي في هذه الورطة أو هذه المحنة زار القدس الأستاذ «إسكندر الوهابى» وكان يشغل يومئذ منصباً كبيراً بوزارة الخارجية المصرية، وأعجب بأسمهان وأعجبه صوتها وفتنتها.

وكان طبيعياً أن ترجوه «أسمهان» أن يتوسط بما له من نفوذ في أمر السماح لها بالعودة إلى مصر، لكى تستأنف الغناء والعمل في السينما.. وعاد «إسكندر الوهابى» إلى مصر وتحدث إلى الأستاذ «حسين سعيد» خال الملكة فريدة وأطنب له في وصف أسمهان وفي جمال صوتها وفي فتنتها. إلخ كان «حسين سعيد» يشغل منصب مدير ستديو مصر للسينما، وسافر إلى القدس وقابل أسمهان، ووقع بدوره أسير فتنتها وجمال صوتها. ووقع معها بالنيابة عن ستديو مصر عقداً للعمل في الأفلام التى تنتجها وتخرجها شركة مصر للتمثيل والسينما وعاد «حسين سعيد» إلى القاهرة ليبذل مساعيه الحميدة من أجل الإذن لأسمهان بالعودة إلى مصر، وسمعنا يومئذ أنه بذل هذه المساعى عند السيدة حرم رئيس الوزراء مصطفى النحاس باشا!!

ويقول فريد الأطرش في مذكراته :

حدثني حسين بك سعيد وكان مدير شركة مصر للتمثيل والسينما التي تملك ستديو مصر قال لي : أنا عائد من القدس وقد التقيت بأسمهان فاقبل أشواقها ، وقريبا جداً ستكون بيننا ، لقد عرضت عليها بطولة فيلم بين أيدينا لا أعتقد أن فنانة غيرها تصلح له . وقد غالت في الأجر حتى ظننتها ترفض العرض بطريق ملتو ، ولكنى تذكرت أن أرباح فيلم «انتصار الشباب» تغرى بتلبية مطالبها ، طلبت أسمهان سبعة عشر ألف جنيه ، وقد حولت لها اليوم سبعة آلاف جنيه لتسديد ديونها ، وقدمت طلباً لوزارة الداخلية لأحصل على تأشيرة دخول . .

ويكمل ملامح الصورة «التابعي» فيقول :كانت «أسمهان» لا تزال مقيمة بفندق الملك داود في انتظار وصول الإذن لها بالعودة إلى مصر ، وسددت ديونها للفندق من العربون السخى الذى حصلت عليه بموجب نصوص عقدها مع شركة مصر للتمثيل والسينما .وذات يوم نزل بالفندق الأستاذ «أحمد سالم» والفنانة المعروفة «تحية كاريوكا» وكلاهما كان صديقاً لأسمهان ، ولم تلبث أن غادرت تحية القدس وعادت إلى لبنان وحلب لإحياء الحفلات ، وتركت «أحمد سالم» ينتظرها في القدس ، ولكنها عندما عادت وجدت أن «أحمد سالم» قد تزوج أسمهان بعقد زواج شرعي صحيح .وكان شتم وسب وخصام بين أسمهان و تحية ! !

ويضيف قائلاً :كنت أرى في وثيقة الزواج جواز مرور أسمهان إلى القاهرة ، فإن التى تتزوج مصرياً تستطيع أن تلازمه إلى وطنه من غير عناء ، وسألت نفسى : هل قبلت أسمهان الزواج من أحمد سالم لأنها تحبه . . أم ذلك لغرض في نفسها ؟ وهو حنينها للعودة إلى القاهرة ورغبتها في تنفيذ عقد العمل . . على أننى استبعدت الاحتمال الثانى ، فأسمهان عاطفية قبل كل شيء ! ! واحتفلنا بزواجها في حفل صاخب ، فلما عاد أحمد سالم ذهب إلى «حسين بك سعيد» وقدم وثيقة الزواج مع عقد العمل يتساندان معاً لإقناع وزارة الداخلية بعودة أسمهان . ولكن المعضلة لم تحل بين يوم وليلة ، واجتمع في ملف أسمهان بطاقات عشرين باشا على الأقل يضمون صوتهم للعودة ويضمنون العائدة «أى أسمهان» اوقالت «أسمهان» لشقيقها فريد عن زوجها :

ـ هو ابن الليل مثلما أنا بنته ، هو على النقيض من «بدرخان» ولهذا أعاهدكم على أن أكون شريكة حياته حتى تنتهى حياتى . ! !

كان زواج «أسمهان» من «أحمد سالم» هوخبر الموسم في ذلك الوقت بغير جدال ! !

وكان زواج أسمهان . . مفاجأة لكل الذين عرفوها أو حتى لم يعرفوها ! ! وكان على رأس الذين فوجئوا بأمر ذلك الزواج هو «أحمد حسنين» نفسه ! !

والغريب في الأمر أن «أحمد سالم» كان حتى فترة بسيطة متزوجاً من أقرب صديقة إلى «أسمهان» وهى أمينة البارودى ! !

وفيما بعد كتب الصحفي العربي الكبير ناصر الدين النشاشيبي يقول عن «أحمد سالم»: كان ذكيا بدهاء الثعالب، قوى الحجة، واسع الطموح، يكاد أثره على النساء يشبه أثر المنوم المغناطيسي، ولهذا لم يكن غريباً أن يستبد «أحمد» بصورة خاطفة ومفاجئة بمشاعر «أسمهان» ويستولي عليها ويقنعها بأن تتزوجه خلال ٤٨ ساعة من لقائهما في فندق الملك داود بالقدس :وبينما كان العروسان يقضيان ساعات العسل على شواطىء بحيرة طبريا كان جرس التليفون يدق في منزلي بالقدس وأسمع صوت كامل الشناوى يسألني من القاهرة :

- هل صحيح أن «أسمهان» تزوجت «أحمد سالم»؟!

وأجبته ببرود : وهل أنا مراسلكم في عالم الفن حتى أعرف هذه الأخبار الخاصة؟!

وصرخ كامل الشناوى على طريقته :

- فن إيه وبتاع إيه؟! ليس هناك باشا واحد في مصر لم يسأل «الأهرام» عن هذا الخبر : أحمد باشا - يعني أحمد حسنين رئيس الديوان - بيسألنا كل نصف ساعة!! وكيل الداخلية أباظة باشا عايز يعرف الأخبار ضروري!! فؤاد باشا سراج الدين طلب مني أن أبحث عن حقيقة الإشاعة وأخبره!! أنا بكلمك من مكتبي بالأهرام وكلنا عايزين نعرف صحيح «أحمد سالم» تزوج أسمهان؟!

وأجبت كامل على الفوز : أيوه يا كامل صحيح!! وروى «ناصر الدين النشاشيبي» ما جرى لأسمهان وفوجيء بها تقول له : معي رسالة مهمة أريد أن أسلمها لقنصل مصر بالقدس «محمود فوزى» - رئيس الوزراء فيما بعد - لكي يرسلها إلى فؤاد باشا سراج الدين بالقاهرة : إنني مصممة على أن تعرف السلطات المصرية بحقيقة زواجي من أحمد، أريد أن أعود إلى مصر، أريد أن أعود إلى الفن والسينما والغناء!! أنا الآن أصبحت مصرية ومن حقي أن أعود إلى بلدى!!

وليس معروفاً على وجه الدقة كيف استقبلت «نازلي» خبر زواج «أسمهان من أحمد سالم» لكن المؤكد أنها استراحت.. فها هي «أسمهان» تتزوج وتبتعد نهائياً عن «أحمد حسنين».. !! لكن «نازلي» لم تكن تتوقع أبداً عودة أسمهان إلى مصر!!

عادت «أسمهان» وهي زوجة للمخرج الكبير «أحمد سالم»!!

لم يكن زواجها عن حب، ولكنه كان الوسيلة الوحيدة - والقانونية - التي تستطيع بها أن تدخل مصر! وسارت الحياة بأسمهان وزوجها على نحو مثير.. خلافات، مشاجرات، شك، غيرة، محاولات انتحار من أسمهان وتهديد مستمر منها له كانت تنهيه دائما بقولها :

- يا أنا.. يا أنت في البيت!! مش ممكن أعيش معاك.. طلقني؟!

وحسب شهادة «التابعي» فقد خرجت أسمهان من المعركة في شكل شهيدة، يخونها زوجها ويغازل امرأة أخرى «تحية كاريوكا» ومع ذلك تصفح عنه وتغفر له وترضى بالحياة معه!! ومن حقها بعد ذلك أن تقول له : لا تشدد معي في الحساب، أين كنت؟! ومع من

كنت ؟ ! لكن أحمد سالم مضى يدقق فى حساب زوجته «أسمهان»، بل أخذ يحاسبها علي كل صغيرة وكبيرة وعن كل ساعة لا تمضيها معه؟ ! أين كانت ؟ ! مع من كانت ؟ !

وتمكن الشك تماما منه، لكنه لم يصارحها بشكوكه وهواجسه، بل مضى يراقبها ويتبعها دون أن تعلم أو تدرى ! !

وذات يوم رآها «أحمد سالم» وهى خارجة من دار «حسنين باشا» بميدان عبدالمنعم فى الدقى، وذهب إلى دكان بقالة قريب وطلب «حسنين» باشا فى التليفون ! !

وبدأت المكالمة حسب ما يقول التابعى - بأنه لا يعرف كيف يبدأ حديثه، فهو يحترم «حسنين» باشا ويقدر صفاته الممتازة، ولكنه كزوج يغار على زوجته وله حقوق ثم قال لحسنين :

- ومن حقى أن أسأل رفعتك ماذا كانت تفعل زوجتى عندك ؟ ! ولماذا تزورك من غير علمى ومن غير إذن منى ؟ ! بل - وأنت جنتلمان - لماذا تستقبل فى دارك سيدة متزوجة من غير أن يكون زوجها معها ؟ !

فى هدوء وبرود كان حسنين يستمع، ومضى «أحمد سالم» يقول فى التليفون :

- فإذا كنت تدعوها لزيارتك، فإنه من حقى أن أسألك لماذا لم تدعنى معها ؟ ! وإذا كانت هى قد زارتك من غير أن تدعوها فإنهاالمسألة تحتاج إلى تحقيق فى الأسباب والظروف .. إلخ». وأصغى «حسنين» إلى عتاب أو حساب «أحمد سالم» فى صبر حليم، ولما تكلم كان فى صوته حزن وأسف .. حزن وأسف المظلوم البرىء الذى اتهمه أحمد سالم فى أغلى ما يعتز به وهو شرفه وعفته ونزاهته، وقال الباشا بصوت هادىء حزين :

- عيب يا أحمد، دا أنت زى ابنى، ومراتك زى بنتى، وأنا كنت فاكر إنها قالت لك، وإنك عارف بزيارتها لى ..

ومضى «حسنين» يقول لأحمد سالم : إنه مثل جميع من فى البلد يعجب بصوت «آمال» - اسم أسمهان الحقيقى - ويهمه حقيقة ألا تغنى إلا ما يوافق طبقات صوتها ! !

ومضى «حسنين» باشا يروى له حديثاً فنياً عن الموسيقى والأغانى والصوت وطبقاته ثم قال : إن آمال زارته لكى تستأنس برأيه فى أغانى فيلمها الجديد القادم «غرام وانتقام».

وانتهت المكالمة عند هذا الحد ! !

تظاهر زوج أسمهان بأنه صدق حسنين واقتنع بكل ما قاله، ولكنه لم يصدق حرفاً واحداً مما قال له حسنين. ووصل «أحمد سالم» إلى البيت ليفاجىء أسمهان بسؤال :

- لماذا زارت حسنين باشا ؟ ! ولماذا لم تستأذنه فى هذه الزيارة ؟ !

وقالت أسمهان : إن حسنين صديق قديم، وإنها عرفته من قبل أن تعرف «أحمد سالم» وليس فى نيتها أن تقاطع أصدقاءها القدامى من أجله ! ! كما أنه ليس من عادتها أو طبعها أن تستأذن أحداً فى زياراتها ! ! وأنها حرة تزور من تشاء فى أى وقت تشاء ! ! ثم قالت بلا مبالاة وتحد : وإذا لم يعجبك .. فأنت حر ؟ ! وطلقنى وأرح بالك وبالى.

وقرر «أحمد سالم» أن ينتحر، لكن المحاولة فشلت وتم إنقاذه، ومضت الحياة بينه وبين أسمهان في شجار وعراك وشك وغيرة لا نهاية لها اثم يقول «التابعى»:

ذات مساء انتصف الليل ولم تعد «أسمهان»، وتناول أحمد سالم التليفون وسأل عنها في دار صديقة لها، وقالت الصديقة إن أسمهان كانت زارتها بعد ظهر اليوم ولكنها انصرفت قبل الثامنة مساء!!

وفي نحو الثالثة صباحاً عادت أسمهان، ووجدت زوجها قائما ينتظر، وشيء ما في عينيه أخافها وحبس ألفاظ التحدى في فمها، وسألها أين كانت، فتلعثمت واضطربت، وأخيراً قالت إنها كانت عند صديقتها فلانة..

قال أحمد سالم وهو يصر على أسنانه: كنت عندها لدلوقتي؟!

قالت أسمهان: نعم!!

قال: ولكنى سألتها عنك فقالت إنك انصرفت قبل الساعة الثامنة؟! وسكتت أسمهان، فقد أحست للمرة الأولى بالخوف من زوجها الذى عاد يسألها:

- كنت فين لدلوقتي.. عند «حسنين»؟!!

ووثب واقفاً، ولكن أسمهان كانت أسرع منه إلى الباب، فأخرج من جيبه مسدساً صوبه إليها وهى تجرى وأطلق النار ولكنه لم يصبها، وهربت أسمهان ولجأت إلى دار أحد جيرانها حيث أمضت ما بقى من الليل، واتصلت بالتليفون باللواء «سليم زكى» حكمدار بوليس القاهرة - وكانت صديقة له ولأسرته - وأبلغته أن زوجها أطلق عليها الرصاص يريد قتلها وطلبت منه أن يحميها.

وأوفد اللواء سليم زكى الأميرالاى «إمام إبراهيم» ليحاول إصلاح الأمر ما بين الزوجين، ووجد الضابط أحمد سالم ممدداً فوق فراشه، وقد شد فوقه الغطاء وكأنه يحاول أن يخفى تحته شيئاً ما كان بيده. وانطلق «أحمد سالم» يسب ويشتم في أسمهان وفى حسنين باشا، وحاول «إمام إبراهيم» أن يهدىء من ثورته، ثم حاول أن يقترب منه، ولكن أحمد سالم صاح به أن يقف في مكانه وألا يقترب وأعلن أن بيده مسدساً وأنه سوف يطلق الرصاص على كل من يحاول القبض عليه. ولم يتوقف «أحمد سالم» عن وصف أسمهان بأقبح النعوت وكيف أنها تخونه مع «أحمد حسنين» وفى لحظة ما اعتقد «إمام إبراهيم» أنه أصبح على قرب كاف من الفراش فوثب على «أحمد سالم» محاولاً الإمساك بيده التى تمسك بالمسدس، فانطلقت رصاصة أصابت إمام إبراهيم وأعقبتها رصاصة أخرى دخلت في صدر «أحمد سالم» واستكنت في إحدى رئتيه!! ويضيف التابعى: وكانت الضجة الكبرى.. وخرجت الصحف تحمل العناوين بالبنط الكبير وتروى مأساة أحمد سالم وأسمهان، ولكن الصحف لم تنشر شيئاً عن أقوال أحمد سالم عن «أحمد حسنين» باشا رئيس ديوان الملك، لأن البوليس والسلطات كتمت الأمر عن الصحف ورجال الصحافة. لكن الحكومة - حكومة الوفد -

سمعت طبعا بكافة التفاصيل، وكذلك سمع بها القصر، وجميع من فى القصر ! !وهكذا عرفت «نازلى» أن زوجها «أحمد حسنين» قد عاد إلى أسمهان أو أسمهان قد عادت إلى حسنين ! !وجرت محاولات من حزب الوفد لإقناع أحمد سالم ـ وكان لا يزال يرقد فى المستشفى ـ بأن يقوم بتوكيل أحد كبار المحامين الوفديين ليقف فى محكمة الجنايات ويروى علناً وعلى رؤوس الأشهاد قصة «حسنين» وأسمهان وكيف أنه الزوج الضحية. ولكن القدر كان أسرع من الجميع فى وضع نهاية مفاجئة لم يتوقعها أحد على الإطلاق ! ماتت أسمهان غرقاً فى ١٤ يوليو ١٩٤٤ .وكان غرق أسمهان وموتها على هذا الشكل المأساوى مثار شائعات عديدة انطلقت ولم تخمد أبداً ! !

كان هناك أكثر من جهة استفادت من اختفاء أسمهان على هذا النحو ! !

وحسب اعتراف فريد الأطرش نفسه فى مذكراته : «ثارت أسئلة كثيرة بعد موت أسمهان هل قتلوها ؟ ! ! لماذا قتلوها ؟ ! من الذين قتلوها ؟ ! وأشارت أصابع الاتهام إلى الكثيرين . . القصر، أو عاشق مجهول، الإنجليز أو الأمير حسن «زوجها السابق» بالاتفاق مع فؤاد «شقيقها». قالوا كثيراً، ولكن الحقيقة الوحيدة التى آمنت بها وأعلنتها : أن أحداً لم يقتل أسمهان . . وأن الخصومة بين أسمهان وبين أى مخلوق لم تكن مما يؤدى إلى الانتقام القاتل . . إنها الأقدار . .

لقد طالت الشائعات الجميع، من الملك فاروق إلى الإنجليز، ومن أم كلثوم إلى الملكة نازلى، ومن زوجها حسن الأطرش إلى حبيبها «احمد حسنين» ! !

لكن المؤكد فى كل الحالات أن «نازلى» شعرت براحة وسعادة لاختفاء «أسمهان» إلى الأبد من الحياة عامة ومن حياة «حسنين» خاصة ! !

والمؤكد أيضا أن غياب أسمهان عن «حسنين» أصابه بحزن لا نهائى، وترك فى قلبه وعقله فراغاً كان من الصعب تعويضه ! !

لقد أحب «حسنين» أسمهان فى غير تحفظ وبلا حدود ! !

ووسط أحزان «حسنين» التى لم تكن خافية على أحد وجد نفسه مهموماً بمشاكل الملك فاروق مع الملكة فريدة ! ! وتدخل محاولا الصلح بينهما لكن «فريدة» رفضت ! !

وتدخلت «نازلى» أيضا لكن فريدة رفضت محاولاتها ! !

وهنا بدأت المهمة الأخيرة لأحمد حسنين !

نهاية حسنين ونازلى

فوجيء «أحمد حسنين» بالملك فاروق يستدعيه لأمر هام وعاجل ! !

جاء «حسنين» وهو يخمن فى هذا الأمر الهام والعاجل الذى يريد «فاروق» أن يتحدث معه فيه ! !

قال له الملك فاروق : عندى سر خطير جداً ، لقد اكتشفت أن الأميرة «فادية» ليست ابنتي ! !

أصاب الوجوم والذهول وجه «أحمد حسنين» رئيس الديوان الملكي واستنكر هذا الاتهام وقال لـ فاروق : إن العلاقة التى بينى وبين الملكة «فريدة» سيئة ، وهى لاتحبنى ! ! وأنا الذى نصحتك بألا تتزوج فى هذه السن المبكرة ، وأنا الذى قاومت هذا الزواج وفشلت ، ولكننى أقول لك إنك تظلم زوجتك وإننى فى دهشة من سماع هذا الكلام ! !

فوجيء فاروق بإجابة أحمد حسنين وعاد ليقول له مؤكداً : إن الأميرة شويكار هى التى قالت لى هذا ! !

واستنكر حسنين هذا الاتهام وقال لـ فاروق إنه لا يجوز أن يفكر مثل هذه الأفكار غير المعقولة ! !

وسمعت الملكة فريدة بهذا الاتهام القذر وثارت ! !

وانكرت «شويكار» أنها قالت مثل هذا الكلام ! !

وظل فاروق مصمماً على أن شويكار هى التى قالت هذا الكلام ، وصمم أكثر على طلاق فريدة ، وقال له أحمد حسنين : إنك تستطيع أن تطلق بغير أن تختار هذا السبب الكريه ! !

وذات يوم من شهر فبراير عام ١٩٤٤ استدعى أحمد حسنين صديقه الأستاذ مصطفى أمين وكان وقتها رئيسا لتحرير مجلة «الإثنين» .

كانت الساعة حوالى الثانية بعد منتصف الليل عندما وصل مصطفى أمين إلى دار أحمد حسنين بالدقى ، ليجد حسنين جالسا فى غرفة الصالون وأمامه طقطوقة السجائر وقد امتلأت عن آخرها بأعقاب السجائر .

وبدأ حسنين كلامه بسؤال مصطفى أمين : هل قرأت عن اليابان كثيراً ؟ ! !

أجاب مصطفى بقوله : قليلاً جداً . وعاد حسنين يشرح له : «فى اليابان عادة ، هى أن المخلصين لبلادهم ينتحرون بطريقة الهيراكيرى» إذا كان ذلك فى مصلحة بلادهم وأنا دعوتك لتقوم بعملية «هيراكيرى» ! !

ولم يفهم مصطفى أمين مايقصده حسنين، وهنا قام حسنين بإخراج صورة فوتوغرافية للملك فؤاد وطلب منه أن ينظر جيداً إلى عينى الملك فؤاد ! !

وبينما كان مصطفى أمين يمسك بصورة الملك فؤاد ويتأمل ويحلق فى عينيه، كان حسنين قد أخرج صورة للأميرة فادية قدمها لـ مصطفى وطلب منه أيضا أن ينظر إلى عينيها جيداً، وعاد مصطفى ليفعل نفس الشيء، ثم سأله حسنين: ألا ترى بينهما شبهاً كبيراً ؟ !

رد مصطفى أمين وكان لايزال ممسكا بالصورتين: نعم الشبه كبير !

وهنا قال لـه «حسنين»: إذن انشر الصورتين واكتب هذا !

أجاب مصطفى بقوله: سأنشرهما.. ولكن أين عملية «الهيراكيرى»؟ !

قال أحمد حسنين على الفور: هذه هى العملية.. إن فاروق يعتقد أن الأميرة فادية ليست ابنته، وأنا أريد آن تنشر الصورتين وتقول إن الشبه بينهما كبير جداً، وأن هذا ليس رأيك وحدك، ليعرف فاروق أن مخاوفه لا أساس لها ! !

وهنا سأل مصطفى أمين: وماذا سيفعل فاروق ؟ !

رد حسنين قائلا: سيغضب ويثور ! ! ولكنك بهذا العمل قد تضع حداً لهذه الوساوس التى تملأ رأسه ! !

ويقول مصطفى أمين: «كنت فى ذلك الوقت أرأس تحرير مجلة الإثنين، فنشرت صورة عينى الملك فؤاد وعينى الأميرة فادية.. وكتبت تحتها أن الكثيرين لاحظوا الشبه العجيب بين عينى الجد وعينى الحفيدة.

وانتظرت ثورة فاروق، ولكن فاروق لم يثر علىّ، ولكنه ثار على الملكة فريدة ! !

واستدعى فاروق ـ حسنين وقال له: الآن وجدت الدليل الحاسم على خيانة الملكة، إن الملكة هى التى طلبت من مجلة الإثنين نشر صورة عينى فادية وعينى والدى ! !

وقال له حسنين: إن الملكة لم تطلب شيئا.. إننى أنا الذى طلبت من مصطفى أمين هذا، ويمكنك أن ترسل إليه وتتأكد بنفسك ؟ ! !

ويعترف مصطفى أمين: وسئلت فى شبه تحقيق عن المصدر الذى أوحى بنشر الصورة، فقلت إن كثيراً من الناس لاحظوا الشبه، وأننى قد أستأذنت رئيس الديوان فى النشر فأذن ! !

وكنت أظن ـ والكلام لـ مصطفى أمين ـ أن المسألة قد انتهت عند هذا الحد، ولكن فاروق لبث مصمماً على رأيه، ولبث يصور لنفسه هذه الأوهام على أنها حقائق لا تقبل الشك ! !

واستمر الملك فاروق فى إساءة معاملة الملكة فريدة وابنتها الثالثة الأميرة فادية ! !

وقال له رجاله المخلصون إنه يظلم زوجته ويظلم ابنته ويظلم نفسه بهذا الاتهام..

وذات يوم كلف أحد الأطباء من أصدقائه أن يحلل دم الأميرة فادية، وأثبت الطبيب من التحليل أن دم الأميرة فادية هو من نفس دم فاروق ! !

وحسب كلام مصطفى أمين فقد اختلق فاروق هذه الأكذوبة الكبرى وصدقها ليقنع نفسه والناس بضرورة الطلاق من الملكة فريدة ! !

✪✪✪

ما لم يكن يعرفه مصطفى أمين ـ وغيره كثيرون ـ أن الملك فاروق كان غارقاً لشوشته فى حب النبيلة الجميلة فاطمة طوسون التى رآها لأول مرة فى حفل عيد ميلاده ١١ فبراير ١٩٤٢.

لقد أحب فاطمة طوسون بأكثر مما أحب فريدة، كان حب فاروق لـ فريدة حب تلميذ صغير لتلميذة صغيرة، ولكن حبه لـ فاطمة كان حب شاب لشابة!!

وكانت فاطمة وقتها متزوجة بزوج يكبرها بحوالى ٢٢ عاماً!! بينما كان عمرها ١٨ عاماً!!

كان الملك حزيناً ومهموماً ومكتئباً طوال الأيام التى تلت حادث ٤ فبراير ١٩٤٢، وبعد أسبوع بالضبط جاء موعد عيد ميلاده الـ ٢٢، وأقام علاءالدين مختار حفلة ساهرة فى قصره بالمرج. كان الهدف من الحفل هو إشعار فاروق بأن الأمراء والنبلاء ـ رغم علاقتهم السيئة به ـ يقفون إلى جواره فى هذه الأزمة.

وجاءت إلى الحفلة فاطمة طوسون (١٨ سنة) وزوجها النبيل حسن طوسون (٤١ سنة) وكانا يسيران جنباً إلى جنب كما يسير الربيع إلى جانب الخريف، كانت فاطمة أصغر فتاة فى السهرة سناً، لكنها كانت أكثر من فيها جمالا وجلالا وأناقة. وصفها مصطفى أمين بكلمات قليلة بالغة الدلالة «لها عينان واسعتان جميلتان، فيهما حزن عجيب يؤثر، وفى وجهها ملاحة وبراءة، تسير كما تسير الملكات، وتبتسم ابتسامة حلوة نصفها كآبة ونصفها هناءة».

تحدث إليها فاروق فاحمر وجهها حياء، وردت على أسئلته بعبارات مقتضبة وهى تنظر إلى الأرض خجلا وكأنها ترى رجلا للمرة الأولى فى حياتها، وما كادت فاطمة ترى فاروق يتحدث إلى أميرة واقفة إلى جانبه حتى أسرعت فى خطاها كأنها تهرب!

وقف فاروق فى مكانه وراح يرقب هذه الفتاة وهى تبتعد عنه وكأنها تعدو، وأحس أن فاطمة تختلف عن كل النساء اللاتى عرفهن! وجد فيها شيئا غامضاً مجهولاً!! وراح يتبعها بعينيه، ذهب إلى السهرة ليمضى ساعة من الليل، فبقى حتى انصرف مع الفجر!!

لقد حاول فاروق أن يفتح معها ألف موضوع للحديث ولكنها كانت دائما تجد ألف طريقة لإنهاء الحديث، ولقد كان فاروق فى تلك اللحظات يرى فاطمة بعين واحدة، أما العين الثانية فكانت تراقب فريدة! كان يخشى أن تشعر الملكة بما فى قلبه، ولكن الملكة فريدة لم تلحظ يومها شيئاً فإذا التفتت إليه الملكة راح يضللها ويتحدث إلى سيدات من العجائز أو يقبل عليها ويلاطفها كأنما يبدأ غرامه بها من جديد.

أما فاطمة نفسها فلم تلاحظ شيئاً.. كان فاروق ظريفاً معها ولكنه كان أظرف مع زوجها!!

وتكررت الحفلات.. وفى كل مرة كان فاروق يسأل سراً عن أسماء المدعوين والمدعوات.. فإذا علم أن فاطمة هناك ذهب، وإذا علم أنها ليست هناك اعتذر بالزكام!!

✪✪✪

وذات يوم قال فاروق لها : إنه مسرور من أن اسمها فاطمة!

اندهشت فاطمة كثيراً وسألته: لماذا؟!

قال : لأننى اتفاءل بحرف الفاء!! ولو كنتُ قد تزوجتك لما اضطررت إلى أن أغير اسمك كما فعلت مع صافيناز وغيرت اسمها إلى فريدة!!

ويؤكد مصطفى أمين أن فاطمة لم تفهم ماذا يقصد الملك، ولكنه كان يقصد كثيراً، لقد قال فاروق لحاشيته يومها إنه كان يتمنى لو أنه تزوج فاطمة بدلا من فريدة. إن هذه هى المرأة الوحيدة التى خفق قلبه بحبها!!

واستدعى الملك فاروق رئيس ديوانه أحمد حسنين باشا!!

عاد الملك يكرر نفس طلبه السابق وهو حلمه بطلاق زوجته الملكة فريدة.

قال الملك فاروق لـ حسنين: أنا أريد أن أطلق الملكة فريدة واتزوج النبيلة فاطمة طوسون!!

رد حسنين: لعل جلالتك لا تعرف أن فاطمة طوسون متزوجة؟!

قال فاروق : أعرف ذلك.. أعرفه أحسن منك.. ابحث عن طريقة!

رد حسنين: لا توجد أى طريقة إلا أن يطلقها زوجها!!

صاح فاروق :نعم، نطلب من زوجها أن يطلقها!!

رد حسنين بهدوء: ولكنى أعرف أن زوجها لن يطلقها لأنه يحبها!!

عاد فاروق ليقول: إذا رفض أن يطلقها الزوج، يطلقها مجلس البلاط!!

بنفس هدوء الأعصاب الذى يتمتع به حسنين باشا قال: ولكن مجلس البلاط لا يستطيع أن يفعل ذلك إلا إذا تبين أن الزوج هجر زوجته أو إذا تبين أنه فقد قواه العقلية، أو إذا أساء معاملة زوجته وضربها مثلاً، وأنا أعرف أن النبيل (زوج فاطمة) لا يفارق زوجته، ولم يفقد عقله، ويعاملها معاملة حسنة!!

نفد صبر فاروق وقال: إننى أعرف .. أنت هكذا دائما كلما أردت أن تعقد المسائل أوجدت فيها ألف عقدة ولكنك إذا أردت أن تحلها أمكنك حلها فى دقيقة!!

قال حسنين: إننى أريد أن أساعدك، ولكنى لا أجد طريقة، فالمسألة شائكة!!

عاد فاروق ليقول:لا أجد فيها شوكاً، كل الناس يتزوجون ويطلقون. وبهذه المناسبة، ماذا فعلت بأوراق طلاقى من «فريدة»؟! إنها فى مكتبك من ثلاث سنوات؟!

قال حسنين : من أربع سنوات!!

سأله فاروق : وماذا فعلت؟

رد حسنين على فاروق: أنت تعرف أنني جاهل في القانون، ولو كان رئيس ديوانك رجلاً قانونياً لاستطاع أن يحل مشاكلك، ولهذا فأنا أستشير رجال القانون، وهنا ألف مشكلة يثيرها رجال القانون، وتذكر أنك أول ملك مصرى يطلق زوجته!!

قال الملك فاروق: الخديو عباس طلق زوجته قبل ذلك!!

وعلق حسنين: لم يكن ملكاً، إنما كان خديو فقط، والمركز الآن مختلف!

وعاد فاروق ليقول: كل الناس يطلقون زوجاتهم ماعداى أنا!! أنت طلقت زوجتك!!

قال حسنين: ولكنى أنا لست ملكاً!! وأؤكد لك أنها الغلطة الوحيدة في حياتى، وأريد أن تستفيد أنت من تجربتى!!

رد فاروق: إننى صممت على الطلاق وأن تكون فاطمة هى الملكة، وأنا لا أستشيرك، وأنما أبلغك القرار وعليك التنفيذ!

قال حسنين: أخشى أن يحدث هذا القرار ضجة تسيؤك، فالملكة فريدة محبوبة وأنا أخشى أن هذا الطلاق يحدث «رجة»!!

كان صبر فاروق قد أوشك على النفاد فقال لـحسنين: «أردت أن أطلق فى سنة ١٩٤٢ فقلت لى إنه لا يجوز أن أفعل هذا لأن مركزى سيىء مع الإنجليز، ويجب أن أنتظر حتى يتحسن مركزى!!

وأردت أن أطلق سنة ١٩٤٣ فقلت لى إن بيننا وبين النحاس خلافاً.. وأخشى أن يستغل الوفد هذا الطلاق ضدك!!

وأردت أن أطلق سنة ١٩٤٤ فقلت لى انتظر حتى يخرج النحاس!!

وأردت أن أطلق سنة ١٩٤٥ فقلت لى أن أحمد ماهر يقول إن هذا الطلاق يودى بالوزارة الجديدة ومعناه أن النحاس كان يوقف الطلاق ولم يستطع أحمد ماهر أن يوقفه.

وأردت أن أطلق هذا العام- ١٩٤٦ -فقلت لى إننا مقبلون على مفاوضات، فقل لى: متى أطلق؟!

بهدوء شديد قال «حسنين»: تطلق في الوقت المناسب.. فى الوقت الذى تكون فيه محبوباً من الشعب على قدر يغفر لك هذا الطلاق!!

وسأل فاروق: ومتى يجىء هذا اليوم؟!

قال حسنين: هذا فى يدك وحدك!!

وصاح فاروق فى وجه حسنين: هذا كلام فارغ.. إننى مصمم على الطلاق وعلى الزواج من فاطمة!!

أجاب حسنين: لنفرض أنك طلقت اليوم، ورفض زوج فاطمة أن يطلقها فنكون قد أحدثنا ضجة بغير نتيجة.. فالطريق الطبيعى أن يطلق «النبيل» زوجته وتمكث هى بضعة أعوام حتى لا يقال إنك طلقت سيدة فى أسرتك من زوجها وهو فى مقام ابن عمك لتتزوجها، وسيكرهها الشعب، وليس من مصلحتك أن تكون ملكتك امرأة مكروهة، بل يجب أن

تكون هى محبوبة ليحبك الناس من أجلها .. وأحب أن أقول لك إن الملك إدوارد نزل عن العرش لأنه تزوج من سيدة مطلقة، فقد اتهمه الشعب أنه خطفها من زوجها، ولا أريد أن يحدث لك ماحدث لدوق وندسور.

ورد فاروق على كلام حسنين قائلا : إننى مصمم على رأيى .. ولا أريد فلسفة ! ! أريد أوراق طلاق فريدة فوراً ! !

قال حسنين : إننى اتحدث معك من غير فلسفة .. ولكنى نسيت أن أسألك سؤالا .. هل وافقت فاطمة على أن تطلق من زوجها ؟ !

وتساءل فاروق : وهل توجد فتاة ترفض أن تكون ملكة مصر ؟ !

وعاد حسنين ليقول :لماذا لا تسألها أولا ! ! ألا تكون كالذى قرر أن يتزوج ابنة السلطان قبل أن يوافق السلطان وقبل أن توافق ابنته ؟ !

رد فاروق بسرعة : ولكنى أنا السلطان ! !

قال حسنين : السلطان هنا هو النبيل الزوج .. وابنة السلطان هى فاطمة .. زوجته ! !

✪✪✪

وليس سراً أن الأميرة فايزة شقيقة الملك كانت أقرب أخواته إلى قلبه وعقله وكانت بمثابة خزانة أسراره العاطفية، وغيرها من الأسرار ! !

وروى الملك فاروق لـ فايزة كيف أحب فاطمة طوسون وكيف لا ينام الليل من التفكير فيها ! ! وأنه مصمم على طلاق فريدة والزواج من فاطمة ! !

ودهشت فايزة وقالت لشقيقها الملك :إن فاطمة طوسون متزوجة وسعيدة مع زوجها ! !

ولم يهتم الملك بكلام أخته واعتبرها ساذجة وصغيرة ولا تفهم شيئاً فى أمور الحب.

وذهبت فايزة إلى الملكة نازلى وروت لها ماجرى بينها وبين فاروق، واندهشت نازلى ! !

واستدعت نازلى ـ أحمد حسنين ليحل هذه المشكلة فوراً، ويمنع هذه الفضيحة.

اندهش حسنين من تسرب الخبر بهذه السرعة إلى نازلى والأميرة فايزة، فقد كان إلحاحه شديداً على فاروق بأن يتكتم هذه المسألة تماماً ..

وعاد حسنين ثانية لزيارة الملك فاروق الذى تصور أن حسنين وجد حلا لمشكلته. وفوجىء الملك بأن حسنين يخبره بأن الملكة نازلى هى التى أخبرته بالخبر منذ لحظات.

وسأله فاروق : وماذا قالت جلالة الوالدة؟ !

قال حسنين : قالت إن الأمر فيه خطر كبير وقد يؤدى إلى محاذير كثيرة، وأنا أقول نفس ماتقوله الملكة نازلى ! !

وفشل حسنين فى حججه ومناقشاته مع فاروق، وخرج غاضباً ليتصل برئيس الوزراء أحمد ماهر وطلب منه أن يحضر فوراً إلى القصر الملكى للأهمية الشديدة ! !

حتى ذلك الوقت لم يكن أحمد ماهر منذ تشكيل الوزارة فى ٨ / ١٠ / ١٩٤٤ قد التقى مع الملك، وروى حسنين لـ أحمد ماهر المشكلة كلها وطلب منه ضرورة أن يتعاونا فى إيجاد حل لهذه المشكلة.

وأخيراً اتفقا على خطة معينة يقوم بتنفيذها أحمد ماهر عند مقابلته لـ فاروق !

وفى أول لقاء بين رئيس الوزراء أحمد ماهر مع الملك فاروق قال له : إن الشعب الآن ملتف حولى، إذن أستطيع أن أطلق الملكة فريدة ! !

وفزع د. أحمد ماهر وكاد يسقط مغشياً عليه، واندهش الملك فاروق لمنظر رئيس وزرائه وسأله : مالك ؟

قال أحمد ماهر للملك فاروق : إن جلالتك تحملنى أكثر مما احتمل ! ! إنك تدق المسمار فى نعش وزارتى من اليوم الأول .. إن معنى طلاقك اليوم من فريدة سوف يفسره الشعب بأنك أردت أن تطلقها فى عهد الوزارة النحاسية، وأن النحاس رفض فأقلته، وجئت بى لتطلقها فى عهدى ! !

ومضى رئيس الوزراء يقول أيضاً : ثم إننا مقبلون على الانتخابات وأؤكد لك أن هذا الطلاق سيجعلنى أخسر الانتخابات !

وتساءل فاروق مندهشاً : وما علاقة الملكة فريدة بالانتخابات ؟ !

وأخذ رئيس الوزراء د. أحمد ماهر يقول للملك إنه كرجل يشتغل بالسياسة منذ ثلاثين عاماً فإنه يؤكد للملك أن طلاقه من فريدة معناه هزيمة الحكومة فى الانتخابات لأن الشعب يحبها، وسيلوم رئيس الوزراء لأنه لم يمنع هذا الطلاق .

وخرج أحمد ماهر من عند الملك فاروق وذهب لمقابلة حسنين باشا وروى له مادار بينه وبين الملك، وقال أحمد حسنين لرئيس الوزراء : برافو .. إنك تكلمت كما يجب أن يتكلم رئيس الوزارة ! !

وقال أحمد ماهر لـ حسنين : لكنى نسيت أن أقول له شيئاً، ولهذا أرجو أن تبلغه أننى مستقيل من الوزارة إذا فكر فى الطلاق ! ! إننى لن أوافق على هذا الطلاق مابقيت على قيد الحياة .

وحسب مارواه .. مصطفى أمين فإن الملك اقتنع بتأجيل الطلاق إلى مابعد الانتخابات .

وفى عام ١٩٤٥ تم إجراء الانتخابات، وقام فاروق باستدعاء أحمد حسنين وبادره قائلا : لابد أن أطلق، لقد ذهبت إلى فريدة وأردت أن أصالحها فرفضت، لابد أن أطلق اليوم ! !

وفجأة وصلت برقية إلى حسنين بأن تشرشل وروزفلت قادمان إلى مصر . وذهب حسنين وقابل فاروق وقال له إن إتمام الطلاق فى أثناء الزيارة أو قبلها سيكون له أسوأ الوقع .. ولهذا أقترح تأجيل الطلاق قليلاً ! !

وقبل فاروق على مضض وقال وهو فى حالة عصبية : هذا آخر تأجيل، ويجب أن أطلق بعد انتهاء الزيارة مباشرة ! !

وتمت زيارة روزفلت وتشرشل لمصر، واستعد فاروق للطلاق(! !) .

ويتابع مصطفى أمين روايته باعتباره كان شاهدا على ماجرى بعد ذلك فيقول :

«ذات صباح دق جرس التليفون فى مكتبى وسمعت على أمين (شقيقه التوأم) يقول :

- إلحق - إلحق.. رئيس الوزراء يريد أن يضرب نفسه بالرصاص!!»

ولم أفهم ماذا يقصد أخي وقلت له: تقصد أن أحداً أراد أن يضرب رئيس الوزراء بالرصاص؟!

قال علي أمين: لا.. الدكتور ماهر هو الذى يريد أن يضرب نفسه بالرصاص وأنا أتكلم من منزله!!

وأسرعت (يقول مصطفى أمين) إلى حدائق القبة فوجدت أخي جالساً مع الدكتور ماهر وكان ماهر مبتسماً كأن لا شيء هناك!

كان مصطفى أمين يتصور ماجرى مقلباً أو طريقة جديدة لاستدعائه، لكن رئيس الوزراء تجهم وقال له: إننى بصراحة لم أعد أطيق العمل مع الملك إنه يتصرف تصرفات لا أستطيع أن أقرها كرئيس وزراء وكمصرى، وأنا لا أستطيع أن أتحمل مسئولية طلاقه، فإذا طلق الملك زوجته فإنه لن يكون مسئولا وإنما أنا المسئول..

ومضى رئيس الوزراء يقول لـ مصطفى وعلى أمين.. فى جدية تامة: «وقد فكرت فى أن أستقيل من الوزارة ولكنى رأيت أن الاستقالة ستؤدى إلى كارثة، سيقول الإنجليز إن الملك لا يستطيع أن يعمل مع أى رئيس وزراء. وسيعودون إلى التدخل فى شئوننا. ولكن البقاء فى الحكم بهذا الوضع لا يتفق مع ضميرى ولا أرضاه لنفسى، ولهذا وجدت حلاً وسطاً وهو أن أكتب خطاباً أقول فيه «إننى أشعر فى الأيام الأخيرة بأرق لا يحتمل، ولهذا قررت أن أموت ثم أطلق على رأسى الرصاص.. إننى أفضل الموت على أن أكون رئيس وزارة طرطوراً».

وطلب مصطفى أمين مهلة للاتصال بـ أحمد حسنين الذى جاء مسرعاً واجتمع مع أحمد ماهر لدقائق على انفراد!! ولم يُخف أحمد ماهر على حسنين باشا أنه كان مصمماً على أن ينتحر!

وفى اليوم التالى - يقول مصطفى أمين - أخبرنى أحمد حسنين أنه بقى مع فاروق إلى الساعة الرابعة صباحاً حتى أقنعه بأن يعدل عن الطلاق!!

✪✪✪

وفجأة.. وبينما كان «البرلمان» منعقداً مساء ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٥ وبعد أن ألقى رئيس الوزراء أحمد ماهر بيان الحكومة والذى وافقت فيه مصر على إعلان الحرب على ألمانيا واليابان وبعدها انتقل أحمد ماهر إلى مجلس الشيوخ لكى يدلى ببيانه، وبينما كان يجتاز البهو الفرعونى الذى يفصل بين المجلسين، أطلق عليه محام شاب اسمه محمود العيسوى النار فسقط قتيلا!! وكان اغتيال د. أحمد ماهر هو ثانى حادث اغتيال فى تاريخ مصر الحديث بالنسبة لرؤساء الوزراء، وكان أول حادث اغتيال لرئيس وزراء مصر قد حدث فى شهر فبراير أيضاً من عام ١٩١٠.

كانت كل مشاكل فاروق مع فريدة تجد طريقها إلى السفارة البريطانية أولا بأول، فقد التقى السفير الإنجليزى اللورد كيلرن بخال الملكة فريدة «حسين سرى» باشا وحدثه فى أمر

العلاقات السيئة بين الملك والملكة، وكتب السفير يقول: «اعترف «سرى» لى بأن علاقات الملك مع الملكة فريدة بالغة السوء ولكن لا تدعو إلى اليأس. وماتردد أخيراً عن طلب الطلاق أمر سابق جداً لأوانه، وروى حسين سرى علاقات الملك بالنبيلة فاطمة طوسون.

وفى تقرير آخر روى السفير الإنجليزى آخر فضيحة للملك وكانت قد اكتشفتها زوجته الملكة فريدة عندما ضبطت سيدة اسمها ليلى شيرين داخل الجناح الخصوصى لها. ونتيجة لهذا الحادث طلبت فريدة إما الطلاق وإما السماح لها بالانسحاب من المسرح لتعيش بمفردها مع بناتها، وكان الملك يميل إلى فكرة الطلاق بيد أن أحمد حسنين باشا تدخل فى هذا الأمر وصرف النظر عن اقتراح الطلاق فى الوقت الحاضر.

وبتاريخ ٢٤ أبريل ١٩٤٥ يكتب اللورد كيلرن:

«انتشرت معلومات بأن الملك يود الزواج من النبيلة فاطمة طوسون التى سيتعين عليها فى هذه الحالة أن تضمن طلاقها من زوجها».

وفى برقية أخرى بتاريخ ١٩ يناير ١٩٤٦ قال اللورد كيلرن: «النفور مستمر بين الملك فاروق، والملكة فريدة.. لا الملكة نازلى ولا أى شخص آخر له أى نفوذ على الطرفين».

وفى أحد لقاءات اللورد كيلرن مع أحمد حسنين يسأله بشكل مباشر وصريح عن الأخبار العاطفية للملك، ويضطر حسنين إلى الاعتراف فيقول: إنى قلق جداً بسبب عادات الملك فاروق، وعلاقات الملك مع الملكة فريدة لايمكن أن تصبح أسوأ مما هى عليه.

ويقول كيلرن فى نهاية برقيته: إن حسنين يتنبأ بتدهور الأحوال نتيجة عادات الملك وبطانته.

وفى تلك الظروف الصعبة تولى رئاسة الوزارة محمود فهمى النقراشى باشا فى ٢٤ فبراير ١٩٤٥ حتى ١٥ فبراير ١٩٤٦. اشتهر النقراشى بالتصلب عند رأيه وأنه لا يملك من المرونة ما كان يملكه ماهر باشا. وازدادت الأمور السياسية تعقيداً فى تلك السنة ولم يكن هناك مجال للكلام للملك عن طلاقه لـ فريدة.

وازدادت مشاكل فريدة مع الملك ومع الملكة نازلى أيضا..

وقبل استقالة وزارة «النقراشى» اتجه تفكير الملك لتشكيل وزارة قومية، وقد بدىء بـ شريف صبرى باشا ـ شقيق نازلى وخال الملك على اعتبار أنه محل ثقة الجميع، كما أن عضويته لمجلس الوصاية قد أضفت عليه هيبة مطلوبة فى تلك الظروف.

لكن شريف باشا صبرى أخفق فى هذه المحاولة، ونجح فيها إسماعيل صدقى باشا.

✪✪✪

وبعد أربعة أيام بالضبط من تشكيل وزارة إسماعيل صدقى باشا فى ٩ فبراير ١٩٤٦.. اهتز القصر والإنجليز لحادث مقتل أحمد حسنين باشا يوم ١٩ فبراير!

فى ذلك اليوم كان حسنين مدعواً لتناول الغداء عند أسرة صديقه بالمطرية لكن تراكم الأعمال أبقاه فى مكتبه بقصر عابدين إلى الساعة الثالثة بعد الظهر. ورأى ـ حسب مارواه

التابعى ـ أنه تأخر كثيراً عن الموعد فاعتذر تليفونيا لأصحاب الدعوة. واستقل سيارته عائداً إلى داره بالدقى وكانت السماء تمطر، وبينما كانت سيارته تجتاز كوبرى قصر النيل إلى الدقى أقبلت سيارة لورى بريطانية من الجهة المضادة، وبسبب المطر انزلقت فصدمت سيارة حسنين صدمة شديدة والتفت السائق خلفه فرأى الدم يسيل من فم حسنين وأوقف السيارة ونزل منها يصيح ويطلب المساعدة.

ومرت مصادفة فى نفس اللحظة سيارة وزير الزراعة أحمد عبدالغفار باشا صديق حسنين وزميله أيام الدراسة، وأسرع بنقله إلى مستشفى الأنجلو أمريكان القريب من مكان الحادث.

.. ولكن حسنين كان قد أسلم الروح فنقلوه إلى داره.

ووصل خبر موت أحمد حسنين بسرعة إلى الملك فاروق !!

ويروى محمد التابعى كيف أن فاروق فى تلك الحظة كان يرتدى بيجاما وفوقها روب دى شامبر وفى قدميه شبشب. وأسرع واستقل إحدى سياراته إلى دار حسنين. ووقف فاروق لحظة أمام جثمان حسنين رائده وأستاذه ومربيه ثم رئيس ديوانه، ثم قال: مسكين ياحسنين !!

وسأل بعدها فاروق عن مفاتيح مكتب حسنين، وتناولها ودخل غرفة المكتب وأغلق وراءه الباب ! وكان فاروق يبحث عن أية مذكرات يكون حسنين قد كتبها، وعن عقد زواجه بأمه الملكة نازلى، وعن أية أوراق هامة أخرى !!.

وحسب شهادة أخرى لـ مصطفى أمين فإن الملك عندما وصل إلى بيت حسنين فى ميدان عبدالمنعم بالدقى، ودخل غرفة نوم حسنين حيث كان مسجى على الفراش ومغطى بملاءة بيضاء..

واتجه الملك إلى خزانة حسنين وفتحها وأخذ عقد زواج أمه وحسنين ودسه فى جيبه، وخرج من بيت حسنين بخطوات مسرعة.

✪✪✪

وأقيمت جنازة عسكرية مهيبة لـ حسنين باشا !

قالت الصحف عنه إنه كان اليد اليمنى للملك فاروق ومن الصعب العثور على بديل له !

وقال جيمس بوكر السفير البريطانى بالنيابة : «كان حسنين باشا يمارس نفوذه ويقدم مشورته للملك، وفقده خسارة كبيرة للملك فاروق، وأيضاً للحكومتين المصرية والبريطانية».

ومالم يذكره السفير البريطانى أن وفاته كانت أعظم خسائر «نازلى» على الإطلاق.. فلم تتصور نازلى أن تنتهى حياة حسنين على هذا الشكل المروع والمأساوى، ولأيام طويلة ظلت عاجزة عن تصديق أن حسنين مات !!

كان من المستحيل على نازلى أن تصدق أن أحمد حسنين قد خرج من الحياة كلها.. وإلى الأبد !!

رغم غياب «حسنين» بالموت، كان حضوره يزداد داخل قلب وعقل «نازلى»!

كان قد مضى حوالى ثلاثة أسابيع على وفاة أحمد حسنين عندما ذهب الملك فاروق لزيارة أمه الملكة نازلى فى قصرها الذى ورثته عن أبيها فى الدقى.

دخل فاروق قاعة القصر الكبرى، وتسمرت قدماه من الدهشة والذهول، وأربكته المفاجأة تماماً للمشهد الماثل أمامه!

رأى فاروق فى صدر القاعة صورة لـ أحمد حسنين بالحجم الطبيعى، وقد جللت بالسواد، وأمام الصورة - وعلى الأرض - جلست أمه الملكة نازلى وحولها سيدات حاشيتها وخادمات القصر، وجميعهن متشحات بالسواد.

وعلى جانبى القاعة الكبيرة جلس نحو عشرين قارئاً يتلون الأوراد ويدعون بالرحمة للراحل الكريم الذى هو «حسنين» باشا.

ويصف «محمد التابعى» ذلك المشهد الدرامى بين فاروق وأمه «نازلى» فيقول:

«توقف فاروق لحظة عند باب القاعة، وقد عقدت الدهشة لسانه، ثم مشى إلى حيث كانت تجلس أمه وقال لها وهو يشير بيده إلى الصورة وإلى السيدات والمقرئين:

إيه ده كله؟! وعلشان إيه ده كله؟! مات خلاص.. مات «فلزوم ده إيه؟!

وانتفضت نازلى واقفة على قدميها وانفجرت فى ابنها تصيح:

- ده اللى عملك راجل!! ده اللى حافظ لك على عرشك.. بكره راح تشوف يجرى لك إيه بعد موت حسنين.

نازلي وبناتها..
وشاب اسمه رياض

فى أواخر يونيو ١٩٤٦ قررت نازلى السفر إلى أوروبا بحجة العلاج والراحة النفسية، ولم يكن ذلك صحيحا على الإطلاق!!

.. وغادرت الملكة نازلى مصر وبصحبتها الأميرتان فايقة وفتحية!

كانت «مارسيليا» - أجمل موانى فرنسا - هى المحطة الأولى لـ نازلى وبناتها!!

وطار خبر سفر الملكة من القاهرة إلى قنصلية مصر فى مارسيليا، وقررت القنصلية انتداب أمين المحفوظات فى القنصلية ليكون فى خدمة جلالة الملكة نازلى. كان اسمه رياض غالى!!

وبمجرد وصول الملكة وبناتها إلى ميناء مارسيليا كان رياض غالى واقفاً فى انتظارهن منذ الصباح!! ما كادت الملكة تراه حتى سألته بالفرنسية: هل أنت مصرى؟!

وحسب شهادة الكاتب الكبير مصطفى أمين فقد انحنى رياض غالى بين يدى نازلى كرقم ٨ وقال لها إنه مصرى!!

واندهشت الملكة نازلى من إجابته وقالت: غريبة!! كنت أظنك من أمريكا الجنوبية!!

وابتسم رياض غالى وسار إلى جوار الملكة وفجأة قال لها:

- لقد جئت بالشمس معك إلى فرنسا!!

فوجئت نازلى بكلام رياض وقالت: غريبة!! ألم يكن عندكم شمس؟!

قال لها رياض ببساطة رائعة: لقد مضت بضعة أيام بغير أن نرى الشمس، وهاهى الشمس تشرق مع إشراق جلالتك!!

والتفتت الملكة نازلى ناحية مندوب إدارة البروتوكول الذى أوفدته وزارة الخارجية الفرنسية ليكون فى استقبالها، وسألته فى جدية شديدة وباللغة الفرنسية:

- هل ما يقوله صحيح؟! أو هو يجامل؟!

وقال مندوب وزارة الخارجية بالفرنسية: بل هو الصحيح ياصاحبة الجلالة!!

وكلفت نازلى الشاب رياض غالى بأن يعنى بحقائبها وكان عددها ٣٦ حقيبة، ثم سافرت نازلى إلى بلدة «لوسر» ولحق بها رياض فى لورى ضخم حاملا الحقائب!!

وعندما وصلت نازلى إلى الفندق - فى مدينة برن كان فى استقبالها موظفو المفوضية ولاحظوا مشهداً مثيراً وغريباً، فقد رأوا رياض غالى ينزل من جانب سائق اللورى، ويقدم نفسه على أنه رياض غالى من القنصلية الملكية فى مارسيليا، ثم صعد مع الحقائب إلى جناح الملكة!! وبعد أن انتهى من إدخال كل الحقائب إلى جناح الملكة قالت له نازلى:

ـ إننى أتعبتك معى ؟ !

وفوجئت نازلى بـرياض وهو ينحنى ويقول لها :

ـ إن هذا شرف عظيم، لقد كنت أود لو أننى حملت كل هذه الحقائب على ظهرى ! ! إن اليوم هو أسعد أيام حياتى لأننى ركبت سيارة مع حقائب الملكة !

وفرحت نازلى بما تسمعه وسألته : ما اسمك ؟ !

ولدهشتها سمعته يقول لها : خادمك رياض غالى ! !

والتفتت نازلى ناحية الأميرة فتحية وقالت لها بالفرنسية : كم هو مؤدب ! !

وهنا تقدم رياض ليستأذن من الملكة في الانصراف قائلاً :

ـ كنت أود أن أبقى طول حياتى خادماً لك هنا، ولكنى مضطر لأن أعود إلى وظيفتى فى مارسيليا ! !

وببساطة شديدة قالت له نازلى : ابق هنا يوماً أو يومين ! !

واعتذر رياض لها بأن الأوامر تقضى بأن يعود، وفوجىء بالملكة تحسم الأمر بقولها :

ـ أنا أصدرت الأوامر بأن تبقى ! !

وبالفعل بقى رياض ! !

ويقول مصطفى أمين : إن وزارة الخارجية كانت قد حددت لـ رياض خمسة جنيهات كبدل سفر مادام فى خدمة الملكة، لكنه أخفى ذلك عنها وقال إنه قرر البقاء ليكون فى شرف خدمتها ! !

وبسرعة كسب رياض ثقة الملكة نازلى !

وذات مساء دعته لتناول طعام العشاء، وعزفت الموسيقى لحناً من ألحان التانجو وفجأة قالت نازلى لـ رياض : هل ترقص ؟ !

وقال رياض في هـدوء شديد ربما من فرط المفاجأة :

ـ إننى أتمنى أن أرقص معك مرة واحدة وأموت ! !

ونهضت الملكة نازلى لترقص مع رياض غالى، وأثناء الرقص قالت له :

ـ لو علموا فى مصر أنك رقصت معى لذبحوك ! !

وهز رياض غالى كتفيه وقال لـ نازلى : إنه الآن يتمنى أن يذبح كل يوم ! !

وظل رياض غالى يرافق الملكة نازلى فى كل ملهى ذهبت إليه، وشاركها الرقص فى كل مرة !

وفى شهر نوفمبر ١٩٤٦ تلقت وزارة الخارجية تقريراً سرياً جاء فيه أن الملكة نازلى ترقص كل ليلة مع رياض غالى ! !

وطلبت وزارة الخارجية فى الحال من المفوضية المصرية فى برن أن تأمر بعودة رياض غالى إلى مقر عمله فى مارسيليا على الفور ! !

وأبلغت المفوضية النبأ إلى رياض غالى الذى أبلغه بدوره إلى الملكة نازلى.. وكتبت نازلى إلى فاروق خطاباً تقول له فيه : إن التهم التى تكال لـرياض غالى غير صحيحة، وإنها لا ترقص معه، ولم ترقص أبداً أثناء وجودها فى سويسرا.

وتلقى فاروق أيضاً خطاباً مثيراً بتوقيع «المصريون الحريصون على كرامة بلادهم فى سويسرا» ومرفق بالخطاب صورة للملكة نازلى ترقص مع رياض غالى!!

واستولى الغضب على الملك فاروق!! ودعا كبار رجال الحاشية لاجتماع عاجل وهام لبحث هذه التصرفات التى تسىء إلى كافة الأطراف!! كان رأى رجال الحاشية ـ حسب مايقول مصطفى أمين ـ هو دعوة الملكة نازلى للعودة فوراً إلى مصر.. ولكن فاروق لم يصدر هذا القرار، واكتفى بأن أصدر أمراً بإحالة رياض غالى إلى المعاش!!

✪✪✪

وسمعت الملكة نازلى بقرار ابنها الملك، فهاجت وثارت، واستدعت الشاب رياض غالى وسألته عن مرتبه، ومنه عرفت أنه لايزال مربوطاً على الدرجة الخامسة، فقالت له نازلى إنها ستعطيه مائتى جنيه شهرياً من جيبها، وإنها عينته سكرتيراً خاصاً لها!!

ولم تكتف الملكة نازلى بذلك بل أرسلت إلى ابنها خطاباً شديد اللهجة والعبارات!

قالت نازلى لـفاروق فى هذا الخطاب: إن رياض غالى لن يموت من الجوع، وإنها تدفع له أضعاف مرتبه!! ولعل أكثر ماضايق فاروق فى رسالة والدته هو قولها إنها حريصة على كرامة الأسرة أكثر من الكلاب الذين يبلغونه عنها الترهات والأكاذيب. وكانت نازلى تقصد بالكلاب رجال الحاشية الذين يلتفون حوله!!

كانت تصرفات الملكة نازلى هى الصداع الذى لا يترك رأس الملك فاروق أبداً.

وذات يوم فى شهر فبراير ١٩٤٧ تلقى الملك فاروق تقريراً مثيراً من جنيف عن موظف مصرى شاب طلب من نازلى أن تغادر الملهى فوراً.

وراح الملك فاروق يقرأ هذا التقرير المثير الذى حفل بكل ماهو مثير للأعصاب!!

ذهبت الملكة إلى ملهى «مكسيم» بمدينة جنيف، وكانت ترتدى ثوباً أسود مطرزاً بالذهب على كتفيها وصدرها وكان الثوب فاتناً ولكنه يصلح للغانيات أكثر مما يصلح للملكات اللاتى أصبحن جدات، ومشى وراءها رياض غالى يتبختر فى بذلته الأنيقة المحبوكة وقد لمع شعره الأسود ويتدلى نصف منديله الحريرى من جيبه.

كانت الموسيقى تعزف ألحاناً صاخبة، والعشاق يتخاصرون ويرقصون على نغمات الجاز باند المجنون.. وجلست الملكة على كنبة وجلس إلى جانبها رياض غالى.

وكان يجلس إلى مائدة قريبة شاب مصرى وبعض السويسريين، وهنا أشاروا إلى الملكة هازئين وقالوا للشاب المصرى:

ـ هذه هى ملكتكم!! وثار الدم فى عروق الشاب المصرى.. وبينما هو فى حيرته قامت الملكة نازلى إلى حلبة الرقص، وقام وراءها رياض غالى وراح يرقص معها، ويدور بها ويلف معها، وينحنى وينثنى، ويتمايل إلى اليمين وإلى اليسار. وفجأة وقف الشاب المصرى والشرر يتطاير من عينيه، واتجه إلى حلبة الرقص، ثم توقف فجأة وكأنه تمالك نفسه، ثم ذهب إلى بار مجاور وجلس على أحد المقاعد العالية وراح يراقب الملكة !!

ولاحظت نازلى أن الشاب ينظر إليها شذراً فتوقفت وعادت إلى مقعدها!! وفى تلك اللحظة خرج الشاب من الملهى لعل الهواء يلطف أعصابه!!

وبعد عدة دقائق عاد الشاب من جديد إلى الداخل ليجد الملكة نازلى وقد عادت للرقص من جديد، لكن المثير هذه المرة أنها كانت هى ورياض الراقصين الوحيدين فى الحلبة..

لقد توهمت نازلى أو ظنت أن الشاب قد انصرف نهائياً، فعادت لترقص مع رياض غالى ولكن هذه المرة كان الرقص أكثر استفزازاً.

كان الشاب قد جلس إلى مائدته، وانتهى عزف الموسيقى، وعادت نازلى إلى مقعدها وهى سعيدة هانئة، فقد كان الرقص يهدىء من أعصابها الثائرة.. وفجأة اتجه الشاب المصرى إلى حيث تجلس الملكة وبجوارها رياض غالى وقال لها: تسمحين ياصاحبة الجلالة؟!

وبهدوء شديد تحركت الملكة نازلى وأفسحت مكاناً وقالت لهذا الشاب: تفضل. فيه إيه؟

وبهت رياض غالى من تصرف الملكة، وظهرت على وجهه علامة اعتراض على سماح نازلى للشاب بأن يجلس معهما، وفى تلك اللحظة وقفت الملكة وقالت للشاب:

ـ تسمح تخرج بره.. وتكلمنى بره؟! ومشت الملكة نازلى إلى شرفة خلف الملهى، ثم سار وراءها هذا الشاب الذى سرعان مالحق به رياض غالى وحاول منعه من اللحاق بـ نازلى وقال له: حضرتك عاوز إيه؟!

وفوجىء رياض غالى بالشاب يقول له:

ـ إن الملكة أمرتنى أن أتبعها إلى الشرفة.. وما شأنك أنت؟!

وما إن وصل الشاب إلى الشرفة حتى بادرته نازلى قائلة بغضب:

ـ إنت يا أفندى عايز إيه؟ عايز حاجة؟ عايز خدمة؟ أقدر أساعدك فى حاجة؟ محتاج لشىء!

وتمالك الشاب أعصابه ونفسه وقال للملكة:

ـ أنا اسمى صلاح نور موظف فى مكتب العمل الدولى. موظف فى الدرجة السادسة فى وزارة الشئون! فى إمكانك أن ترفتينى، فى إمكانك أن تحبسينى!!

وفى زهق وضيق سألته الملكة: أفندم!! عاوز إيه؟!

وعاد الشاب «صلاح نور» يقول لنازلى من جديد: أنا أتمنى لك كل سعادة، أتمنى لك أن تمضى وقتاً طيباً كما تشائين، وأن تتمتعى كما تريدين ولكن لا يكون هذا على حساب سمعة بلادى!

وقالت الملكة غاضبة له : إنت باين عليك شارب !

ورد الشاب يشرح للملكة نازلي : أنا لست سكران ، ولكنى أحدثك كمصرى يغار على سمعة بلاده وعلى كرامة الأسرة المالكة ! !

وهزت الملكة كتفيها ، وتركت الشاب «صلاح نور» واقفاً ، ومشت خارج الكباريه ووراءها رياض غالى» ! !

وشاهد السويسريون هذا المشهد ولم يفهموا حرفاً واحداً مما يدور باللغة التى كانوا يجهلونها ، وعاد صلاح نور إلى مقعده وتصور أن المسألة انتهت عند هذا الحد ! !

✪✪✪

وثارت الملكة نازلى ولم تهدأ إلا بعد أن قال لها رياض غالى إن قانون العقوبات المصرى يقضى بسجن من يعيب فى ذات الملكة بخمس سنوات ، واتصلت نازلى بمفوضية مصر فى برن وأبلغتها احتجاجها الشديد على الشاب الوقح الذى أهانها فى الملهى وطلبت ضرورة إخراجه فوراً من سويسرا ، وأنها كانت تريد أن تقوم بتسليمه للبوليس ولكنها لم تشأ ذلك حتى لا يتحول الأمر إلى فضيحة ! !

واتصل قنصل مصر فى برن بالشاب صلاح نور وسأله : ماذا حدث بالضبط ؟ فروى الشاب ماحدث وكيف أنه رأى ملكة مصر ترقص مع رياض غالى ، وأنه وجد أن رقصها غير لائق ، وأنه لم يتحمل منظر ملكة مصر المسلمة ترقص فذهب إليها يوجه نظرها إلى أن فى عملها هذا اعتداء على سمعة البلاد وأنه حرص على أن يكون حديثه معها حديثاً خاصاً لا يسمعه أحد ! !

وقال القنصل لـصلاح نور إن الملكة نازلى ثائرة جداً ويجب أن تعتذر لها ! !

لكن صلاح نور رفض أن يعتذر وقال للقنصل إنه قام بواجبه كمصرى ، وإنه كان يرجو لو أن المفوضية هى التى قامت بهذا الواجب بدلاً منه ! ! وأنه لن يتردد أن يفعل ذلك مرة ثانية إذا رأى الملكة ترقص فى ملهى ! !

وشاعت الحكاية ، وترددت تفاصيلها بين الطلبة المصريين فى سويسرا ، واتفق بعضهم على أنهم إذا رأوا الملكة مرة أخرى ترقص فسيفعلون تماماً مثلما فعل صلاح نور ! ! وأكثر من ذلك فإنهم سيقومون بضرب الملكة نازلى علنا ! !

وجرت مساع متعددة لتسوية تلك المشكلة ، واتصل أحد سكرتيرى الملكة نازلى بـصلاح نور ودعاه لمقابلة الملكة فى الساعة السابعة بفندق «بوريفاج» ، وذهب صلاح نور إلى الفندق فى الموعد المحدد ، ولم تستقبله نازلى . وبعد حوالى ربع ساعة من الانتظار نزل من جناحها رياض غالى وتقدم إلى صلاح نور وقال له :

ـ إن جلالة الملكة تفضلت وغفرت لك مافعلت وعفت عنك . . إيه رأيك فى هذا العفو ؟ !

بهدوء شديد رد صلاح بقوله :

ـ أتريد رأيى كدبلوماسى ؟ ! أم رأيى كمصرى ؟ ! أم رأيى كمسلم ؟ !

اندهش رياض غالى لكنه قال : كما تريد ؟ !

فقال صلاح نور له : سأقول لك رأيى بالصفات الثلاث ! أما رأيى كدبلوماسى فأننى أشكر الملكة على تفضلها بالعفو الكريم علىّ، أما رأيى كمصرى وكمسلم فهو «طظ ياسى رياض» ! !

. . . .

وانتهى الملك فاروق من قراءة التقرير كاملاً . . وأعاد قراءة تقرير آخر كان قد تسلمه من برن جاء فيه أن المصريين قد ضاقوا ذرعاً بالملكة نازلى، وأنها تتردد مع رياض غالى على الملاهى وأنهم قرروا الاعتداء عليها ! !

وساد رأى داخل القصر مؤداه أن يتم الاستعانة بالبوليس الفرنسى للقبض على رياض غالى بحجة أنه سرق أموالا من القنصلية ! !

وأحس رياض غالى بأن المصريين فى أوروبا يتربصون به وازداد شعوره بالخطر على حياته ! ! أما نازلى فلم تهتم أو تبال بكل ماجرى وماحدث فى تلك الأيام ! !

وفى شهر مارس ١٩٤٧ اهتز قصر عابدين لمكالمة تليفونية كان صاحبها هو عبدالفتاح عمرو السفير المصرى فى لندن، والذى طلب فى مكالمته إبلاغ الملك فاروق برسالة عاجلة تقول بالحرف الواحد :

ـ علمت أن الملكة قادمة إلى لندن . امنعوا حضورها إلى إنجلترا بأى ثمن ! ! ثم قام عبدالفتاح عمرو كذلك بالاتصال برئيس الوزراء «النقراشى» باشا تليفونيا وقال له أيضاً :

ـ علمت أن الملكة نازلى ستزور لندن، وأنت تعلم أن العلاقات أصبحت سيئة بعد قطع المفاوضات، وأخشى أن تنتهز الصحف الإنجليزية الفرصة وتنشر أنباء عن تصرفاتها فتكون فضيحة، ولهذا أرجو منع الملكة نازلى من دخول إنجلترا .

ووضع رئيس الوزراء سماعة التليفون وهو فى قمة الدهشة، وطلب على الفور مقابلة الملك فاروق . وتكهرب الجو وتوتر فى السفارة المصرية فى باريس، وتوالت البرقيات من القاهرة كل نصف ساعة . . وكانت كل مهمة السفير وكبار موظفى السفارة هى فك برقيات الشفرة الواردة من القاهرة ! !

وبذلت السفارة المصرية كل جهودها وما فى وسعها مع الملكة، وأخذت تتوسل إليها ألا تسافر إلى لندن، ولكن نازلى ركبت رأسها وقالت إنها ستسافر إلى لندن وليكن مايكون !

ونقلت إليها السفارة رجاء النقراشى باشا بأن تعدل عن السفر، فهزت كتفيها وقالت إنها ستسافر وإنها على استعداد لأن تعلن تنازلها عن اللقب .

وجاء عرض الوسطاء على الملكة نازلى بإعادة رياض غالى إلى منصبه وإجابة جميع مطالبها المالية وتقديم اعتذار رسمى من فاروق لها على ما أسمته «الإهانات الى لحقت بها» لكن نازلى ركبت رأسها أكثر ورفضت ذلك كله وأعلنت أنها قررت السفر إلى لندن وأنها تنوى أن «تشوف شغلها» وأن تشتغل بالمسائل الاقتصادية !

فشلت كل تلك المحاولات، بينما كانت السفارة تستقبل البرقيات ولا يخرج مضمونها عن: امنعوها من السفر إلى لندن.. استعملوا كل الوسائل لمنعها.

وفشلت كل المساعى مع نازلى!!

وذات يوم تلقت القاهرة البرقية الكئيبة التالية من باريس: «فشلت جميع المساعى. لم يكن فى إمكاننا أن نمنعها إلا بالقوة ولا نستطيع استعمالها. ستسافر الملكة غداً إلى لندن ومعها الأميرتان ورياض غالى.

وأحيلت البرقية إلى عبدالفتاح عمرو باشا الذى كان موجوداً فى القاهرة ليحضر الاجتماعات التى يقوم بها رئيس الوزراء «النقراشى» مع السير روبرت هاو حاكم السودان الجديد الذى كان يمر بالقاهرة لتسلم منصبه لأول مرة.

وفى ٢٩ أبريل ١٩٤٧ تسلمت القاهرة برقية عاجلة من مفوضية مصر فى برن تقول: غادرت الملكة نازلى جنيف إلى نيس فى طريقها إلى لندن. الملكة تحت الحراسة.

وحسب مايقول مصطفى أمين فقد اتصل السفير عبدالفتاح عمرو بالسفارة المصرية فى لندن وطلب من الوزير المفوض حسين سعيد اتخاذ إجراءات معينة وإحاطتها بسرية تامة!

وفى ٣ مايو كان السفير عبدالفتاح عمرو قد وصل إلى لندن وأسرع إلى السفارة ليضع خطة «حصار» الملكة نازلى!!

وبدأت الخطة بمجرد وصول نازلى بالفعل، فقد فوجئت بأن رجال البوليس السرى يقفون أمام غرفتها فى فندق كلاريدج فى لندن، ولا تكاد تمشى خطوة حتى تجد من يتبعها كظلها!!

أحست الملكة بالضيق والغضب وأن إقامتها بهذا الشكل مستحيلة، فذهبت تشكو إلى عبدالفتاح عمر!! لكن السفير اعتذر بأنه لا يعلم شيئاً! وكل مايعلمه أن العلاقات بين مصر وإنجلترا مضطربة، ولهذا فإن بوليس «سكوتلاند يارد» اتخذ هذه الاحتياطات للمحافظة على حياتها!!

ومضى السفير يقول للملكة فى لباقة ودبلوماسية: إن الموقف السياسى دقيق جداً، وإن رئيس الوزراء «النقراشى» سيسافر إلى أمريكا لعرض قضية مصر على مجلس الأمن، وإنه ينصح الملكة بالعودة إلى مصر!!

ورفضت نازلى الاستماع إلى نصيحة عبدالفتاح عمرو بالعودة إلى مصر، لكنها أحست بالخوف على حياتها فى لندن!!

وقام السفير عبدالفتاح عمرو باستدعاء رياض غالى إلى مبنى السفارة وقال له: إنه مكلف بأن يبلغه بأن مصر تعتبر وجود الملكة فى لندن وظهورها فى المجتمعات «خيانة وطنية» وأن الصحف الإنجليزية تنوى مهاجمتها هجوماً عنيفاً، وأنه لا يستطيع أن يقفل فم هذه الصحف مادامت الملكة فى إنجلترا!! ثم نصحه بأن يعود إلى مصر.

✪✪✪

وطوال ذلك الوقت لم تتوقف التقارير السرية عن سلوك نازلى!!

كان الملك فاروق يقرأ هذه التقارير بكثير من الغيظ وقليل من الدهشة، فلم يكن يتصور أن «أمه» سوف تفعل كل ذلك !!

كان فاروق يتصور أن نازلى أمه، على الأقل ستراعى مشاعره - كابن، ومكانته - كملك - وسمعته كرجل شرقى !! لكن نازلى لم يكن يهمها إلا نازلى وحدها !!

وحتى لو كانت نازلى لاحظت أو أدركت أنها مراقبة من عشرات العيون، فإنها لم تتراجع عما كانت تفعله !!

كانت تصرفات نازلى - كما رصدتها التقارير مؤلمة ومزعجة ومثيرة للقلق والغيظ بالنسبة للملك فاروق وغيره أيضاً !!

وجاء فى تقرير بتاريخ ٦ أبريل ١٩٤٧ مايلى:

«لوحظ أن الملكة نازلى تتناول طعام إفطارها فى الفندق يومياً مع رياض غالى وهو الحاكم بأمره فى الحاشية الملكية، ويبدى أفراد الحاشية استياءهم لنفوذه الذى يزداد وسيطرته الكاملة على الملكة».

وفى تقرير آخر بتاريخ ٢٧ أبريل ١٩٤٧ جاء:

«قالت الملكة نازلى : إنها إذا أرادت أن تختار بين صداقتها لـ رياض غالى وبنوتها لـ فاروق فإنها ستختار صداقة رياض غالى لأن فاروق أثبت فى كل ممارسة أنه ابن عاق أما رياض غالى فقد أثبت أنه ولد مخلص.. والمعروف الآن أن رياض غالى قد استحوذ على أموال الملكة، وأنها لا تأتمن سواه على صندوق مجوهراتها، وهى تهدد بطرد كل شخص فى الحاشية لا يأتمر بأمر رياض غالى».

ويقول تقرير بتاريخ ٨ مايو ١٩٤٧ «قالت الملكة نازلى: إنها ستهاجر إلى أمريكا، وإنه معروض على رياض غالى مناصب كبيرة جداً فى شركات مالية وصناعية فى أمريكا، وإنه يستطيع أن يكون مليونيراً إذا أراد، ولكنه فضل أن يبقى فى خدمتها ولاء منه وإخلاصاً !».

ويقول رجال البوليس السرى الذين كلفتهم السفارة بأن يتولوا حراسة الملكة نازلى: «إن رياض غالى هو المتصرف فى شئونها، وإن الأميرتين قبل سفرهما مع الملكة لم تكونا لتستطيعا شراء أى شىء إلا بأذنه وبموافقته.. وعندما كان يمرض رياض غالى كانت الملكة هى التى تقوم بتطبيبه والعناية به».

وبعيداً عن كل ماجاء فى التقارير - وهو صحيح - فإن سيطرة رياض غالى على الملكة نازلى بدأت تقوى وتشتد !! وبعد أن كان فى خدمة الملكة أصبحت الملكة نازلى هى التى فى خدمته تماماً !! وصارت الملكة لا تستطيع أن تبرم أمراً أو تبت فى شىء بغير الرجوع إلى رياض غالى.

فمن هو رياض غالى؟! ما حكايته؟! ما أصله وفصله؟! وكيف استطاع بهذه السهولة أن يحل محل أحمد حسنين - الذى مات قبل عام - فى قلب وعقل الملكة نازلى !!

باختصار شديد ـ وكما يقول مصطفى أمين ـ إن رياض غالى كانت له خبرة خاصة فى الحصول على ثقة العجائز من السيدات ! !

ففى عام ١٩٤٠ كان رياض طالباً بكلية التجارة، وكان كل أمله فى الحياة أن يظهر فى المجتمعات، وذات يوم دخل مستشفى «بابا يانو» فى القاهرة لإجراء عملية «المصران الأعور»، وبينما كان يسير فى ممرات المستشفى أثناء فترة نقاهته فوجىء بسيدة شقراء فى الأربعين من عمرها تسرع نحوه وتعانقه وهى تقول: ولدى.. ولدى ! !

لم تكن هذه السيدة هى أمه، بل كانت السيدة «كاوازوى» زوجة سكرتير المفوضية اليابانية فى القاهرة. وهى سيدة روسية الأصل رزقت بولد من زوج روسى مات فى الحرب العالمية الأولى، وقتل ابنها الوحيد فى إيران ثم تزوجت السكرتير اليابانى، وبالصدفة كانت فى المستشفى تجرى عملية عندما رأت رياض غالى وتصورت أنه ابنها وقد بُعث من جديد فى القاهرة.

إن أى شاب فى مكان رياض غالى كان سيعتبر هذه السيدة مجنونة ويفر هارباً من أمامها، لكن رياض غالى جلس يحادثها ويلاطفها، بل قدمها لأمه ولوالده، وطلبت هذه السيدة أن تتبناه.. وأصبحت لاتفارقه أبداً وقدمته بدورها إلى الوزير اليابانى المفوض وكان يدعى إلى الحفلات الرسمية، وأثناء الحرب العالمية الثانية باعه الوزير ثلاث سيارات بمبلغ ألف وثلاثمائة جنيه، وبسرعة ـ وهذا هو الأهم ـ استولى رياض على هذه السيدة وسيطر عليها ! !

وقد استطاع فى عهد النحاس باشا رئيس الوزراء أن ينال علاوتين استثنائيتين. وكتب مكرم عبيد فى «الكتاب الأسود» أن سر العلاوتين أن رياض غالى باع لـ النحاس وهو رئيس وزارة سيارة (وهى إحدى سيارات الوزير اليابانى).

وكان رياض غالى يعنى كثيراً بهندامه، وكان راقصاً ممتازاً، وكانت وزارة الخارجية لا تنظر بارتياح إلى نشاطه النسائى، وتقرر نقله إلى قنصلية الكونغو ولم تعجبه الحياة هناك فعاد إلى القاهرة ثم بذل جهوداً لدى وزارة الخارجية حتى تم نقله إلى قنصلية مصر فى مارسيليا أمينا للمحفوظات، ثم انتدبته القنصلية المصرية ليكون فى خدمة الملكة نازلى ! ! ويضيف مصطفى أمين: ومن هذه السيدة اليابانية العجوز تعلم رياض غالى أشياء كثيرة، فقد كان بينها وبين الملكة نازلى شبه فى الأخلاق وفى الظروف لا يخطر على بال: كلتا السيدتين تجاوزت الشباب، وكلتا السيدتين حرمت حب ولدها ! ! وكلتا السيدتين تعيش على ذكريات الماضى.

✪✪✪

وهكذا قررت الملكة نازلى أن تغادر لندن ! ! لكن فرحة السفير المصرى لم تكتمل، فقد قررت الملكة أن تسافر إلى الولايات المتحدة ومعها الأميرتان ورياض غالى ! !

وبدأت الكارثة ! !

نازلی آخر من يعلم

.. لم يصدق السفير المصرى أذنيه عندما قالت له الملكة نازلى إنها ستغادر لندن فى طريقها إلى الولايات المتحدة!!

كان قرار الملكة بالسفر إلى أمريكا فى ذلك الوقت كارثة بكل المقاييس والمعايير!!

وفى الحال أبرق عبدالفتاح عمرو إلى القاهرة ليخطرهم بأن نازلى قررت السفر إلى الولايات المتحدة على الباخرة «كوين إليزابيث»!!

وعندما قرأ النقراشى باشا هذه البرقية استشاط غضباً وقال لمن حوله:

ـ أنا مش عارف الاقيها منين ولا منين؟! هل أنا أشتغل مع عقلاء أم مجانين؟! كيف تقرر الملكة نازلى أن تسافر إلى نيويورك فى نفس الوقت الذى أسافر فيه لعرض قضية مصر على مجلس الأمن؟!

واتصل النقراشى ثانية بـعبدالفتاح عمرو وطلب منه أن يعاود الإلحاح على الملكة بعدم السفر إلى أمريكا!! ورغم كل المحاولات التى بذلها عبدالفتاح عمرو فقد فشل فى مهمته، وأصرت نازلى على السفر!!

ومساء السبت العاشر من مايو ١٩٤٧ كانت نازلى قد وصلت إلى نيويورك بالفعل!!

ولم يكد رئيس الوزراء يتخلص من مطب إلا ويقع فى مطب آخر، واهتدى النقراشى إلى حل آخر بأن كلف رسولاً من عنده بالذهاب إلى نازلى وإقناعها بأن تترك نيويورك وتذهب إلى سان فرانسيسكو طوال فترة نظر مجلس الأمن لقضية مصر. أما رسالة النقراشى التى حملها الرسول إلى الملكة، فكانت تقول:

«إن النقراشى يهنئك بسلامة الوصول، ويوجه نظر جلالتك إلى أن قضية مصر معروضة الآن أمام مجلس الأمن، وأن وجودك فى أمريكا ضار بالقضية. إن النقراشى يرجو من جلالتك أن تتركى مدينة نيويورك، وألا تدلى بأى تصريحات للصحف وألا تظهرى فى أية مجتمعات، وأن تنسى مؤقتاً الخلاف الذى بينك وبين ولدك، ولقد قامت الحكومة بالواجب نحوك ومنعت أى إجراء يتخذ ضدك، ولهذا فنحن نطلب منك أن تردى لنا الجميل وأن تسكتى وألا تقولى شيئاً مطلقاً فى هذه الظروف، وأن تكونى فى سان فرانسيسكو أثناء وجود الوفد المصرى فى مجلس الأمن».

ووعدت الملكة نازلى بمجرد تسلمها رسالة النقراشى بأن تسكت تماماً، وأنها مريضة ومن شدة آلام الكلى لا تستطيع أن تقول آه!!

ولم يكد النقراشي يتسلم رد الملكة حتى فوجىء ببرقية تذيعها وكالة الأنباء العربية تتعلق بالملكة نازلى!! وطار النوم من عينى رئيس الوزراء تماماً!!

لم يصدق رئيس الوزراء النقراشي باشا عينيه وهو يقرأ سطور البرقية التى وردت من واشنطن بتاريخ ١٨ مايو ١٩٤٧.

كانت البرقية تقول: إن سفير مصر محمود حسن سيقيم حفلة استقبال فى فندق ولدورف استوريا بنيويورك مساء الخميس ٢٢ مايو تكريماً للملكة نازلى!!

غضب رئيس الوزراء وثار واتصل بالملك فاروق قائلاً له:

- لقد اتفقت مع الملكة نازلى على ألا تفتح فمها وألا يظهر اسمها فى أمريكا فكيف تقام لها حفلة تكريم؟!

واحتار الملك فاروق بماذا يرد على رئيس الوزراء؟!

وأبلغ النقراشي الملك أنه لايستطيع أن يذهب إلى أمريكا بينما تقام حفلات ساهرة للملكة وأنه كان يريد ألا يذكر شيء عن مصر فى هذا الوقت إلا مسألة قضيتها أمام مجلس الأمن!

وكان أول خاطر طاف ببال الملك وقتها أن والدته الملكة «نازلى» بدأت حملتها لفضحه فى كل أمريكا!!

وبدأ الملك فاروق محاولة لتطويق الملكة نازلى، وكانت البداية عبر اتصال تليفونى جرى بين قصر عابدين وسفارة مصر، وطلب «حسن يوسف» وكيل الديوان الملكى من السفير إلغاء حفلة التكريم ولا تقام إطلاقاً حسب أمر جلالة الملك!!

ورد السفير بدهشة قائلاً:

- لا يمكننى، ستكون هذه فضيحة عالمية، لقد وزعنا بطاقات الدعوة، وكتبت الصحف عن الحفلة!!

وعاد وكيل الديوان يقول:

- إن الأوامر إلا تقام هذه الحفلة مطلقاً.. وهذه تعليمات الحكومة أيضاً!!

ورد السفير يقول:

- هذا مستحيل، إن عملا كهذا سيكون له أسوأ الأثر، وهل يريد الملك تهدئة الملكة أو إثارتها فى هذه الظروف؟!

وعاد وكيل الديوان ليقول إن الظروف الحاضرة لا تسمح بمثل هذه الحفلات للملكة نازلى ومن ثم يجب إلغاؤها.

وقال السفير: اتصلوا أنتم بالملكة، وإلا فإننى أضع استقالتى بين يدى الملك وإن استقالتى موجودة عند رئيس الحكومة من وقت طويل فأرجو اعتبارها سارية من اليوم!!

وأكد «حسن يوسف» على السفير بأن هذه الحفلة يجب ألا تقام بأى ثمن.. وعليه أن يتصرف!!

وقرر سفير مصر أن يتصل بجلالة الملكة «نازلى» فى الحال، وكانت وقتها مشغولة فى اختيار الثوب الذى سترتديه فى الحفلة الساهرة الكبرى ! !

قال السفير : صباح الخير ياجلالة الملكة !

ردت الملكة : صباح الخير ياسعادة السفير .

قال السفير : أرجو أن تكون الصحة طيبة ، ولقد علمت أن جلالتك لا تزالين متعبة من الرحلة الطويلة ؟ !

ردت الملكة : ابداً إن صحتى جيدة جداً وأنا أستعد لحضور حفلتك وأنتظرها بفارغ الصبر ! !

حسب شهادة «مصطفى أمين» فقد كان السفير يأمل ويتمنى أن تكون الملكة متعبة ، وأن تعتذر عن عدم حضور الحفلة ، أو أن تكون قد أصيبت بأزمة من أزمات الكلى التى قالت إنها تصاب بها كل ٢٤ ساعة ، ولكن شيئاً من هذا كله لم يحدث ! !

وقرر السفير أن يلجأ إلى حيلة أخرى مع الملكة نازلى بأن قال لها إن والدة الرئيس الأمريكى «ترومان» مريضة جداً وتصدر نشرات طبية عن صحتها كل ساعتين ويخشى أن تموت فيتم تأجيل الحفلة ، ولهذا فمن الأحوط أن يتم تأجيل الحفلة من الآن !

وفوجىء السفير بالملكة نازلى تقول له ببساطة : إن شاء الله لن يحدث شىء من هذا ، إننى أنتظر هذه الحفلة بفارغ الصبر ، ولا أظن أن أم ترومان ستموت ، إنها سيدة عجوز ، وهذه أزمات تحدث للسيدات العجائز ولا يمتن منها ! !

✪✪✪

وأخيراً لم يجد السفير مفراً من أن يخبر الملكة ببعض الحقيقة التى كان يخفيها عنها وقال :

ـ وكمان السراى ترى أن الوقت الحاضر غير مناسب لإقامة الحفلة ! !

وما كادت الملكة «نازلى» تسمع كلمة السراى حتى انفجرت فى السفير غاضبة ، وثارت قائلة :

ـ السراى مش عاوزة تقام حفلة لى ! ! السراى تعترض على تكريم أم الملك ، ورأيى أن تقام الحفلة . . ولن أقبل مطلقاً هذه الإهانة ! !

وقال السفير مستسلماً :

ـ أنا شخصياً لن ألغى هذه الحفلة إلا إذا كانت هذه رغبتك ، وسأتصل بك غداً لأسمع رأيك !

ردت الملكة بحسم قائلة : قلت لك رأيى ، ورأيى اليوم هو رأيى غداً ! !

وأنهى السفير المكالمة بأنه سيكلم جلالة الملكة فى الغد يسألها عن صحتها ! !

وفى الصباح بادرت الملكة نازلى بالاتصال بالسفير المصرى وسألته :

ـ كيف صحة أم ترومان ؟ !

قال السفير : نصف .. نصف ! !

قالت الملكة : المشكلة ليست مشكلة أم ترومان إنما هى مشكلة أم فاروق ، إننى أعتقد أن الحاشية التى حول فاروق هى التى ضحكت عليه ! !

وقال السفير للملكة : لقد وجدت حلاً .. إننا لن نلغى الحفلة ، ولن أخضع لأوامر مصر وإنما سوف نؤجلها فقط ، وأظن أننا نستطيع خلال هذه الفترة أن نقنع القاهرة بوجهة نظرنا ، وعلى كل حال أنا أترك المسألة لتقديرك ، وأنا مستعد أن أقيم الحفلة وأستقيل ! !

وقالت الملكة : اللى تشوفه ! !

انتهت المكالمة وتصور السفير أن المشكلة قد تم حلها ، وفجأة دق جرس التليفون وكان المتحدث حسن يوسف وكيل الديوان الملكى الذى سأله :

ـ ماذا فعلت ؟ ! هل ألغيت الحفلة ؟ !

رد السفير بقوله : إن الملكة قبلت تأجيل الحفلة ! ! لكنى أحب أن أقول لكم إن هذه الطريقة غير مستحبة ، فسوف تقام حفلة ساهرة للملكة فى نيويورك ولكن لن يقيمها سفير مصر وزوجة سفير مصر ، بل ستقيم الحفلة المليونيرة مسز فاندربلت ، وقد قبلت الملكة دعوتها ، ولا يمكن إقناع مسز فاندربلت هى الأخرى بأن تلغى حفلتها ، وستكون النتيجة أن تقدم مسز فاندربلت ملكة مصر إلى الناس بدلاً من أن تقوم بهذه المهمة زوجة سفير مصر ..

وتنهد وكيل الديوان حسن يوسف وقال : يعنى ماعملناش حاجة ! !

وأذاع القصر الملكى يوم ٢٢ مايو ١٩٤٧ بياناً ملكياً تولت الصحف نشره وجاء فيه مايلى :

«ورد فى بعض الأنباء البرقية الأخيرة أن سعادة محمود حسن باشا سفير مصر فى أمريكا سيقيم حفلة استقبال فى فندق والدروف استوريا بنيويورك لجلالة الملكة نازلى ، وقد نفت لنا المصادر العليمة ماجاء فى هذه البرقية ..

وفى مساء نفس اليوم كانت الملكة نازلى والأميرتان ورياض غالى قد ذهبوا لمشاهدة رواية مسرحية اسمها «عيد ميلاد سعيد» ، وارتدت نازلى ثوبها الذى كانت سترتديه فى حفلة السفير ، وارتدت الأميرة فتحية ثوباً رائعاً ، ووضعت فى صدرها دبوساً ثميناً مكوناً من ٣٦ حجراً ماسياً و٢٦ حجراً من الزفير ..

وبعد انتهاء الحفلة اكتشفت فتحية ضياع الدبوس الثمين ، واستنجدت تليفونياً بـ رياض غالى الذى استطاع بعد جهد كبير وبحث مستمر أن يعثر على الدبوس ، واتجه إلى غرفة الأميرة فتحية التى كانت لا تزال تبكى وتنتحب وقال لها ببساطة :

ـ ماذا تعطينني لو وجدت الدبوس ؟ !

وقالت له من وسط دموعها الغزيزة :

ـ أعطيك ما تشاء.. أعطيك أى شيء تطلبه !!

وأخرج رياض غالى الدبوس من جيبه وأعطاه لـ فتحية، ولدهشته الشديدة وجدها تقبله قائلة له بسعادة حقيقية: ربنا يخليك يا رياض!! ثم عادت تقول له:

ـ لقد وعدتك بأن أعطيك ماتتمناه .. فاطلب ماتشاء؟!

وقال لها رياض غالى: لقد أخذت كل ما أتمناه وكانت أمنيتى أن أرى ابتسامة السعادة على شفتيك فرأيتها!!

ولم يرض رياض أن يطلب شيئاً من فتحية، فازدادت إعجاباً به وتأكد لها صدق ماتقوله عنه أمها جلالة الملكة نازلى ومؤداه أن فاروق يكره رياض لأنه يخلص لها وأن القصر يكرهه لأنه يتفانى فى خدمة الملكة، وأن الحكومة المصرية تريد رأسه لأنه قال إنى لا أتلقى أوامرى إلا من جلالة الملكة!!

وكانت فتحية حتى ذلك الوقت ـ ١٧ سنة ـ لم تكن قد شاهدت شاباً وكان كل الرجال الذين تراهم من العجائز، ولهذا كان رياض غالى ـ حسب شهادة مصطفى أمين ـ هو فتاها الأول وهو الفارس الجميل الذى دخل فجأة إلى حياتها، وكانت ترى فيه فارساً من فرسان القصص والروايات الغرامية، الرجل الذى يستطيع أن يفعل العجائب، ثم زاد إعجابها به عندما علمت أنه اشترى مسدساً سريع الطلقات ليحمى الملكة نازلى والأميرتان من اللصوص!

وجاء موعد حفلة المليونيرة فاندر بلت مساء الأربعاء ٢٨ مايو ١٩٤٧، وكان رأى الملكة نازلى أن لا تذهب فتحية إلى الحفل لأنها لاتزال صغيرة، وتضايقت فتحية، ووقف رياض يدافع عنها ويطالب بأن تذهب فتحية معهما، وأصرت نازلى على رفض ذلك!!

صحيح أن نازلى فرضت رأيها، لكن رياض كان قد تسلل إلى قلب الأميرة الصغيرة ليس فقط بوصفه الفارس والمنقذ ولكن الحامى أيضاً!!

✪✪✪

واقترب موعد نظر قضية مصر على مجلس الأمن!!

وسافر النقراشى باشا رئيس الوزراء إلى الإسكندرية لمقابلة الملك فاروق قبل سفره إلى نيويورك، وسأله الملك: هل أنت مستعد للسفر إلى مجلس الأمن؟!

وقال النقراشى للملك: إنه استعد لكل شيء ماعدا شيئاً واحداً فقط وهو والدتك الملكة نازلى.. إننى أخشى أن تفعل فصلاً بارداً بينما أنا أعرض قضية مصر على مجلس الأمن، أخشى أن تذهب إلى كباريه وترقص هناك أو تدلى بتصريح، أو تقول عبارة لا تتفق مع جلال الموقف الذى نحن فيه، وقد سبق أن أرسلت لها رسولاً أتوسل إليها أن تعود إلى مصر! أو على الأقل أن تغادر أمريكا أثناء عرض قضية مصر فلم أتلق رداً!!

وقال الملك فاروق لـ النقراشى باشا:

ـ وأنا حاولت أن أعيدها وفشلت ولا أعرف ماذا أفعل؟! إنك تستطيع أن تذهب إليها وتعود بها من هناك؟!

وقال النقراشي للملك فاروق :

ـ إن مهمتي هي إجلاء الإنجليز عن مصر ، لا إجلاء الملكة نازلي عن أمريكا ، وأنا لا أريد أن أتصل بها ، وكل رجائي أن تطلب منها أن تترك أمريكا في أثناء وجودي فيها ، لأن قضيتنا لا تحتمل مطلقاً أن يثار شيء في الصحف عن الملكة نازلي في أثناء وجودي هناك .

ـ سأحاول ، ولكن أنت تعرف أن رأس الملكة نازلي ناشف ! !

ووصل النقراشي إلى نيويورك يوم ٢٣ يوليو ١٩٤٧ ، وكان أول مافعله أن اتصل بالملكة نازلي تليفونيا وطلب منها أن تختفي عن الأنظار نهائياً طوال نظر قضية مصر في مجلس الأمن ، وأنه يقول لها ذلك باسم الحكومة وليس باسم فاروق !

وأخبرته الملكة نازلي بأنها مريضة ، ودعا لها النقراشي بالشفاء ، لكنه أكد لها أن أي ضجة ستحدث في أمريكا بسببها سيكون لها أوخم العواقب ، ووعدته الملكة بالسكوت ! !

وهكذا اختفت الملكة نازلي من المجتمعات تماماً تنفيذاً للوعد الذي قطعته على نفسها ! !

وبدأ مجلس الأمن في مناقشة قضية مصر ، وبينما كان النقراشي يتحدث في جلسة يوم عشرة سبتمبر تسلم ورقة تفيد بأن الملكة نازلي مريضة جداً وترغب في رؤيته !

وانتهت جلسة مجلس الأمن ، واتصل النقراشي بمستشفى مايو كلينيك وعلم من الأطباء أنهم قرروا إجراء عملية جراحية دقيقة للملكة نازلي ! !

ووصل النقراشي باشا إلى المستشفى واجتمع بالأطباء وقالوا له إن العملية دقيقة جداً وإنهم لا يأخذون على أنفسهم مسئولية إجرائها ! ! فقال لهم : وأنا أطلب منكم إجراءها بصفتي رئيس وزارة مصر ! !

وتم إجراء العملية لـ نازلي واستغرقت ثلاث ساعات ، واستخرجت من إحدى كابتيها عشرون حصاة ، ولم يستطع الأطباء إجراء العملية الثانية في الكلية الأخرى في نفس اليوم ، ورأوا ضرورة تأجيلها حتى تتحسن صحتها ! !

✪✪✪

ووجد السفير المصري أن من واجبه أن يسأل عن صحة الملكة نازلي فاتصل بها في المستشفى تليفونياً وردت عليه إحدى وصيفات الملكة نازلي وهي تبكي وقالت له إن جلالة الملكة على فراش الموت ! !

واتصل السفير بقصر عابدين ليبلغهم أن صحة الملكة تجتاز مرحلة خطيرة . واستدعى الملك فاروق وكيل الديوان الملكي حسن يوسف وقال له :

ـ خلاص . . خلصنا من الملكة نازلي ! !

وسأل وكيل الديوان منزعجاً : هل ماتت ؟ !

قال فاروق : لا . . ستموت ! ! ياتلحقها يا ماتلحقهاش ! ! إنني أريد منك أن تسافر إلى أمريكا لتسلم الجثة ! !

واندهش حسن يوسف وقال للملك : أية جثة مادامت الملكة لم تمت بعد ؟ ! وقال له فاروق مؤكداً وواثقاً : إنك لن تصل إلى أمريكا حتى تجد الجثة جاهزة . ومهمتك أن تسافر إلى أمريكا لتسلمها ! !

ووافق فاروق على اقتراح حسن يوسف بأن يصحب معه زوجته لتستطيع العناية بالأميرتين فايقة وفتحية أثناء انشغاله بالإشراف على ترتيبات الجنازة وتحنيط الجثة ! !

ووصل وكيل الديوان حسن يوسف وحرمه إلى أمريكا ، وذهب إلى المستشفى . وكان أول سؤال للطبيب هو : متى يتوقع أن تنتقل الملكة نازلى إلى رحمة الله ؟ !

وقال الطبيب مندهشاً : إن صحة الملكة حسنة وهى فى تحسن مستمر ! !

وتصور حسن يوسف أن الطبيب الأمريكى يكذب عليه ، لكن عندما قامت نازلى باستقبال حسن يوسف وزوجته فى غرفتها بالمستشفى كانت فعلاً فى صحة جيدة .. بل تبادلت الحديث معهما وهى جالسة فى سريرها ! !

وحسب القنبلة التى يفجرها مصطفى أمين فإنه فى تلك الأيام بالضبط بدأت قصة غرام فتحية بـ رياض غالى ، فعندما دخلت نازلى المستشفى أحست فتحية بالوحدة القاتلة ، بل أحست أنه لم يبق لها أحد فى الحياة ، فقد أمضت طفولتها كلها تعيش مع أمها الملكة فى غرفة واحدة ، وتنام معها فى نفس الغرفة ! !

وذات ليلة بقيت فتحية ساهرة إلى أن نامت نازلى بالمورفين ، وأمام الفراش اعترف رياض لـ فتحية بأنه يحبها ! ! ، وإذا بها تبكى وتضع يدها فى يده وتقول له : وأنا أحبك أيضاً ! !

كان عمر فتحية فى ذلك الوقت ستة عشر عاماً وعشرة شهور بالضبط ! !

وعندما وصل وكيل الديوان الملكى حسن يوسف إلى حيث تقيم نازلى أثناء مرضها ، طلبت الملكة من رياض غالى أن يختفى تماماً ولا يظهر لأى سبب من الأسباب ، وأقام رياض فى فندق مواجه للمستشفى التى تقيم فيها نازلى ، والغريب أن رياض غالى كان يظل طوال الوقت ممسكاً بنظارة معظمة يتطلع بها إلى فتحية التى كانت تجلس فى نافذة غرفة والدتها ، وكانت فتحية تفعل نفس الشيء أيضاً ! !

وطالت إقامة حسن يوسف وأحس فى عيون الملكة وابنتيها بأنه غير مرغوب فيه وفى إحدى المرات وكان قد ذهب لزيارة نازلى بادرته قائلة ببساطة : متى تعود إلى مصر ؟ !

وقال لها حسن يوسف : سأعود مع جلالتك ؟ !

ردت نازلى بأنها مريضة ، فقال لها إنه سينتظر حتى يتم شفاؤها ! ! وعندما قالت له إن مرضها سيطول ! ! قال لها ببساطة إنه ليس مستعجلاً ومهمته باختصار أن يعود بها إلى مصر ، وهنا تظاهرت الملكة نازلى بأن الدوار والدوخة قد عاوداها ، وهنا فقط انصرف حسن يوسف ! !

وعندما تكرر فى الأيام التالية طلب حسن يوسف من الملكة نازلى بأن تعود معه طلبت منه فى حسم أن يعود بمفرده إلى مصر ! ! حيث إن الأطباء قد منعوها من السفر ! !

وعندما سأل حسن يوسف الأطباء عن صحة الملكة قالوا له إن صحة نازلى جيدة ويمكنها العودة إلى مصر إذا شاءت، لكن الملكة نازلى قالت لـ حسن يوسف إنها لا يمكن أن تعود الآن إلى مصر بعد أن انتشر وباء الكوليرا فيها ! !.

وفشلت كل محاولات وكيل الديوان الملكى لإقناع الملكة نازلى بالعودة إلى مصر، وكان حسن يوسف وهو يتحدث مع الملكة يشعر بأن شيئاً مهماً يمنعها من أن تعود ! !

وكانت نازلى غاضبة من ابنها الملك فاروق وتحس أنه قد أصبح «ولداً عاقاً» لا تهمه صحتها أو مرضها ! !

وكان الملك فاروق فى ذلك قد غرق تماماً فى قصته مع السيدة ناهد رشاد زوجة الدكتور يوسف رشاد ! !

وكانت ناهد رشاد قد وصلت إلى أمريكا لإجراء عملية جراحية دقيقة، فى نفس الوقت الذى كانت نازلى فيه تستعد لإجراء عمليتها . . وفوجئت نازلى بما جرى بعد ذلك، وحسب حديثها مع مصطفى أمين تقول نازلى بالحرف الواحد :

أرسل الأطباء إلى فاروق برقية يقولون له فيها إن أمك فى خطر، وإنهم سيجرون لها عملية غير مؤكدة النتائج ! وكان الأطباء المغفلون يعتقدون أن «فاروق» سيركب أول طائرة ويجىء إلى مستشفى مايو كلينيك كما يفعل أى ابن يسمع أن أمه على فراش الموت، ولكن فاروق لم يفعل. قد يعتذر بأنه مشغول، قد يعتذر بأن أمور الدولة أنسته كل شىء حتى أمه، وكنت على استعداد أن أقبل هذا العذر ! !

ولكن فاروق لم يكن له عذر، فقد كان يتكلم تليفونياً من القاهرة مع أمريكا ! ! بل كان يتكلم يومياً مع مستشفى مايو كلينيك حيث كنت مريضة، ولكن لم يكن يتكلم معى ولا مع أخته الأميرة فايقة ولا مع أخته الأميرة فتحية، ولا مع كبيرة الممرضات، ولا مع الطبيب الذى يعالجنى. ولم يكن يستفسر عن صحة أمه، إنما كان يتحدث مع السيدة ناهد رشاد ! ! فقد كانت ناهد تجرى عملية جراحية فى نفس الوقت الذى كنت أجرى فيه عمليتى، فكان فاروق يتحدث يومياً معها بالتليفون مستفسراً عن صحتها ولم يفكر أن يحدثنى - أنا أمه - فى التليفون مرة واحدة !

ومضت الملكة نازلى تقول لـ مصطفى أمين :

وكانت الممرضات يجئن إلىّ ويقلن لى : كان الملك فاروق يتحدث الآن فى التليفون مع ناهد رشاد ! ! وكنت أنا أحاول أن أدافع أمامهن عن كرامة ابنى، فكنت أدعى كذباً أنه كان يتحدث مع ناهد رشاد ليستفسر عن صحتى وأنه لا يريد أن يتعبنى، ويخشى أن تتأثر صحتى عندما أسمع صوت ولدى يحدثنى من وراء البحار وأنا راقدة على فراشى بين الحياة والموت !

ولم أغضب على ناهد رشاد لما حدث، بل قد حرصت على أن أقوم بالواجب معها بصفتها وصيفة الملكة، وآن كنت أعرف أنه ليست هناك ملكة لتكون لها وصيفة ! ! وعندما خرجت

من المستشفى وخرجت أنا منه دعوتها إلى السينما ، وتظاهرت بأننى لم أجرح من ولدى ! !
ثم تضيف نازلى قائلة بعد ذلك :
ولكن هذا الذى حدث أثر فى أختيه ، أشعرهما أن فاروق لا يهتم بأمه ولا بأخواته فإذا كان هذا شعوره نحونا ، فكيف يطلب منا إنسان أن نهتم بشعوره هو .

❂❂❂

وعاود حسن يوسف زيارته للملكة نازلى وقال لها بكل الوضوح والأصرار :
«أننى مكلف باسم الملك إنك يجب أن تعودى إلى مصر ، وأن البلد كله أصبح يتكلم عن غيابك الطويل بما لا يسرك ، وأنا أرى فى وجود الأميرتين الصغيرتين هنا خطراً عليهما فقد أصبحتا فى سن الزواج ، ويجب أن نفكر من الآن فى مسألة زواجهما» .
كانت فتحية واقفة وراء الباب تسمع حديث وكيل الديوان الملكى مع الملكة أمها ، وهنا أحست أن الخطر يقترب منها ، كانت تعلم أن شقيقها فاروق يكره رياض غالى حبيبها وتعلم أيضاً أن رياض كان متهماً بأنه على علاقة غرامية بوالدتها . . إلخ .
واستطاعت فتحية أن تقنع نازلى بالبقاء وعدم السفر إلى مصر ، وتؤكد نازلى أنها لم تكن تعلم وهى مريضة أن فتحية أحبت رياض غالى ! !
وفجأة وصل إلى الولايات المتحدة يوم ١٤ أكتوبر ١٩٤٧ شريف صبرى باشا شقيق الملكة نازلى بحجة الاطمئنان على صحتها ، وحاول أيضاً إقناعها بالعودة معه ، لكن نازلى رفضت كل الحجج والمبررات التى ساقها شقيقها ! !
لقد فعل شريف صبرى كل مافى وسعه ، وبذل مجهوداً جباراً ، حدثها باللين وبالحزم وبالشدة ، ولكنها رفضت تماماً ، بل إنها طلبت منه أن يأخذ معه عند عودته للقاهرة حسن يوسف وكيل الديوان الملكى ، وختمت حديثها قائلة لشقيقها :
ـ لقد جئتم للاطمئنان علىّ ، وأنا صحتى حسنة ، وأشكركم ولاتتعبوا أنفسكم بالبقاء هنا ! !
وفوجئت الملكة نازلى برد حسن يوسف بأن مهمته لم تنته وأنه ينوى البقاء حتى ولو استمر بقاؤه عاماً كاملاً ! !
وأحس الجميع بالقلق : الملكة نازلى وفتحية ورياض غالى نفسه ! !
لقد ظل رياض غالى منذ وصل حسن يوسف قابعاً فى غرفته بالفندق لا يغادرها ، وكان التليفون هو وسيلته الوحيدة للاتصال بـفتحية ! !
وفجأة جاء الحل من السماء فقد تلقى حسن يوسف برقية من الملك فاروق تأمره بعودته فوراً إلى القاهرة لأنه قرر تغيير الوزارة ! !
وذهب حسن يوسف إلى المستشفى ليستأذن الملكة فى السفر ، ثم قال لوصيفة نازلى وهو يغادر المستشفى :

ـ سأترك لكم هنا التشريفاتى محمود يونس ليكون فى خدمة جلالة الملكة ! !

وعندما وصل حسن يوسف إلى القاهرة جاء فى تقريره الذى قدمه إلى الملك فاروق (أن نصاباً يدعى رياض غالى استولى على عقل الملكة نازلى، وأصبح يحركها كما يشاء، وأنه شاب مغامر وأن وجوده إلى جانب الملكة ينذر بأوخم العواقب وأنه يرى ضرورة إبعاده عنها، وأن الملكة أخفته مدة وجوده فى أمريكا، وأن معنى هذا أنه يقوم بدور لا ترغب الملكة فى أن يعرفه أحد، وأنه يرى أيضاً أن وجود مثل هذا الشاب فى بلاط الملكة ستكون له نتائج خطيرة).

✪✪✪

كانت كل التقارير والمعلومات التى يتلقاها الملك فاروق تؤكد على شىء واحد فقط وهو علاقة أمه الملكة نازلى بـ رياض غالى.

وكانت الملكة نازلى تثور وتغضب عندما تسمع أن فاروق يصدق هذه التقارير، وكانت تحاول أن تدافع عن نفسها وتفند كل هذه الاتهامات والشائعات لكل من تقابله، ولكن كان رقص الملكة نازلى المتكرر مع رياض وإصرارها على اصطحابه معها فى كل مكان، وباهتمامها الشديد بكل شئونه.. كل هذا أوحى بأن الغرام هو غرام الملكة بالسكرتير رياض غالى وليس غرام الأميرة الصغيرة بالسكرتير ! !

وكان رياض غالى نفسه يبدو أمام الملكة نازلى وابنتها فتحية ـ رغم ما كان يسمعه من الشائعات التى تتناوله مع الملكة نازلى ـ أشبه بالمظلوم المفترى عليه ! !

وكانت نازلى تواسيه بقولها:

ـ معلهش يا رياض، لولا إخلاصك لنا لما اتهموك بهذه الأكاذيب كلها ؟ !

وأدى اتهام الملكة نازلى بأنها على علاقة بـ رياض غالى إلى إيمانها المطلق ببراءته، واعتقادها الشديد بأن كل مايوجه إليه من تهم ليس إلا حقداً وحسداً وأكاذيب.

وكانت فتحية هى الأخرى تعتقد أن كل مايقال عن رياض غالى هو حسد وغيرة، فهو فى نظرها المثل الأعلى فى الإخلاص والوفاء والولاء ! !

وعلى نار هادئة نضجت قصة حب ناعمة ورومانسية بين الأميرة الصغيرة فتحية (المسلمة) ورياض غالى (المسيحى) ! !

وهناك فى مصر كان الغليان والغضب والفوران، وفضائح فاروق التى لا تنتهى وقامت حرب فلسطين مايو ١٩٤٨، وبعد عدة شهور، تم طلاق الملكة فريدة، وأيضاً تم طلاق شقيقته فوزية من شاه إيران ! !

وحزنت مصر كلها عندما سمعت بنبأ طلاق فريدة فى خريف ١٩٤٨.

وفجأة دق جرس التليفون فى فندق سافوى بلازا حيث تقيم الملكة نازلى وإذا بصحفى يسألها : هل صحيح أن فاروق قام بطلاق فريدة ؟ !

اندهشت نازلي وقالت : لا أعرف ؟ !

ودق جرس التليفون ثانية ، وكان صحفي أمريكي آخر يسألها مندهشاً : وهل صحيح أن الأميرة فوزية تم طلاقها من شاه إيران ؟ !

وزاد اندهاش نازلي وقالت : هذا غير صحيح بالمرة ! !

كانت نازلي آخر من يعلم وكان تعليقها بعد ذلك على طلاق ابنها وابنتها هو قولها :

ـ هل من المعقول أن أسمع نبأ طلاق ابني وابنتي من الراديو ؟ ! وأنه صدر بلاغ رسمي من قصر عابدين بأن فاروق طلق فريدة وأن فوزية طلقت من شاه إيران ! ! كنت أتصور أن يرعى فاروق شعورنا أكثر مما فعل ؟ ! ماذا كان يخسر لو أنه طلبني بالتليفون وأخبرني بهذا النبأ قبل أن يذاع بساعة ؟ ! كنت أتصور أن يكتب لي خطاباً يخبرني فيه بأنه اعتزم أن يطلق زوجته ؟ !

وفي شهادة محمد التابعي وتعليقه على ذلك كله هو : وقال لي زميل كان متصلا يومئذ بالقصر ورجاله إن فاروق كان يريد أن يطلق زوجته فريدة منذ عام ١٩٤٢ لولا معارضة حسنين وأن فاروق همّ أكثر من مرة بطلاق فريدة لكن حسنين وقف أمامه يعارض ويبصره بالنتائج الوخيمة التي تنجم عن هذا الطلاق ، ولكنه طلقها بعد وفاة حسنين ! !

وأذهب إلى أبعد من هذا فأقول : إنه لو كان حسنين قد أمتد به الأجل وعاش لما سافرت الملكة نازلي وبناتها إلى أوروبا وأمريكا لتثير من المشاكل والفضائح مازلزل قوائم العرش ، وهي لم تسافر إلا لأنها لم تعد تطيق الحياة في مصر بعد وفاة حسنين . .

✪✪✪

وفشلت كل محاولات إقناع الأميرة الصغيرة فتحية بأن رياض غالي يعشق أمها الملكة نازلي . وكانت تقول إن كل مايقوله أخي فاروق عن رياض غالي كذب . إن حذاء رياض غالي أشرف من أفراد حاشية فاروق مجتمعين ، أنني أنام معها في الغرفة منذ عام ١٩٣٦ إلى اليوم ، لقد مضى عليّ ١٤ عاماً وأنا أنام معها في غرفة واحدة وهي لا تخفي عني شيئاً ، وأنا لا أخفي عنها شيئاً ، ولو كان هذا الذي يقال صحيحاً لما قبلت أمي أن أتزوج من رياض ، هذا إلا إذا كنت أنا حقيرة للدرجة التي يتصورها أخي ، فأقبل أن أتزوج رجلاً كان على علاقة غرامية مع أمي ! !

وكان ذلك بداية النهاية على كل المستويات ! !

أيام نازلي الأخيرة

استولى الغضب على الجميع ! !كان الكل فى حالة غضب يتزايد يوماً بعد يوم ! ! كان الملك فاروق غاضباً، وكانت أمه الملكة «نازلى» وشقيقتاه الأميرتان «فتحية» و«فايقة» أكثر منه غضباً ! ! وانضم لطابور الغاضبين والغاضبات : الحكومة والأحزاب والشارع المصرى بأكمله ! ! ولم تعد القضية قضية «زواج» أميرة، وتمرد «ملكة أم» على ابنها، أصبحت القضية باختصار شديد هى: سمعة الوطن ! !

لكن سمعة الوطن ومكانته كانتا آخر مايفكر فيه الجميع بغير استثناء !

ولم يكن للناس حديث فى تلك الأيام إلا هزيمة حرب فلسطين، ومسلسل فضائح ومصائب زواج «فتحية» من «رياض غالى» ! ! وحاول «فاروق» ـ ملكاً وابناً ـ ممارسة كل الضغوط على «نازلى» لوقف مسلسل الكارثة، لكن الوقت كان قد فات بالنسبة لكل الأطراف ! ! فى أواخر شهر يوليو ١٩٤٩ طار الكاتب الصحفى الكبير «مصطفى أمين» إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وبالصدفة المحضة رأى صديقه «فؤاد صادق» تشريفاتى الملكة «نازلى»، وتسلل الشك إلى عقل مصطفى أمين ! !

ولاحظ «مصطفى» أن فؤاد صادق قام بإخفاء وجهه حتى لا يراه، وتظاهر مصطفى أمين أيضاً بأنه لم يره. وكان «مصطفى أمين» يعلم أن فؤاد صادق قد أحب الأميرة «فايقة»، وعندما علم الملك «فاروق» بذلك أبعده من مصر إلى أسبانيا ثم إلى الصين ثم بولندا ثم السويد حتى لايلتقى بأخته الأميرة «فايقة».

وهكذا أدرك «مصطفى أمين» ببساطة أن «فؤاد صادق» جاء سراً إلى أمريكا لكى يلتقى بالأميرة «فايقة» حيث تقيم مع والدتها الملكة «نازلى» فى فندق «سافوى بلازا» بنيويورك.

وفيما بعد كتب «مصطفى أمين» يقول :

«اتصلت بفندق سافوى بلازا ورد علىّ «رياض غالى» فقلت له إننى أريد أن أتحدث إلى الملكة «نازلى» فقال إنها غير موجودة، فسألت عن الأميرة فايقة أو فتحية فقال لى «رياض غالى» إنهما غير موجودتين وسألنى: ماذا أريد منهن ؟ !

فقلت له : من أنت ؟ ! فقال أنا السكرتير ! !

ولم تكن قصة «رياض غالى» قد عرفت بعد، ولم أكن أعرف الدور الذى يلعبه فى بلاط الملكة ولكننى شعرت أنه يريد أن يضرب حصاراً على الملكة والأميرتين ويمنع اتصالهن بأحد من المصريين. وفى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل اتصلت بى الملكة «نازلى» فى الفندق

الذى كنت أقيم فيه وقالت إنها تريد أن تتحدث إلىّ، ودام حديثى معها حتى صباح اليوم التالى، فالملكة «نازلى» مثل ابنها «فاروق» لا تستطيع أن تنام قبل الفجر ! !» قال «مصطفى أمين» للملكة نازلى إنه يعرف أن «فؤاد صادق» موجود فى نيويورك بعلمها، وفوجئت «نازلى» بهذا، ثم اعترفت لمصطفى أن «فؤاد صادق» كاد يغمى عليه عندما رآه، وقال مصطفى: إنه يعد بشرفه ألا يذكر فى جريدته كلمة واحدة عن هذا الموضوع مع وثوقه أنه يضحى بخبطة صحفية عالمية.

وقالت الملكة «نازلى» إنها تعده إذا نفذ كلمته بأن تعوضه عن ذلك بنصر عالمى أكبر ! !

ويضيف مصطفى أمين قائلاً: «وأنا أعرف الملكة نازلى من زمن بعيد فقد كان بين أسرتها وأسرتى علاقة وثيقة ترجع إلى ماقبل زواجها بالسلطان «فؤاد» سنة ١٩١٧، وكانت هذه الصلة القوية تبيح لى أن أحدثها بصراحة أكثر من الحديث الذى يجرى بين صحفى وملكة. ولقد حدث فى سنة ١٩٤١ ـ وكان «فاروق» و«فريدة» و«نازلى» ورئيس الوزراء حسين سرى .. فى فندق ونتر بالاس بالأقصر، وقدمنى «حسين سرى» ـ أنا وأخى «على أمين» للملكة «نازلى» وهو يظن أنها لا تعرفنى، فقالت الملكة «نازلى» له:

ـ كيف لا أعرفه، لقد حملته هو وأخاه (ودللتهما) عندما كانا طفلين ! ! وسمع فاروق ذلك فأبدى دهشته من أن هذا الشرف ناله أحد سواه ! ! ولقد سببت هذه الصلة القديمة بينى وبين الملكة «نازلى» كثيراً من المشاكل بين الملك فاروق وبينى .. فقد كنت أفضل أن تعالج مشاكله مع أمه بغير الطريقة التى لجأ إليها، ولهذا فإننى كنت حريصاً على أن أجتمع بها فى أمريكا وأن أحاول إقناعها بالعودة إلى مصر. وقلت لها: إن مصر كلها فى دهشة من غيابك كل هذه السنوات، ولقد بدأت الإشاعات تقول إنك لن تعودى إلى مصر؟ !

فقاطعتنى الملكة «نازلى» قائلة: إننى كنت على وشك الموت، إن صحتى تحسنت الآن قليلاً بعد العمليتين الجراحيتين اللتين أجريتا لى، إننى أعيش الآن بكلية واحدة، وقد نجوت من الموت المحقق بأعجوبة والله كريم. قلت لها: ولكن متى تعودين إلى مصر ؟ ! قالت: عندما يعود لفاروق عقله، وعلى فكرة كيف حال فاروق إن قلبى يتمزق لأننى بعيدة عنه وإننى أسمع أنه يسير من سيىء إلى أسوأ، كنت أظن أنه سيكبر ولكن كل يوم يمضى يعود به طفلاً أكثر مما كان ! إننى أسمع عن تصرفاته فى الصحف الأمريكية، ومن أفواه الأمريكيين القادمين من مصر، ولا أصدق أن فاروق أصبح هكذا وأنه ليس بجانبه رجل واحد يقول له لا ! ! قلت لها: لعل وجودك بجانبه يحقق هذا الغرض فأنا أعلم أنه يخافك ! !

قالت «نازلى»: لم يعد يخاف أحداً ! ! قلت لها: ولكن هذا لا يبرر وجودك مع الأميرتين وهما فى سن الزواج فى أمريكا، فإذا كنت لاتريدين العودة فعلى الأقل أرسلى الأميرتين فايقة وفتحية إلى مصر ! قالت نازلى: لو عرفت فاروق كما أعرفه لما قلت هذا، إن وجود «فتحية» و«فايقة» معى يحفظهما أكثر مما لو كانتا فى مصر، لا أريد أن أتركهما إلا لتذهبا

إلى زوجيهما !قلت لنازلى : إن الناس تأخذ عليك كثيراً من التصرفات !قالت : لقد عشت مع الملك فؤاد ١٩ عاماً فهل سمع الناس عنى شيئاً سيئاً ؟ ! الواقع أننى مريضة ، وأنا أحب الموسيقى لأنى لا أستطيع أن أنام، وهذه الموسيقى تخفف عنى آلام الكلى ! ! قلت لها : أنت تعرفين أننا بلد إسلامى ينكر الرقص ولا يتصور أحد أن الرقص يمكن أن يكون علاجاً لمرض، والمصريون يتألمون عندما يسمعون أن أم ملك مصر ترقص ! ! قالت : نحن فى القرن العشرين ! ! قلت لها : هذا الكلام يقال فى أمريكا ولا يقال فى مصر !قالت نازلى : ولهذا أنا أقيم فى أمريكا ! هل رأيتنى أرقص فى محل عام فى مصر ؟ !قلت لها : إن هذه الأنباء تصل إلى مصر ، ويسمع بها الشعب ويثور من هذه التصرفات . ثم إن الشعب يعتقد أنك تصحبين الأميرتين إلى المرقص !قالت : أقسم لك أننى أربى بناتى أحسن تربية .

قلت لها : أنت غاضبة على ابنك وهذه مسألة بينك وبينه. ولكنى أحدثك كصديق يحب لك الخير ، وأعتقد أن وجودك فى أمريكا يسىء إليك أولاً ثم يسىء إلى البلد كله ثانياً ويسىء إلى ابنك ثالثاً ! ! ولدهشة «مصطفى أمين» الشديدة فقد فوجىء بالملكة «نازلى» تقول له بكل بساطة .

- إننى سعيدة أن أسىء إليه ! ! لقد مضت عليه عدة سنوات وهو يسىء إلىّ بكل وسيلة ويتعمد إهانتى بكل طريقة ! !وكان أخطر وأهم ماقالته الملكة نازلى لمصطفى أمين - حسب ماجاء فى كتاب شارع الصحافة للكاتبة مى شاهين - إنه إذا لم يوافق الملك «فاروق» على زواج «فايقة» بفؤاد صادق فستحدث مسألة أخطر ! !وسألها مصطفى أمين : ماهى المسألة الأخطر ! ! فلم تقل «نازلى» شيئاً ، ولكنه تحرى فعرف قصة الغرام بين فتحية ورياض غالى ، وعندها قال مصطفى أمين للملكة :

- إن مثل هذا الزواج سيستنكره الشعب كل الاستنكار ! ! وكان تبرير ودفاع الملكة نازلى عن زواج ابنتها من شاب مسيحى هو قولها - فيما بعد - لقد درسته لمدة أربع سنوات وأعلم أنه سيكون زوجاً صالحاً لابنتى(! !) ثم مضت تقول أيضاً ما مؤداه ! «وليست هذه أول مرة تتزوج فيها فتاة من أسرتنا من رجل كان مسيحياً وأسلم ! ! فلقد جاء مصر فى وقت من الأوقات ضابط فى الجيش الفرنسى وهو الكولونيل سيف وكان مسيحيا ، وأعجب به «محمد على» وجعله يتزوج فتاة مسلمة ويعتنق الإسلام وأصبح اسمه سليمان باشا وهو أبو والدتى إذن فهو جد فاروق ! !ومع ذلك فقد جربت الملكة نازلى عدة مرات أن تتصل بابنها الملك فاروق تليفونياً . حاولت أن تصل إلى قلبه ومشاعره قائلة له .. إن هذا الأمر يعنى سعادة أخته فتحية ولكن بلا فائدة ! !

واستطاعت «نازلى» أن تنتزع من «مصطفى أمين» وعداً بألا ينشر كلمة واحدة عن قصة ابنتها «فتحية» وزواجها المرتقب من الشاب «رياض غالى» الذى كان قد أشهر إسلامه بالفعل ! !

ومقابل ذلك الوعد حصل مصطفى أمين على حوار صحفى ساخن مع «الملكة نازلى» وجد طريقه للنشر على صفحات أخبار اليوم فى ٦ أغسطس ١٩٤٩ !! وفوجىء الملك فاروق بهذا الحديث الصحفى لأمه الملكة نازلى، وازداد غيظه وغضبه وحنقه على «أمه» !! لكن غضبه على «أخبار اليوم» كان أكثر وأكبر !! وطلب الملك فاروق التحقيق مع «أخبار اليوم»، كما طلب من وزير الداخلية حسين باشا سرى مصادرة أخبار اليوم فى المستقبل إذا أشارت بالتصريح أو التلميح إلى أنباء نازلى أو أخواته !! وعلى الفور تمت مراقبة جريدة أخبار اليوم، وفتح وقراءة كل الرسائل والبرقيات التى كانت تأتى إليها من الخارج وخاصة الولايات المتحدة !!

واستطاع وزير الداخلية أن يحصل بواسطة هذه الرقابة على نصوص بعض البرقيات المتبادلة بين الملكة نازلى وأخبار اليوم، وعندما أرسلها الوزير إلى الملك فاروق استشاط غضباً !! ولم يعرف الملك أن مصطفى أمين هو الذى أقنع «نازلى» بأن يرسل لها البرقيات بالشفرة على أن ترد هى بنفس الطريقة !! كان الملك حزيناً ويائساً وبائساً ومهزوماً أمام نفسه !! وفى لحظة يأس خطر بباله أن الحل الوحيد للخلاص من أمه الملكة «نازلى» هو خطفها !! وقرر الملك تكليف «السيدة ناهد رشاد» وهى زوجة الطبيب «يوسف رشاد» بهذه المهمة، وكانت «ناهد» سيدة الحرس الحديدى قد استولت على عقل وقلب الملك منذ خريف عام ١٩٤٣ وزاد ارتباطه بها عقب طلاقه من الملكة فريدة. وحسب شهادة «سيد جاد» أخطر رجال تنظيم الحرس الحديدى (الذى شكله الملك ليتخلص به من خصومه السياسيين) قوله فى مذكراته : طلبنى «يوسف رشاد» ليلغنى بأن الملك يريد إرجاع أمه وأخته من أمريكا ولكنه فى الوقت نفسه حذر من قتلها، على أن يقوم بتنفيذ العملية «ناهد رشاد» هانم وحسن فهمى عبد المجيد وأنا. ورفضت الاشتراك فى هذه العملية، وأرسل الملك ناهد رشاد إلى أمريكا لتتفاهم مع والدته بالحسنى فى شأن الرجوع إلى مصر، وأقمنا احتفالاً كبيراً لتوديع ناهد رشاد قبل السفر إلى أمريكا وكانت الشائعات قد سبقت بأنها مريضة وستقوم ببعض التحاليل والفحوص الطبية هناك !! وفشلت محاولة ناهد رشاد !!

وأصبحت «نازلى» قضية سياسية معقدة بين مصر وأمريكا !! وجدت نازلى نفسها دون قصد منها طرفاً فى حوار سرى غير معلن بين رئيس الوزراء «مصطفى النحاس» وبين الرئيس الأمريكى «ترومان» !

وكانت جريدة «أخبار اليوم» أول من أزاح الستار عن هذه الأزمة الخطيرة ! فقد صدرت «أخبار اليوم» صباح ٢٩ أبريل ١٩٥٠ ويتصدر صفحتها الأولى عنوان من أربع كلمات فقط يقول: «ترومان يبحث مسألة مصرية» !! ونشرت أخبار اليوم على لسان مراسلها فى واشنطن سطوراً فى غاية الخطورة والأهمية تقول كلماتها : «عُلم أن إجراء خطيراً جداً على وشك أن يتخذ فى القاهرة وأنه سيذاع فى بيان رسمى من الحكومة، وقد وصل إلى الولايات

المتحدة فجأة موظف كبير يحمل نبأ هذا الإجراء وأحيط سفره بكتمان شديد، وكانت السفارة المصرية فى واشنطن مركز نشاط خطير، وقام كامل عبد الرحيم بك السفير المصرى بعدة اتصالات، واشترك فى هذه الاتصالات بعض كبار موظفى السفارة فى واشنطن، وقد بذلت محاولات جبارة لتفادى هذا الإجراء الخطير، وتلقى وزير الخارجية برقية سرية جداً من «مستر كافرى» سفير الولايات المتحدة في القاهرة وأحيطت هذه البرقية بكتمان شديد، وعقد مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط الدكتور جورج ماجى اجتماعاً مع مساعده ريموند هير .وعلمت ـ أى مراسل أخبار اليوم ـ أن البرقية الهامة أرسلت إلى مستر ترومان للاطلاع عليها وقد اقتضى ذلك مراجعة الدستور الأمريكى. واتصل رفعة النحاس باشا من القاهرة تليفونياً بالولايات المتحدة بعد منتصف الليل وجرى بينه وبين شخصية موجودة فى أمريكا حديث خطير قال فيه «إن للشعب والبرلمان والحكومة وجهة نظر حاسمة فى مسألة معينة، وإن عدم قبول وجهة النظر هذه والنزول عليها سيؤدى إلى أوخم العواقب، وإن الإجراء الكبير الذى سيتخذ شيء يؤسف له حقيقة ولكن تمليه مصلحة الدولة». وجرى اقتراح أن يدعى البرلمان إلى جلسة سرية لبحث هذه المسألة، ولكن النحاس باشا رفض هذا الأقتراح، ولا يزال الموقف يتطور من دقيقة إلى دقيقة !عند هذا الحد انتهى مانشرته «أخبار اليوم» منسوباً إلى مراسلها فى واشنطن، ولكن فى نفس العدد نشرت خبراً من سطر واحد كان بمثابة قنبلة ، وكان مؤدى مانشرته هو «أنه قدم طلب بالحجر على شخصية معروفة موجودة فى الخارج !!» فى كل الأحوال كانت الملكة نازلى هى المقصودة والمعنية والمستهدفة من النشر !وأصبحت حكاية الملكة «نازلى» وابنتيها فى أمريكا هى حديث الناس فى مصر والعالم العربى ! وكانت صحيفة «أخبار اليوم» لصاحبيها «مصطفى وعلى أمين» هى الطريق الوحيد لمعرفة ما كان يدور فى الكواليس سواء فى مصر أو فى أمريكا !!

وهكذا وبمجرد صدور أخبار اليوم فى ٢٩ أبريل ١٩٥٠ حتى ثار الجميع .

انتابت الملك فاروق عاصفة من الغضب والغيظ، فقد سبق له أن اتفق مع رئيس الوزراء النحاس باشا على أن تبقى حكاية فتحية ورياض غالى والأزمة كلها سراً لا يتسرب إلى أى إنسان ! الكن الأزمة والحكاية بكل تفاصيلها وجدت طريقها إلى صفحات «أخبار اليوم» وبالتالى عرف بها جميع الناس، وأضافت الألسنة والشائعات الكثير لما كان معروفاً على نطاق ضيق !

كان الملك فاروق ورئيس الوزراء «النحاس» فى حيرة شديدة ، وكان أشد ما يقلق كلاً منهما : كيف عرفت أخبار اليوم بتفاصيل الحديث التليفونى الذى جرى بين النحاس باشا والملكة نازلى؟!

وانتقل القلق إلى داخل السفارة الأمريكية فى القاهرة، وقرر السفير جيفرسون كافرى إجراء تحقيق عاجل كان هدفه معرفة كيفية تسرب البرقية السرية التى كان قد أرسلها لوزير

خارجيته وفوجىء بنشرها فى أخبار اليوم!! ووسط حيرة ودهشة وقلق الجميع، صدرت أخبار اليوم بعد أسبوع واحد، وفى ٦ مايو ١٩٥٠ وهى تنشر هذه الكلمات القليلة التى أثارت الدهشة.

قالت أخبار اليوم فى ثلاثة أماكن متفرقة هذه الأخبار وكان لكل خبر منها دلالته ومغزاه للقارىء الذكى: قال الخبر الأول: ينتظر أن يذاع نبأ عقد قران شخصية معروفة فى الخارج(!!)

وقال الخبر الثانى: وصل ضابط مصرى كبير إلى سان فرانسيسكو (وكان المقصود هو الأمير الاى «أحمد كامل» قائد بوليس القصر الذى سافر إلى سان فرانسيسكو ليحاول منع الزواج)

وقال الخبر الثالث: «ينتظر أن يذاع فى القريب نبأ خطير جداً» وفيما بعد اعترفت الملكة نازلى بأنها كانت على علم بكل محاولات ابنها الملك فاروق لمنع زواج ابنتها من رياض غالى، وكان مما قالته «لقد علمت أن فاروق استدعى «مستر كافرى» سفير أمريكا فى القاهرة وطلب إليه أن يرجو «ترومان» رئيس الجمهورية أن يخرجنى من أمريكا، فماذا يظن هذا المجنون؟! هل يظن أن ترومان له فى أمريكا مثل سلطته الديكتاتورية التى يتمتع بها فى مصر، أم كان يظن أن ترومان مجنون مثله؟!

حاول الملك فاروق بكل الوسائل - المشروعة وغير المشروعة - إيقاف زواج شقيقته الأميرة فتحية!! وفى اللحظة الأخيرة فوجئت الملكة نازلى باعتذار «إمام المسلمين» فى بلدة سكرامينتو حيث يقع المسجد الوحيد فى كاليفورنيا - عن إتمام مراسيم الزفاف، استجابة لطلب الملك فاروق نفسه!!

ولم تنزعج «نازلى» من اعتذار «الإمام»، وعلى الفور عقدت مؤتمر صحفياً فى فندق فيرمونت.. حيث كانت تقيم فى جناح بمائة دولار فى اليوم، وأيضاً حيث ستتم مراسم حفل الزفاف وقالت للصحفيين الذين فوجئوا باعتذار الإمام قائلة:

- إن هناك إماماً سيهبط من السماء!! ولم تكن «نازلى» تمزح، فقد جاء الإمام بالفعل من «باكستان» وقام بإجراء مراسم الزواج رغم تهديدات رجال الملك فاروق له، وإمعاناً فى التحدى فقد ألقى الرجل خطبة طويلة وكان مما قله «إنه ليس من الإسلام أن يضع رجل عراقيل وصعوبات فى وجه من يريدون الزواج»!!

وكان المقصود بالطبع هو «فاروق» نفسه، والتفت الشيخ ناحية رياض غالى وقال له: «نستطيع أن نجد الجنة تحت أقدام الأمهات» وكانت الإشارة واضحة وبالغة الدلالة أن «نازلى» هى المقصودة بذلك الكلام !لم يكن حفل الزفاف سرياً ، بل حرصت الملكة نازلى على دعوة صفوة ونجوم المجتمع من رجال أعمال وصحفيين، وكان هناك بالطبع عيون وجواسيس الملك فاروق! !وفيما بعد وصل إلى فاروق تقرير شامل وكامل عما جرى فى ذلك الزفاف، وكان

الغيظ والحنق والضيق هى أبسط المشاعر التى انتابت «فاروق». كانت «نازلى» ترتدى فستانا بدون أكتاف ذا لون رمادى يميل إلى اللون الوردى وارتدت أيضاً «ماسة» فاقت قيمتها مبلغ المليون دولار (!!) أما الأساور التى ملأت ذراعيها (من الرسغ إلى المرفق) فكانت من الأحجار الماسية الخضراء! أما العروس فتحية فقد ارتدت فستانا من الساتان، العاجى اللون. تمت حياكته فى باريس، وكان للفستان ذيل طوله عشرون قدماً، أما طرحة الزفاف فقد كانت شفافة، أما عند صدر الثوب المفتوح قليلاً فقد وضعت فتحية ريشة من ريش طائر عصفور الجنة!! أما العريس .. رياض غالى فقد فشل فى إخفاء توتره وعصبيته وقلقه !كانت الملكة «نازلى» أسعد الجميع، وكررت على مسامع جميع الضيوف عبارة إننى سعيدة جداً!! إننى أطير من فرط السعادة !ولدهشة الجميع فقد اقترب منها أحد الصحفيين سألها : ماذا تعتقدين أنه سيحدث بعد ذلك؟!

لم ترتبك «نازلى» أو تفاجأ بالسؤال لكنها ردت بكل بساطة قائلة :

ـ «إن الله سينتصر لنا، لقد كنت الملكة لسنوات طويلة، إننى امرأة صلبة وهكذا يجب أن تكون الملكة»

وفى اليوم التالى غادرت الملكة نازلى وابنتها فتحية ورياض غالى» سان فرانسيسكو إلى هونولولو.. لقضاء شهر العسل!! ورغم الحصار الشديد على كل الصحف والمجلات الأجنبية التى كانت تصل مصر حاملة تفاصيل الزواج، وكانت الرقابة تصادرها، استطاعت أخبار اليوم التغلب على كل هذه الصعوبات والمحاذير وصدرت يوم ٢٧ مايو سنة ١٩٥٠ وهى تروى للقراء تفاصيل ماجرى تحت العناوين والمانشيتات التالية :

- الملكة نازلى تقول إن ترومان رفض إخراجها من أمريكا.
- فتحية تزوجت وسافرت إلى هونولولو .
- فتحية تروى لعلى أمين قصة حبها.
- أول حديث للأميرة فائقة. وراحت «أخبار اليوم» تروى لقرائها تفاصيل الخبطة الصحفية وكيفية تغلبها على حصار الرقابة والملك فاروق ووزارة الداخلية وكتبت تقول: «لما كانت الرقابة تحجز جميع البرقيات التى تتضمن أنباء الملكة نازلى ولما كانت الرقابة التليفونية تقطع أى محادثة تليفونية مع أوربا وأمريكا يجرى فيها الحديث عن الملكة نازلى أو الأميرة السابقة «فتحية» فقد طار إلى روما على أمين ومحمد حسنين هيكل ومحمد يوسف كبير المصورين بدار أخبار اليوم . ومن روما اتصل «على أمين» من فندق هسلر (الحجرة ٢١١) بجلالة الملكة نازلى فى جناحها بالدور السادس فى فندق «فيرمونت» بسان فرانسيسكو ودار حديث تليفونى استمر حتى الصباح، وهو أطول حديث تليفونى جرى بين أوربا وأمريكا. وتنبهت وزارة الداخلية إلى أن رسالة هامة ستصل من روما إلى أخبار اليوم ، فصدرت الأوامر بتفتيش كل رسالة أو راكب يشتبه فيه، وعلمت «أخبار اليوم» بالأوامر

الصادرة فقامت من روما طائرة خاصة ولكنها لم تتجه إلى القاهرة، وإنما وصلت إلى أحد البلاد العربية تقل مندوباً خاصاً، ومن هذا البلد العربى استقل المندوب طائرة خاصة أخرى فوصل إلى القاهرة فى مساء أمس، ولم يلفت المندوب نظر السلطات لأنه كان قادماً من بلد عربى، وليس من روما أو أمريكا، وقد أنفقت أخبار اليوم فى هذا الحديث أكبر مبلغ أنفقته فى حديث حتى الآن بين مصروفات الطائرة، وأجور التليفونات، هذا وقد صادرت رقابة البريد جميع ماتلقيناه من أمريكا» وفى ساعات نفدت جميع نسخ أخبار اليوم!!

✪✪✪

وفيما بعد حرص الزعيم مصطفى النحاس على أن يسجل فى مذكراته بعض ماكان يدور فى الكواليس، وكتب يقول:

«نشرت الصحف أن الأميرة فتحية فؤاد شقيقة فاروق قد تزوجت من شاب مسيحى اسمه رياض غالى واضطرب الملك واستعان بالحكومة، أما رأى الحكومة فى هذه المسألة فقد استمدته من أحكام الشريعة الإسلامية التى لا تبيح أن تتزوج المسلمة مسيحياً، ولكن الملك آلمه من هذا كله أن المحافل الأجنبية (وكان الزواج فى أمريكا) أخذت تنشر تفاصيل وافية عن قصة حب الأميرة لفتاها وأنها ضربت بجميع التقاليد والملكية عرض الحائط وسارت وراء حبها.

وأرسلت الحكومة إلى مندوبها فى مجلس الأمن نصوص الشريعة وأحكامها وطلبت إليه أن ينشر فى الصحف مقالات بهذا الخصوص، وفعل المندوب ونشر فى عديد من الصحف الأمريكية عدم موافقة الحكومة على هذا الإجراء واستنكار زواج كهذا، ولكن كل هذا لم يُجْدِ، فإن الأميرة ووالدتها (الملكة نازلى) قد استوطنتا أمريكا نهائياً فراراً من فاروق وتصرفاته. وكان فاروق ينتظر من الحكومة أن تتدخل رسمياً لمنع ذلك الزواج، وقد أفهمت الذين أثاروا هذه المسألة أن الحكومة لا تملك من الوسائل الرسمية ولا غير الرسمية مايجعلها تتدخل فى هذه المسألة، ولم نتخذ فيها إجراء حاسماً كان يريده الملك من الحكومة فى مسألة شخصية كهذه بعيدة عن اختصاصها نائية عن ديارها، والبلد الذى وقع فيه هذا الحادث بلد العجائب والغرائب يقع فيه من الأحداث العجيب والغريب.»

وأخيراً يقول النحاس باشا: «لقد أدت الحكومة ما استطاعت أن تؤديه وقالت رأيها من ناحية الدين والعرف فى هذه المسألة فماذا كان ينتظر أكثر من هذا؟!!»

كانت معركة الملك «فاروق» مع أمه «نازلى» قد انتقلت إلى الشارع المصرى الذى يتابع تفاصيلها المريرة بكل الأسى والأسف والحزن أيضاً. وكانت تفاصيل المعركة تزداد سخونة وحرارة يوماً بعد يوم، لكن ماقرأه الناس صباح الخامس من أغسطس عام ١٩٥٠ فاق كل تصور وخيال افففى ذلك الصباح صدرت أخبار اليوم.. وعلى صفحتها عنوان كبير يقول «نازلى هانم صبرى تجرد من لقب الملكة الوالدة»!!

أما تفاصيل الخبر القنبلة فجاءت كما يلى : وقع جلالة الملك بعد ظهر يوم الخميس الماضى، أمراً ملكياً بتجريد جلالة الملكة «نازلى» من لقبها !! وقد سبق هذا الإجراء تغيير اسم شارع الملكة «نازلى» باسم شارع الملكة وسيصبح اسمها بمقتضى هذا الأمر .. نازلى هانم صبرى ، ويشمل الأمر عدا ذلك حرمان نازلى هانم من جميع الامتيازات التى كانت تتمتع بها بحكم كونها الملكة الوالدة. كانت أخبار اليوم هى الجريدة الوحيدة التى انفردت بنشر هذا الخبر المثير، وزاد غضب الملك وكان الكل متصوراً أن هذا الخبر لا أساس له من الصحة تماماً !! وعندما ذهب المراسلون الأجانب فى مصر إلى شركة «ماركونى» لإرسال هذا الخبر إلى صحفهم ـ نقلا عن أخبار اليوم ـ منعت الرقابة المصرية إرسال هذه البرقيات وقالت للمراسلين الأجانب : إن مانشرته أخبار اليوم غير صحيح !! واضطر مراسل وكالة الأسوشيتد برس إلى أن يسافر إلى مطار البصرة فى العراق بطائرة خاصة ومعه نسخة من الخبر ليستطيع من هناك أن يرسل بقرار الملك فاروق إلى وكالته !! كما اضطرت جريدة البلاغ (الوفدية) أن تنشر هذه السطور الغاضبة قائلة : «نشرت إحدى المجلات اليوم نبأ قالت فيه إن صاحب الجلالة الملك وقع فى يوم الخميس الماضى ـ أى منذ يومين ـ أمراً ملكياً بتجريد جلالة الملكة نازلى من لقبها . فإذا كان النبأ صحيحاً فلسنا ندرى لماذا لم يصدر به بلاغ رسمى، كما نرجو نحن الصحفيين ولم انفردت به صحيفة دون غيرها من الصحف ؟!، وأما إذا لم يكن صحيحاً فإننا نحب أن نعرف موقف السلطات المختصة من هذا الاستهتار المتعمد بالحظر الواجب على أنباء الأسرة المالكة الكريمة، وإننا فى الواقع نقف حيارى إزاء صحف معينة توالى النشر كل يوم تقريباً ، فى حين تحترم الصحف الوفدية كلها الرغبة البادية فى عدم التعرض لهذه الأنباء جميعاً ..»

ولم يكن هناك مفر من إصدار الحكومة لقانون جديد يمنع نشر أخبار الأسرة المالكة ابتداء من يوم ١٠ من أغسطس ١٩٥٠ . وقبل ذلك بيومين نشرت الصحف «نص الأمر الملكى المتضمن حرمان الملكة نازلى من لقبها بعد الحجر عليها وعزلها من الوصاية. نشرت «الوقائع الرسمية» (وهى الجريدة الرسمية) نص الأمر الملكى رقم ٣٨ لسنة ١٩٥٠ الخاص بحرمان حضرة صاحبة الجلالة الملكة نازلى من لقبها وهو :

نحن فاروق الأول ملك مصر بعد الاطلاع على القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٢ بوضع نظام الأسرة المالكة، وعلى الأمر الملكى رقم ٥ لسنة ١٩٣٨ وعلى القرارات الصادرة من مجلس بلاط الملك بتاريخ ١٦ مايو و ٣١ يوليو سنة ١٩٥٠ أمرنا بما هو آت :

١ـ تحرم حضرة صاحبة الجلالة الملكة نازلى من اللقب ومايتبع ذلك اللقب من حقوق ومزايا.

٢ـ يبطل العمل بالأمر الملكى رقم ٥ لسنة ١٩٣٨ الخاص بلقب والدتنا.

٣ـ على رئيس مجلس وزرائنا ورئيس ديواننا بالنيابة تنفيذ أمرنا هذا. «فاروق»

صدر بقصر رأس التين فى ١٧ شوال سنة ١٣٦٩ هـ (أول أغسطس ١٩٥٠) . كما نشرت الوقائع المصرية أيضاً نص قرار مجلس البلاط وهو :

«أولا : توقيع الحجر على حضرة صاحبة الجلالة الملكة نازلى للغفلة (! !) وإقامة حضرة صاحب السعادة «محمد نجيب سالم» باشا بصفته ناظراً لخاصة جلالة الملك قيما عليها .
ثانياً : عزل جلالتها من الوصاية على كريمتها فتحية هانم فؤاد وتعيين حضرة صاحب السعادة محمد نجيب سالم باشا بصفته ناظراً لخاصة جلالة الملك وصياً عليها .وقد صدر النطق السامى الكريم بالتصديق على ذلك .»

فى ذلك الوقت بالضبط كان د. محمد حسين هيكل باشا رئيس مجلس الشيوخ قد تابع وشارك عن قرب فى بعض ماجرى، وقد سجل بعضه فى مذكراته فقال : إن الملك فاروق طلب من الأمير «محمد على» رئيس مجلس البلاط أن يبعث بخطاب إلى مجلس الشيوخ لكى ينظر المجلس فى تصرفات نازلى وبناتها ، وعندما استوضح «هيكل باشا» الأمير «محمد على» عن ماهية طلبات الملك بالضبط لأنها غير مبينة فى كتابه إلى الأمير أخبرنى - أى الأمير محمد على - إنهم يطلبون اتخاذ إجراءات تحفظية على أموال الملكة والأميرتين توطئة لتوقيع الحجر عليهن : ويضيف هيكل باشا : ولم تحفل الملكة الأم بشىء من ذلك . كله .وعقد مجلس البلاط جلسة لم تطل تولى وزير العدل «عبد الفتاح باشا الطويل» عرض الموضوع فى مستهلها وطلب من المجلس إجراء التحفظ على أموال السيدات الثلاث ونزع وصاية الملكة نازلى على كريمتيها ، كما طالب النائب العام «محمد بك عزمى» بتوقيع الحجر على الملكة الأم، ولما كانت الملكة لم تعلن فقد قرر المجلس تعيين ناظر الخاصة الملكية حارساً على أموال السيدات الثلاث كإجراء تحفظى ولم تهتم نازلى بشىء من ذلك كله ! !

ومع فجر ٢٣ يوليو (تموز) عام ١٩٥٢ كانت مصر تبدأ صفحة جديدة تماماً فى تاريخها ! ! كان الضباط الأحرار قد قاموا بثورتهم التى غيروا بها وجه الحياة فى مصر ، وكان أول ملامح هذا التغيير الجذرى هو إنهاء حكم أسرة «محمد على» وإلى الأبد ! ! ووصلت أخبار ماكان يجرى فى مصر إلى عواصم الدنيا ، وعلمت الملكة نازلى بأخبار الثورة على فاروق «من الراديو» ، وتسلل الخوف إليها ، وانتابها القلق على ابنها ، فرغم كل ماجرى فالأم هى الأم، ونازلى قبل أن تكون ملكة فقد كانت أماً ! !

وراحت نازلى تسأل وتطمئن على مصير ابنها وزوجته «ناريمان» وحفيدها الأمير الصغير «أحمد فؤاد» ، ولم يهدأ بال نازلى إلا عندما قرأت وتأكدت من الإذاعة أن ابنها تنازل عن العرش وأنه تقرر أن يغادر مصر لآخر مرة إلى إيطاليا عصر ٢٦ يوليو ١٩٥٢ . ومن سان فرانسيسكو حيث كانت تعيش أبرقت نازلى ببرقية إلى ابنها «فاروق» كانت بمثابة مواساة له فى هذه المحنة. وكانت برقية الملكة «نازلى» إحدى برقيات ثلاث تلقاها وهو على ظهر الباخرة المحروسة التى انطلقت به من الإسكندرية . «لم شمل» الأسرة كان أول مافكرت فيه

الملكة «نازلى» لكن فاروق خيب ظنها تماماً ولم يكلف خاطره بأن يتحدث إليها ولو مرة واحدة، وانشغل تماماً بحياته اللاهية والعابثة فى روما، وكانت أمه نازلى تتابع أخبار فضائحه بكثير من الألم وقليل من الدهشة، وذات صباح فوجىء فاروق بإحدى الصحف الإيطالية تنشر حديثاً مثيراً مع أمه، وكان حديث «نازلى» بمثابة صفعة جديدة على وجه فاروق ! قالت نازلى عن ناريمان زوجة فاروق إنها امرأة عادية. لكن أخطر كلمات نازلى عن فاروق كان قولها بالحرف الواحد: «إننى لم أكن راضية أبداً عن أى تصرف قام به ابنى فاروق منذ تولى عرش مصر، فقد كانت كل تصرفاته سيئة ، كان جاهلا وغبياً، ويتصرف كما المجانين، وأنا التى توقعت له هذه النهاية، ومايصلنى عنه وعن زوجته ـ ناريمان ـ وهما فى إيطاليا يجعلنى أشفق عليه، إنه حتى لم يستفد من الدرس الكبير فى حياته، لقد خلع عن العرش، ومع ذلك فهو لايريد أن يكون واقعياً، إنه يتصرف بحماقة وكأنه لايزال ملكاً» ووسط ذلك كله تذكرت الملكة نازلى زوجها الراحل أحمد حسنين الذى كان قد رحل منذ ست سنوات فى حادث سيارة وقالت بالحرف الواحد، مايلى: «إن أحمد حسنين كان الملك الفعلى لمصر وأن فاروق كان لا يخطو خطوة إلا بمشورته»

✪✪✪

ومرت السنوات، وكانت الدنيا كلها قد تغيرت وتبدلت ملامحها ! !

غابت أسماء ولمعت أسماء، وكانت كل الأسماء اللامعة والمعروفة فى أسرة الملك فاروق.. قد دخلت فى مقبرة النسيان وربما التجاهل أيضاً. وفى مارس عام ١٩٧٥ كان د. لويس عوض.. فى زيارته السنوية إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليلقى محاضراته الثقافية والأدبية فى أعرق جامعاتها، وذات يوم دق جرس التليفون فى منزله، وكانت المتحدثة هى الأميرة السابقة فتحية وبعد المجاملات المعتادة من الأميرة فتحية ـ أو «آتى» ـ كما كان المقربون ينادونها فوجىء د. لويس عوض بها وهى تقول له:

نحن نريد جوازات سفرنا المصرية وقد فهمت من كلام فلان وفلان أن هناك أملا فى الحصول عليها، فهل يمكن أن تتصل بقنصل مصر العام فى نيويورك واسمه الدكتور .. عبد الهادى مخلوف وتطلب منه ذلك ؟ !

وقال لها د. لويس يومها: إنه صديقى وسأفعل ؟ !

وكتب د. لويس.. يروى ماجرى بعد ذلك فيقول:

كنت أعرف أن الأميرتين السابقتين .. فايزة وفتحية .. تتهيبان من كتابة الطلبات للحكومة المصرية لضعف لغتهما العربية نظراً لربع قرن أو يزيد فى الغربة، فدورى إذن فى هذا الموضوع هو العرضحالجى، ولم أكن قد رأيت الأميرتين السابقتين منذ أكتوبر ١٩٧٤ وكانت فتحية قد كتبت إلىّ أكثر من بطاقة باللغة الفرنسية ومع ذلك لاحظت اهتمامها بأن توقع اسمها دائماً بالعربية.. وكأنها تريد أن تقول كنت أود أن أكتب بالعربية لولا.. ومع

ذلك فأنا لم أنس كل ماتعلمته فى مصر أما لغة الحديث بينى وبين الأميرتين السابقتين فقد كانت تبدأ بالفرنسية أو الإنجليزية ـ أدباً منى حتى لا أجهدهما ـ ثم تتحول بسرعة إلى العربية المتدفقة وقد أذهلنى وقتئذ أن اكتشفت أن لهجتهما الدارجة هى لهجة من لم يترك القاهرة يوماً واحداً(!!)

وبالفعل قام د. لويس بكتابة خطاب رسمى لصديقه د. مخلوف وكان مما جاء فيه قوله:

أمس اتصلت بى (فايزة وفتحية) وأبلغتانى بالنيابة عن الملكة السابقة نازلى أن ثلاثتهن يطلبن استخراج جوازات سفر مصرية وعنوانهن كذا.. إلخ»

وبعد حوالى شهر جاءت الموافقة من إدارة الجوازات والهجرة والجنسية على الطلب السابق للملكة نازلى وابنتيها باستخراج جوازات سفر لهن!

لكن أهم مايرويه د. لويس عوض هو قصة لقائه بالملكة السابقة «نازلى» وكان ذلك قبل عودته إلى القاهرة، وكتب د. لويس (فى مقاله: ملكتان وأميرتان) يقول:

ـ «دعيت لمقابلة الملكة «نازلى» فى شقتها المتواضعة فى غرب لوس أنجلوس، وطبخت لنا فتحية بامية على الطريقة المصرية، ووجدت الملكة العجوز (٨٢ سنة) تمشى منحنية من أثر السن، ومع ذلك فقد كان لها حضور الملكات، ولم أر فى وجهها تجاعيد كثيرة وكانت عيناها الزرقاوان تحدقان فىّ وفيمن يحدثها تحديق الصقر، وقد بقيت لها بعد ثلاثين سنة من الغربة بعض أمارات صورتها الأولى التى يذكرها من رأى صورتها فى عهد الملكية ، وكانت قليلة الكلام ولكنها متمالكة لكل عبارة تقولها..

قلت : نرجو أن نرى جلالتك فى مصر قريباً !!

هزت رأسها وسهمت نظراتها وأجابت: لا أظن ذلك(!!)

ثم يقول د. لويس عوض.. معلقاً على إجابة الملكة نازلى .. التى سمعها: «ولم أفهم ماذا كانت تقصد: أكانت يائسة من السماح لها بالعودة ! أم كانت تفكر فى المنية؟! أم كانت تشك فى أن لمثلها فى مصر مكاناً !!»

ثم يضيف د. لويس عوض.. يصف حال الملكة وابنتيها فيقول:

رأيت الأسرة تعيش فى خصوصية واضحة تبدو فى المسكن وفى الثياب وفى الطعام وفى السلوك: كل شيء فقير ولكن فى نظافة وذوق جميل وفى كرامة أبناء الأصول. وقد أشهرت الملكة.. نازلى.. إفلاسها رسمياً باختيارها فى خريف ١٩٧٤ ووضعت نفسها تحت رحمة المحكمة (كما يقال فى العرف القانونى الأمريكى) لتتخلص من الديون الباهظة التى كبل «رياض غالى» زوج فتحية ـ بها الأسرة سواء بسبب سوء حظه فى الاستثمار أو بسبب حماقاته أو للسببين معاً(!!)

حدثنى رجل أعمال أمريكى يعرف الأسرة المالكة السابقة معرفة وثيقة قال: كان للملكة نازلى ولابنتها فتحية بيتان كبيران أحدهما فى بيفرلى هيلز.. والآخر فى هاواى كل منهما

يساوى نحو أربعمائة ألف دولار، كما كانت لديها جواهر نفيسة تساوى نحو مليون دولار!! وقد أعطت السيدتان توكيلا عاماً لرياض غالى ليدير أعمالهما ويتصرف تصرفاً كاملاً شاملاً في شئونهما المالية، فلما اضطربت أحوال رياض غالى المالية بسبب كثرة خسائرة في الاستثمارات وربما لأسباب أخرى رهن كل بيت بمبلغ مائتى ألف دولار تقريباً كما رهن الجواهر بمبلغ ثلثمائة ألف دولار تقريباً.

ومنذ سنوات طويلة وفوائد البنوك تتكدس على هذه القروض وهو عاجز عن السداد وبعد أن اضطربت أحواله تدهورت معنوياته وساء خلقه فأسرف فى الشراب إسرافاً رهيبا وأخذ يسيء معاملة زوجته والملكة نازلى والأميرة فايزة المقيمة معهم ويعتدى عليهن وانتهى أمره بطرد الأسرة المالكة كلها من بيتها المرهون فى «بيفرلى هيلز» وأقام فى الدار وحده، حتى أمه المسكينة فرض عليها أن تقيم وحدها شبه منفية فى «هاواى»!!

ثم يضيف: وقد تعرضت الملكة نازلى وابنتاها فى السنوات الأخيرة لشدائد فظيعة فعشن بلا مأوى ثابت ولا عائل ولا موارد إلا ماجاء من فضل الأصدقاء، وقد زاولت فتحية بشجاعة عظيمة بعض الأعمال الشاقة حتى استطاعت أن تجمع شمل الأسرة من جديد فى ذلك البيت الصغير المتواضع فى غرب لوس أنجلوس، وحين تعاظمت فوائد الديون لم تجد الملكة وسيلة للخروج من المأزق إلا بإشهار إفلاسها رسمياً باختيارها لتصفية الديون، ببيع ممتلكاتها المرهونة تحت إشراف المحكمة، فإن بقى شيء أعانها على معاشها: وقد أعلنت الملكة المحكمة أن «رياض غالى» لم يكن إلا وكيلاً مفوضاً، ولكن رياض أصر على أنه شريك فى الملكية، وبالتالى فهو شريك فى الدين، شريك فى الفائض بعد التصفية (!!)

وقد نصحت المحكمة الملكة نازلى أن تقبل دعواه لأن تمسكها باستبعاده يعطيه الحق فى المقاضاة والاستئناف بما يؤجل تصفية التركة سنوات وسنوات وبالتالى يكدس مزيداً من الفوائد عليها فلا يبقى لأحد منهما شيء، وهكذا تراضوا على أن يقتسم الطرفان مايفيض بعد التصفية بنسبة ٤٠٪ لرياض غالى و ٦٠٪ للملكة نازلى وابنتها فتحية!!

ويقول د. لويس عوض: هذا ماعرفته من رجل الأعمال الأمريكى. وكنت أستحى أن أتطفل بالسؤال عن الخصوصيات حتى لا أخدش شعور أحد، وإنما أتلقى مايأتى إلى تطوعاً فى الأحاديث المتناثرة فى أكثر من لقاء مع الأميرتين السابقتين، وبوجه عام أستطيع أن أقرر أن ما أدلت به الأميرتان إلىّ من تصريحات مباشرة أو تلميحات شفافة كان يؤيد هذا الكلام فى جوهره. وقد عرفت من الأميرة فتحية أنها حصلت على حكم بالانفصال عن زوجها رياض غالى وأنها تسعى أو ستسعى للطلاق منه، ولكنه يطاردها بعنف حتى لا يتم هذا الطلاق!!

✪✪✪

وجاءت النهاية على نحو درامى ومثير بشكل لم يتوقعه أحد على الإطلاق!!

كانت بداية النهاية عندما أطلق رياض غالي النار من مسدسه على فتحية ،وفي صباح اليوم التالي حاول أن ينتحر بما تبقى من رصاص مسدسه لكنه لم يمت ! !

وكانت نازلي في ذلك الوقت قد طاردتها الشيخوخة والأوهام وخيالات زمن فات ومات كل شيء كان يهمها فيه : زوجها أحمد حسنين، وابنها فاروق وابنتها فتحية.

وذات صباح من يونيو ١٩٧٨ ماتت نازلي في هدوء قبل أن تكمل من العمر ٨٤ عاماً ! !

وأسدل الستار على عصر بأكمله !


الملكة نازلى



نازلى الملكة ومملكتها الصغيرة



الملكة نازلى فى طهران

• أهم مصادر التحقيق •

- أحمد شفيق باشا — مذكراتي فى نصف قرن
- أنور السادات (مذكرات) — صفحات مجهولة
- أحمد بهاء الدين — فاروق ملكاً
- إبراهيم البعثى — أسرار البيع
- حلمي سلام — فاروق نهاية ملك
- سعد زغلول (مذكرات) — إعداد د. عبد العظيم رمضان
- صبرى أبو المجد — سنوات ما قبل الثورة
- صلاح عيسى — حكايات من دفتر الوطن
- عادل ثابت — الملك الذى غدر به الجميع
- عبد الرحمن الرافعى — فى أعقاب الثورة المصرية
- الملكة فريدة (مذكرات) — إعداد المستشار فاروق هاشم
- فريد الأطرش (مذكرات) — إعداد فوميل لبيب
- د. لويس عوض — لمصر وللحرية
- مصطفى أمين — من واحد لعشرة – من عشرة لعشرين
- مصطفى أمين — ليالى فاروق
- محمد التابعى — «أسمهان تروى قصتها» «من أسرار الساسة والسياسة»
- مصطفى النحاس باشا — (مذكرات) إعداد أحمد عز الدين
- محسن محمد — بعد أن يموت الملك – الشيطان
- محمد عبد الحميد — أبو الثائرين الفريق عزيز المصرى
- مرتضى باشا المراغى — (مذكرات) «شاهد على حكم فاروق»
- د. محمد حسين هيكل باشا — (مذكرات) مذكرات فى السياسة المصرية
- ناصر الدين النشاشيبى — قصتى مع الصحافة
- هيوج ماكليف — الملف السرى للملك فاروق
- وليم ستاديم — مملكتى فى سبيل امرأة.

• صدر للمؤلف •

١- لغــــز الســــادات .. .. (الجداوى للنشر)
٢- ثورة يوليــو والصــحــافــة . (الجداوى للنشر)
٣- عــبــد الناصــر الذى لا تعــرفــه .. .. (الجداوى للنشر)
طبعة أولى ١٩٩٠
طبعة ثانية ١٩٩٣
٤- ذكــريات صــلاح حــافظ . . (مؤسسة روزاليوسف)
٥- ذكــريات د. يوسف إدريس .. . . (المركز المصرى العربى)
٦- عــبــد الناصــر فى تل أبيب .... (الجداوى للنشر)
٧- لغز يونيو ٦٧ الهزيمة والعقاب . .. . (سوزانا للنشر)
٨- الســادات أسطورة لغــز . .. . (سوزانا للنشر)
٩- طلعت حرب: ضــمــيــر وطن .... (سوزانا للنشر)
١٠- أحمد بهاء الدين: اهتمامات عربية!

(إعداد) تقديم الكاتب الكبير لويس جريس

١١- ناهد رشاد:

المرأة التى هزت عرش مصر! ... . (مركز الراية للنشر والإعلام)

١٢- باقــة حــب

(كتاب تذكارى عن أحمد بهاء الدين) .... (هيئة قصور الثقافة)

١٣- الســادات المبــادرة والمنصــة .. .. (سوزانا للنشر)
١٤- البــحث عن الســلام بالجنس . . . . (دار الخيال)
١٥- السادات مؤامرة ومغامرة ١٥ مايو . ... . (دار نصر للنشر والتوزيع)
١٦- خطيئــة ٦٧:

عبد الناصر. المشير. شمس بدران .... . (دار نصر للنشر والتوزيع)

١٧- الهانــم والزعــيم .. . . (دار نصر للنشر والتوزيع)
١٨- حرب فلسطين ٤٨ . ... (دار نصر للنشر والتوزيع)
١٩ الملكة نازلي: غرام وانتقام ....(دار المنتدى للنشر والتوزيع)

الفهرس

رقم الايداع ٩٨/١٤٧٢٥

977/197292/8



الكتاب والمؤلف

فى كل الأحوال دخلت الملكة «نازلى» تاريخ مصر!

«نازلى» الطفلة والشابة والمراهقة والزوجة والأرملة كانت مثار إهتمام رجال القصر والأحزاب والرأى العام.

فى حياة «نازلى» عشرات الألغاز وعلامات الاستفهام، ولم يكن صدفة أن يقول عنها الكاتب الكبير «محمد حسنين هيكل» إنها واحدة من أهم ثلاثة نساء أدرن شئون مصر أثناء الحرب العالمية الثانية!

أحبت «نازلى» ابن شقيقة «سعد زغلول» زعيم الأمة، لكنها تزوجت الأمير «أحمد فؤاد» عدو الأمة، ثم وقعت فى هوى «أحمد حسنين» رائد ابنها «فاروق» وتزوجته بعقد عرفى، وهكذا حكم حسنين نازلى والملك فاروق أيضا!!

مشوار نازلى السياسى والعاطفى: انتصارات.. وانكسارات، عواطف وعواصف.. دموع وابتسامات.. غرام وانتقام.

وهذا الكتاب عن المرأة الأسطورة اللغز «نازلى» للكاتب الصحفى «رشاد كامل» كتاب جاد، لقارئ جاد، نفخر بتقديمه.

«الناشر»























